تاريخ اليعقوبي

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
الكاتب المعروف (بابن واضح) الأخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ



أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى
زمن المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف (بابن واضح) الأخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢

قدم له وعلق عليه
العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم

الجزء الأول

منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الأخباري الشهير باليعقوبي وبابن واضح ، وكان يقال له مولى بني العباس ومولى بني هاشم لأن جده كان من موالي المنصور الدوانيق الخليفة العباسي .

وكان هو بحاثة في التاريخ وأخبار البلدان ولقد أعطى التنقيب حقه في سياحته في البلاد شرقاً وغرباً ودخل بلاد فارس وأطال المقام في بلاد أرمينية وكان فيها سنة ٢٦٠ ودخل الهند أيضاً والأقطار العربية فالشام فالمغرب الى الأندلس وأغرق نزعاً في البحث فطفق يسائل أهل الامصار عنها وعنهم وعن عاداتهم ونحلهم وحكوماتهم وعن المسافات بين البلادفاذا وثق بنقلهم أثبته في كتابه ، وذكر من فتح البلاد من الخلفاء والامراء ومبلغ خراجها فلم يدع صغيرة ولا كبيرة وقف عليها إلا وأحصاها فألف كتابه (البلدان) الذي هو أقدم مصدر تاريخي وأوثقه لما تحمله في تأليفه من جهد وعناء وعناية وحسن بلاء .

وكان نبوغه في القرن الثالث لأنه كان حياً سنة ٢٩٢ ، ففي ليلة عيد الفطر منها تذكر ما كان عليه بنو طولون في مثل هذه الليلة من بلهنية العيش والنعيم الرغيد والوفر السابغ ، ورثاهم بأبيات مطلعها :

إن كنت تسأل عن جلالة ملكهم   فارتع وعج بمرابع الميدان

(أنظر ص ١٣١ من كتاب « البلدان » طبع النجف) اذاً فلا يكاد يصح مافي معجم الأدباء عن أبي عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب المصري في تاريخه من ان اليعقوبي توفي سنة ٢٨٤ ، ولا ما ذكره الزركلي في الأعلام من ان وفاته كانت سنة ٢٧٨ ، وكأنه تبع جرجي زيدان الذي صدر ترجمته بهذا التاريخ ولكنه يقول في أثناء الترجمة في (تاريخ آداب اللغة العربية) ج ٢ ص ١٩٧ « ولكن يؤخذ من سياق كتبه أنه توفي بعد سنة ٢٧٨ » .

والمترجم من معاصرى أبى حنيفة الدينورى كما انه صحبه سعيد الطبيب وإن حفيده محمد بن احمد بن خليل التميمى المقدسى ابن سعيد المذكور يروى فى كتابه جيب العروس وريحان النفوس عن اليعقوبى بواسطة أبيه وجده خليل (أنظر ص ١٢٢ وما بعدها من كتابه (البلدان) .

آثاره

عدّ ياقوت الحموى فى (معجم الادباء) وغيره من أرباب المعاجم من آثار المترجم التاريخ الكبير وهو هذا الذى نزفه الى القراء الكرام ؛ وكان قد نشره المستشرق « هو تسما » وطبعه فى ليدن سنة ١٨٨٣ فى مجلدين (الأول) فى التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ، وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة (والثانى) فى تاريخ الاسلام وينتهى فى زمن المعتمد على الله العباسى سنة ٢٥٩ ؛ وقد رتبه حسب الخلفاء ، ومن مزاياه التى يمتاز بها عن سائر التواريخ العامة فضلا عن قدمه أن مؤلفه يأتى فيه بلباب التاريخ ويتحرى القضايا الصادقة ويتجنب الأخبار المستبشعة فتراه يقول (ص ١٣٨ ج ١) من الكتاب « ولهم - ملوك فارس - أخبار قد أثبتت رأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع » ذلك لا يلتزم به كل مؤرخ ، فتراه يملى عليك الوقايع والحوادث ببيان سلس وأسلوب جذاب حتى كأنك شاهدتها بنفسك ورأيتها بعينك وبما أن الطبعة الليدنية نادرة الوجود حتى أنه لا يسمع إلا اسمها ولا يهتدى اليها إلا ذو حظ عظيم ؛ وتشوق رواد المعارف لهذا السفر الثمين الذى طبقت شهرته وشهرة صاحبه العالم الإسلامى وغيره فقد بذلت « المكتبة الحيدرية » الجهود فى طبعه خدمة لنشر المعارف فجزاها الله عن العلم وذويه خير الجزاء ؛ وتمتاز هذه

الطبعة بالجودة والصحة والاتقان مضافاً الى بعض التعليقات المهمة التى خلت عنها الطبعة الأولى ، وبعض المميزات الاخرى التى لا تخفى على القراء .

ومن آثار المترجم أيضاً (كتاب البلدان) فى الجغرافية ، وقد أوقفناك على أهميته وعناء صاحبه به ومقدار الثقة به ، وقد أفاض فيه - على الخصوص - وأبدع فى وصف بغداد كما كانت فى أيامه ، ووصف سامراء وتاريخها ، فهو يعد - بحق - من أمهات الكتب الجغرافية لأنه لا ينقل فيه صاحبه عن كتاب آخر ، وكان قد طبع أولا فى ليدن سنة ١٨٦١ ميلادية بعناية المستشرق « جونبول » وطبع أيضاً فى جملة المكتبة الجغرافية التى طبع فيها ثمانية مجلدات من كتب الجغرافية العربية بعناية المستشرق « ديغويه » وطبعتها أيضاً إدارة (المكتبة الحيدرية) بمطبعتها الحيدرية فى ١٣٢ صفحة .

ومن آثاره أيضاً (كتاب) فى أخبار الأمم السالفة صغير (وكتاب) مشا كلة الناس لزمانهم ، هذه الكتب الأربعة هى التى ذكرها ياقوت الحموى فى المعجم ويظهر من آخر النسخة المطبوعة من كتاب « البلدان » أن له كتاباً آخر أسماه بكتاب (الممالك والمسالك) .

وكان المترجم أديباً شاعراً ونبوغه قبل الطبرى والمسعودى . ومن بديع شعره قوله يصف سمرقند :

علت سمرقند أن يقال لها زين خراسان جنة الكور
أليس أبراجها معلقة بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها عميقة ما ترام من ثغر
كأنها وهى وسط حائطها محفوفة بالظلال والشجر
بدر وأنها رها المجرة والـ آطام مثل الكواكب الزهر

محمد صادق بحر العلوم



. . . . (*) . . . .

. . . . على آدم فلم يطاوعه شيء مما خلق الله جل وعز إلا الجنة ، فلما رأى آدم ما فى الجنة من النعيم قال : لو كان سبيل إلى الخلود ، فطمع فيه إبليس لما سمع ذلك منه ، فبكى ونظر اليه آدم وحوا يبكى فقالا له : ما يبكيك ؟ قالا : لأنكما تفارقان هذا و (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين) وكان لباس آدم وحوا ثياباً من نور (فلما ذاقا) من (الشجرة بدت لهما سوآتهما) فزعم أهل الكتاب أن مكث آدم فى الأرض قبل أن يدخل الجنة كان : ثلاث ساعات ، ومكث هو وحواء فى النعيم والكرامة قبل أن يأكلا من الشجرة فتبدو لهما سوآتهما ثلاث ساعات ؛ فلما بدت لآدم سوأته أخذ ورقة من الشجرة فوضعها على نفسه ثم صاح : ها أنا يارب عريان قد أكلت من الشجرة التى نهيتنى عنها ؛ فقال الله إرجع الى الأرض التى منها خلقت فإنى مسخر لك ولولدك طير السماء ونون البحار ، وأخرج الله آدم وحوا مما كانا فيه فيما يقول أهل الكتاب فى تسع ساعات من يوم الجمعة ؛ وهبطا الى الأرض وهما حزينان باكيان ؛ وكان هبوطهما على أدنى جبل من جبال

(*) ـ كذا بياض فى الاصل .

الأرض إلى الجنة وكان ببلاد الهند (وقال قوم) على أبى قبيس - جبل بمكة - ونزل آدم فى مغارة فى ذلك الجبل سماها « مغارة الكنز » ودعا الله أن يقدسه .

(وروى بعضهم) أن آدم لما هبط كثر بكاؤه ودام حزنه على مفارقة الجنة ، ثم ألهمه الله أن قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) واجتباه وأنزل له من الجنة التى كان فيها الحجر الأسود وأمر أن يصيره الى مكة فيبنى له بيتاً فصار الى مكة وبنى البيت وطاف به ، ثم أمره الله أن يضحى له فيدعوه ويقدسه فخرج معه جبرئيل حتى وقف (بعرفات) فقال له جبرئيل : هذا الموضع أمرك ربك أن تقف له به ، ثم مضى به الى مكة فاعترض له ابليس فقال ارمه فرماه بالحصى ، ثم صار الى الأبطح فتلقته الملائكة فقالت له برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك ألفى عام ، وأنزل الله عز وجل الحنطة على آدم وأمره أن يأكل من كده فحرث وزرع ثم حصد ثم داس ثم طحن ثم عجن ثم خبز فلما فرغ عرق جبينه ثم أكل فلما امتلأ ثقل ما فى بطنه فنزل اليه جبريل ففجه فلما خرج ما فى بطنه وجد رائحة تكره فقال ما هذا ؟ قال له جبرئيل : رائحة الحنطة ، ووقع آدم على حوا فحملت وولدت غلاماً وجارية ، فسمى الغلام قابيل والجارية لوبذا ، ثم حملت فولدت غلاماً وجارية ، فسمى الغلام هابيل والجارية إقليما ، فلما كبر ولده وبلغوا النكاح قال آدم لحوا مرى قابيل فليتزوج إقليما التى ولدت مع هابيل ، ومرى هابيل فليتزوج لوبذا التى ولدت مع قابيل فحسده قابيل أن يتزوج باخته التى ولدت معه .

(وقد روى بعضهم) أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة فزوجه بها وأخرج لقابيل جنية فزوجه بها فحسده قابيل أخاه على الحوراء فقال لهما آدم قربا قرباناً فقرب قابيل من تبن زرعه وقرب هابيل أفضل كبش فى غنمه لله فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل فازداد نفاسة وحسداً وزين له

الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتل فسخط الله على قابيل و لعنه و أنزله من الجبل المقدس الى أرض يقال لها نود ، ومكث آدم وحوا ينوحان على هابيل دهراً طويلا حتى يقال إنه خرج من دموعهما كالنهر ، ووقع آدم على حوا فحملت فولدت غلاماً بعد أن أتى له مائة وثلاثون سنة فسماه شيئاً فكان أشبه ولد آدم بآدم ، ثم زوج آدم شيئاً فولد له غلام بعد أن أتت عليه مائة وخمس وستون سنة فسماه أنوش ؛ ثم ولد لأنوش غلام فسماه قينان ، ثم ولد لقينان غلام فسماه مهلائيل ، فهؤلاء ولدوا فى حياة آدم وعلى عهده ، ولما حضرت آدم الوفاة جاءه شيث ابنه وولده وولد ولده فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وجعل وصيته الى شيث وأمره أن يحفظ جسده ويجعله إذا مات فى مغارة الكنز وأن يوصى بنيه وبنى بنيه ويوصى بعضهم بعضاً عند وفاتهم اذا كان هبوطهم من جبلهم أن يأخذوا جسده حشمة فيجعلوه وسط الأرض . وأمر شيئاً ابنه أن يقوم بعده فى ولدهم فيأمرهم بتقوى الله وحسن عبادته وينهاهم أن يخالطوا قابيل اللعين وولده ، ثم صلى على بنيه أولئك وأولادهم ونسائهم ، ثم مات لست خلون من نيسان يوم الجمعة فى الساعة التى خلق فيها ، وكانت حياته تسعمائة سنة وثلاثين سنة إتفاقاً .

شيث بن آدم

وقام بعد موت آدم إبنه شيث ، وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل الصالح ، وكانوا يسبحون الله ويقدسونه وابناؤهم ونساؤهم ليس بينهم عداوة ولا تحاسد ولا تباغض ولا تهمة ولا كذب ولا خلف . وكان أحدهم اذا أراد أن يحلف قال لا ودم هابيل . فلما حضرت وفاة شيث أتوه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ: أنوش وقينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وتقدم اليهم وحلفهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم

من هذا الجبل المقدس ، ولا يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ؛ ولا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون ، وأوصى الى أنوش ابنه ؛ وأمره أن يحتفظ بجسد آدم وأن يتق الله ويأمر قومه بتقوى الله وحسن العبادة، ثم توفى يوم الثلاثاء لسبع وعشرين ليلة خلت من آب على ثلاث ساعات من النهار ؛ وكانت حياته تسعمائة واثنتى عشرة سنة .

أنوش بن شيث

وقام أنوش بن شيث بعد أبيه بحفظ وصية أبيه وجده وأحسن عبادة الله وأمر قومه بحسن العبادة ، وفى أيامه قتل قابيل الملعون ، رماه لمك الأعمى بحجر فشدخ رأسه فمات ، وكان قد ولد لأنوش قينان بعد أن أتت له تسعون سنة ، ولما حضرت أنوش الوفاة اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه قينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ومتوشلح ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا من جبلهم المقدس أو يدعوا أحداً من بنيهم أن يختلطوا بولد قابيل اللعين ، وأوصى قينان بجسد آدم وأمرهم أن يصلوا عنده ويقدسوا الله كثيراً وتوفى لثلاث خلون من تشرين الاول حين غابت الشمس . وكانت حياته تسعمائة وخمساً وستين سنة .

قينان بن أنوش

وقام قينان بن أنوش . وكان رجلا لطيفاً تقياً مقدساً فقام فى قومه بطاعة الله وحسن عبادته واتباع وصية آدم وشيث ، وكان قد ولد له مهلائيل بعد أن أتت عليه سبعون سنة ، فلما دنا موته اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه مهلائيل ويرد ومتوشلح ولمك ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعالهم بالبركة ، فاقسم عليهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من جبلهم المقدس الى ولد الملعون قابيل ، وجعل

وصيته الى مهلائيل ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، ومات قينان وكانت حياته تسعمائة سنة وعشرين سنة .

مهلائيل بن قينان

ثم قام بعد قينان مهلائيل بن قينان ، فقام فى قومه بطاعة الله تعالى واتباع وصيته وكان قد ولد له يرد بعدأن أتت عليه خمس وستون سنة . فلما دنا موت مهلائيل أوصى الى ابنه يرد ، وأوصاه بجسدآدم ؛ ثم توفى مهلائيل لليلتين خلتا من نيسان يوم الأحد على ثلاث ساعات من النهار . وكانت حياته ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة .

يرد بن مهلائيل

ثم قام بعد مهلائيل يرد ؛ وكان رجلا مؤمناً كامل العمل لله سبحانه والعبادة له كثير الصلاة بالليل والنهار ، فزاد الله فى حياته ، وكان قد ولد له أخنوخ بعد أن أتت عليه اثنتان وستون سنة ؛ وفى الأربعين ليرد تمّ الألف الأول ؛ ولما مضى من حياة يرد خمسمائة سنة نقض بنو شيث العهد والمواثيق التى كانت بينهم فجعلوا ينزلون الى الارض التى فيها بنو قابيل ، وكان أول نزولهم أن الشيطان اتخذ شيطانين من الأنس إسم أحدهما يوبل والآخر توبلقين فعلمهما أصناف الغناء والزمر فصنع يوبل المزامير والطنابير والبرابط والصور ؛ وصنع توبلقين الطبول والدفوف والصنوج ؛ ولم يكن لبنى قابيل عمل يشغلهم ولا ذكر لهم إلا أمام الشيطان ، وكانوا يركبون المحارم والمآثم ويجتمعون على الفسق وكان ذوو السن من رجالهم ونسائهم أشد فى ذلك من شبانهم ، فكانوا يجتمعون فيزمرون ويضربون بالطبول والدفوف والبرابطوالصنوج ويصيحون ويضحكون حتى سمع أهل الجبل من بنى شيث أصواتهم فاجتمع منهم مائة رجل على أن

يهبطوا الى بنى قابيل فينظروا ماتلك الأصوات . فلما بلغ ذلك يرد أتاهم وناشدهم الله وذكرهم وصية آبائهم وحلف عليهم بدم هابيل ، وقام فيهم أخنوخ بن يرد فقال اعلموا أنه من عصى منكم أبانا يرد ونقض عهود آبائنا وهبط من جبلنا لم ندعه يصعد أبداً فابوا إلا أن يهبطوا ، فلما هبطوا اختلطوا ببنات قابيل بعد أن ركبوا الفواحش ؛ فلمادنامموت يرد اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه أخنوخ ومتوشلح وملك ونوح فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا من الجبل المقدس وقال إنكم لا محالة تهبطون الى الأرض السفلى فايكم كان آخر هبوطاً فليهبط معه بجسد أبينا آدم ثم ليجعله وسط الأرض كما أوصانا ، فأمر أخنوخ ابنه أن لا يزال يصلى فى مغارة الكنز ؛ ثم توفى يوم الجمعة لليلة خلت من أذار حين غابت الشمس وكانت حياته تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة .

أخنوخ بن يرد

ثم قام من بعد يرد أخنوخ بن يرد فقام بعبادة الله سبحانه ، ولما أتت له خمس وستون سنة ولد متوشلح ، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم فى الهبوط فعظم ذلك على أخنوخ فدعا ولده متوشلح ولمكا ونوحاً فقال لهم إنى أعلم أن الله معذب هذه الأمة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة ؛ وكان أخنوخ أول من خط بالقلم وهو إدريس النبى ، فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة الله ويستعملوا الصدق واليقين ؛ ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة .

متوشلح بن أخنوخ

ثم قام متوشلح بن أخنوخ بعبادة الله تعالى وطاعته ، وكان لما أتت عليه مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لمك فأوحى الله الى نوح فى عصره وأعلمه أنه باعث الطوفان على الناس ، وأمره أن يعمل السفينة من الخشب ، ولما كانت لنوح

ثلاثمائة سنة وأربع وأربعون سنة تم الألف الثانى ، وتوفى متوشلح فى إحدى وعشرين من أيلول يوم الخميس ، وكانت حياته تسعمائة وستين سنة .

لمك بن متوشلح

فقام لمك بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قد ولد له بعد أن أتت عليه مائة واثنتان وثمانون سنة ، وكثرت الجبابرة فى عصره ، وذلك أنه كان لما وقع بنو شيث فى بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة ، ثم دنا موت لمك فدعا نوحاً وساماً وحاماً ويافثاً ونساؤهم ولم يكن بقى من أولاد شيث فى الجبل أحد غيرهم إلا هبطوا الى بنى قابيل فكانوا ثمانية أنفس ؛ ولم يكن لهم أولاد قبل الطوفان فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ثم بكى ؛ وقال لهم : إنه لم يبق من جنسنا أحـــد إلا هؤلاء الثمانية الأنفس وأسأل الله الذى خلق آدم وحوا وحدهما ثم كثر ولدهما أن ينجيكم من هذا الرجز الذى أعد للأمة السوء ويكثرولدكم حتى يملئوا الأرض ويعطيكم بركة أبينا آدم ويجعل فى ولدكم الملك وأنامتوفى ولن يفلت من أهل الرجز غيرك يانوح فاذا أنا مت فاحملنى واجعلنى فى مغارة الكنز فاذا أراد الله أن تركب السفينة فاحمل جسد أبينا آدم فاهبط به معك ثم اجعله وسط البيت الأعلى من السفينة ؛ ثم كن أنت وبنوك فى طرف السفينة الشرقى ؛ ولتكن امرأتك وكنائنك فى طرف السفينة الغربى ، وليكن جسدآدم بينكم فلا تجوزوا الى نسائكم ولا يجزن نساؤكم اليكم . ولا تأكلوا ولاتشربوا معهن ، ولاتقربوهن حتى تخرجوا من السفينة ، فاذا ذهب الطوفان وخرجتم من السفينة الى الأرض فصل أنت عند جسد آدم ثم أوص ساماً أكبر بنيك فليذهب بجسد آدم حتى يجعله فى وسط الأرض وليجعل معه رجلا من أولاده يقوم عليه وليكن حبراً لله حياته لا ينكح امرأة ولا يبنى بيتاً ولا يهرق دماًولا يقرب قرباناً من الدواب ولا الطير فان الله مرسل معه ملكا من الملائكة يدله على وسط الأرض ويونسه

وتوفى لمك لسبع عشرة ليلة خلت من أذار يوم الأحد على تسع ساعات من النهار وكانت حياته سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة .

نوح

وأوحى الله عز وجل الى نوح فى أيام جده أخنوخ وهو إدريس النبى وقبل أن يرفع الله إدريس وأمره أن ينذر قومه وينهاهم عن المعاصى التى كانوا يركبونها ويحذرهم العذاب ، فقام على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه وحبس نفسه على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه لا ينكح النساء خمسمائة عام ثم أوحى الله اليه أن ينكح هيكل بنت ناموسا بن أخنوخ وأعلمه أنه باعث الطوفان على الارض وأمره أن يعمل السفينة التى نجاه الله وأهله فيها ، وأن يجعل لها ثلاث بيوت سفلا ووسطاً وعلواً ، وأمره أن يجعل طولها ثلاثمائة ذراع بذراع نوح وعرضها خمسين ذراعاً وسمكها ثلاثين ذراعاً ويصير حواليها رفوف الخشب ، ويكون البيت الأسفل للدواب والوحش والسباع ويكون الأوسط للطير ، ويكون الأعلى لنوح وأهل بيته ، ويجعل فى الأعلى صهاريج (١) الماء وموضعاً للطعام فولد له بعد أن أتت عليه خمسمائة سنة . ولما فرغ نوح من عمل السفينة وكان ولد قابيل ومن اختلط بهم من ولد شيث إذا رأوه يعمل الفلك سخروا منه فلما فرغ دعاهم الى الركوب فيها وأعلمهم أن الله باعث الطوفان على الأرض كلها حتى يطهرها من أهل المعاصى فلم يجبه أحد منهم ؛ فصعد هو وولده الى مغارة الكنز فاحتملوا جسد آدم فوضعوه فى وسط البيت الأعلى من السفينة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من اذار ، وأدخل الطير البيت الأوسط . وأدخل الدواب والسباع البيت الأسفل وأطبقها حين غابت الشمس . وأرسل الله الماء

(١) ـ الصهاريج : بفتح الصاد المهملة حياض المياه ، مفرده : الصهريج والصهارج : بكسر الصاد المهملة فى الأول وضمها فى الثانى . (المصحح)

من السماء وفجر عيون الأرض (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وأخذ الأرض كلها والجبال وأظلمت الدنيا وذهب ضوء الشمس والقمر حتى كأن الليل والنهار سواء. وكان الطالع فى ذلك الوقت الذى أرسل الله تعالى فيه الماء فيما يقول أصحاب الحساب السرطان والشمس والقمر وزحل وعطارد والرأس مجتمعة فى آخر دقيقة من الحوت. فاتصل الماء من السماء والأرض أربعين يوماً حتى علا فوق كل جبل خمس عشرة ذراعا ثم وقف بعد أن لم تبق بقعة من الأرض إلا غمرها الماء وعلاها. ودارت السفينة الأرض كلها حتى صارت الى مكة فطافت حول البيت أسبوعا. ثم انكشف الماء بعد خمسة أشهر. فكان ابتداؤه لسبع عشرة ليلة خلت من أيار الى ثلاث عشرة ليلة خلت من تشرين الأول.

(وروى بعضهم) أن نوحا ركب السفينة أول يوم من رجب واستوت على الجودى فى المحرم فصار أول الشهور بعده. وأهل الكتاب يخالفون فى هذا ولما استوت على الجودى وهو جبل بناحية الموصل أمر الله تعالى ماء السماء فرجع من حيث جاء. وأمر الأرض فبلعت ماءها فاقام نوح بعد وقوف السفينة أربعة أشهر ثم بعث الغراب ليعرف خبر الماء فوجد الجيف طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع ثم أرسل الحمامة فجاءت بورقة زيتون فعلم أن الماء قد ذهب فخرج لسبع وعشرين من أيار، فكان بين دخوله السفينة وخروجه سنة كاملة وعشرة أيام. فلما صار الى الأرض هو وأهله بنوا مدينة فسموها ثمانين ؛ ولما خرج نوح من السفينة ورأى عظام الناس تلوح غمه ذلك وأحزنه وأوحى الله اليه أنى لن أرسل الطوفان على الأرض بعدها أبداً ؛ ولما خرج نوح من السفينة أقفلها بقفل ودفع المفتاح الى سام ابنه ثم زرع نوح وغرس كرماً وعمر الارض، وإن نوحا يوماً لنائم اذ انكشف ثوبه فرأى حام ابنه سوءته فضحك وخبر لأخويه سام ويافث فاخذا ثوباً حتى أتياه به ووجوههما مصروفة عنه فألقيا الثوب عليه فلما انتبه نوح من نومه وعلم الخبر دعا على كنعان بن حام ولم

يدع على حام ، فمن ولده القبط والحبشة والهند ، وكأن كنعان أول من رجع من ولد نوح الى عمل بنى قابيل فعمل الملاهى والغناء والمزامير والطبول والبرابط والصنوج وأطاع الشيطان فى اللعب والباطل ، وقسم نوح الأرض بين ولده فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان الى البحرين الى عالج ويبرين ووبار والدو والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش بن حام وكنعان بن حام والنوبة والزنج والحبشة ، ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب فولد له جومر وتوبل وماش وماشج وماجوج ، فولد جومر الصقالبة ، وولد توبل برجان ، وولد ماش الترك والخزر ، وولد ماشج الأشبان وولد ماجوج ياجوج وماجوج وهم فى شرقى الأرض من جهة الترك وكانت منازل الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم ، فهؤلاء ولد يافث ، وعاش نوح بعد خروجه من السفينة ثلاثمائة وستين سنة ، ولما حضرت وفاة نوح اجتمع اليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم بعبادة الله تعالى وأمر ساماً أن يدخل السفينة إذا مات ولا يشعر به أحد فيستخرج جسد آدم ويذهب معه بملكيزدق بن لمك بن سام فان الله اختاره ليكون مع جسد آدم فى وسط الأرض فى المكان المقدس وقال له يا سام إنك إذا خرجت أنت وملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلكما على الطريق ويريكما وسط الأرض فلا تعلمن أحداً ما تصنع فان هذا الأمر وصية آدم التى أوصى بها بنيه وأوصى بها بعضهم بعضاً حتى انتهى ذلك اليك فاذا بلغتما المكان الذى يريكما الملك فضع فيه جسد آدم ثم مر ملكيزدق أن لا يفارقه ولا يكون له عمل إلا عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأمره أن لا ينكح امرأة ولا يبنى بنياناً ولا يهريق دماً ولا يلبس ثوباً إلا من جلود الوحش ولا يقص شعراً ولا ظفراً وليجلس وحده وليكثر حمد الله ثم مات فى أيار يوم الأربعاء . وكانت حياته تسعمائة سنة وخمسين كما حكى الله تعالى (ألف سنة إلا خمسين عاماً) .

سام بن نوح

وقام سام بن نوح بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قد ولد له أرنخشد بعد أن أتت عليه مائة سنة وسنتان ثم انطلق وفتح السفينة فاخذ جسد آدم فهبط به سراً من اخويه وأهله ودعا أخويه يافثاً وحاماً فقال لهما إن أبى أوصى إلى وأمرنى أن آتى البحر فأنظر فى الأرض ثم أرجع فلا تتحركوا حتى آتيكم واستوصوا بامرأتى وبنى خيراً ، فقال له أخواه إذهب فى حفظ الله فانك قد علمت أن الأرض خربة ونخاف عليك السباع قال سام ان الله تعالى يبعث ملكاً من الملائكة فلا أخاف إن شاء الله تعالى شيئاً ، ودعا سام ابنه لمكاً فقال له ولإمرأته (ياوزدق) أرسلا معى ابنكما ملكيزدق يونسنى فى الطريق فقالا له أذهب راشداً فقال سام لأخويه وأهله وولده قد علمتم أن أبانا نوحاً قد أوصى الىّ وأمرنى أن أختم السفينة فلا أدخلها أنا ولا أحد من الناس فلا يقربن السفينة منكم أحد ثم ان ساماً خرج ومعه ابنه فعرض لهما الملك فلم يزل معهما حتى صار بهما الى الموضع الذى أمروا أن يضعوا جسد آدم فيه فيقال انه بمسجد منى عند المنارة (ويقول) أهل الكتاب بالشام فى الارض المقدسة فانفتحت الأرض فوضع الجسد فيها ثم انطبقت عليه ، وقال سام لملكيزدق بن لمك بن سام أجلس هاهنا وأحسن عبادة الله فان الله يرسل اليك فى كل يوم ملكاً من الملائكة يؤنسك ثم سلم عليه وانصرف فاتى أهله فسأله ابنه لمك عن ملكيزدق فقال انه قد مات فى الطريق فدفنته فحزن عليه أبوه وأمه . ثم حضرت ساماً الوفاة فأوصى الى ابنه أرنخشد . ومات سام يوم الخميس لسبع خلون من أيلول ، وكانت حياته ستمائة سنة .

أرفخشد بن سام

ثم قام أرفخشد بن سام بعبادة الله تعالى وطاعته وكان قد ولد له شالح بعد أن أتت عليه مائة وخمس وثمانون سنة وقد تفرق ولد نوح فى البلاد وكثرت الجبابرة والعتاة منهم وأفسد ولد نوح كنعان بن حام وأظهروا المعاصى ولما حضرت أرفخشد الوفاة جمع اليه ولده وأهله وأوصاهم بعبادة الله تعالى ومجانبة المعاصى وقال لشالح ابنه اقبل وصيتى وقم فى أهلك بعدى عاملا بطاعة الله تعالى ومات يوم الاحد لسبع بقين من نيسان ، وكانت حياته أربعمائة وخمساً وستين سنة .

شالح بن أرفخشد

ثم قام شالح بن أرفخشد فى قومه يأمرهم بطاعة الله تعالى وينهاهم عن معاصيه ويحذرهم مانال أهل المعاصى من الرجز والعذاب ، وكان قد ولد له عابر بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ثم حضرته الوفاة فأوصى الى ابنه عابر بن شالح وأمره أن يتجنب فعل بنى قابيل اللعين ، ومات يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من أذار وكانت حياته أربعمائة وثلاثين سنة .

عابر بن شالح

ثم قام عابر بن شالح يدعو قومه الى طاعة الله تعالى ويحذر بنى سام بن نوح أن يختلطوا بولد كنعان بن حام المغير دين آبائه والمرتكب المعاصى . وكان قد ولد له فالغ بعد أتت عليه مائة واربع وثلاثون سنة ، ثم حضرته الوفاة فأوصى الى ابنه فالغ فقال له يا بنى ان ولد قابيل اللعين لما اكثروا العمل بمعاصي الله

سبحانه وتعالى ودخل معهم ولد شيث بعث الله عليهم الرجز فلا تدخل أنت ولا أهلك فى ملة بنى كنعان ، ومات عابر يوم الخميس لثلاث وعشرين من تشرين الأول ، وكانت حياته ثلاثمائة وأربعين سنة (وقيل) مائة وأربعاً وستين سنة .

فالغ بن عابر

ثم قام بعد عابر فالغ ابنه يدعو الناس الى طاعة الله تعالى فكان فى زمانه اجتماع ولد نوح ببابل ، وذلك ان ماش بن ارم بن سام بن نوح صار الى أرض بابل فولد نمرود الجبار ونبيط وهو أبو النبط ، وهو أول من استنبط الانهار وغرس الأشجار وعمر الأرض . وكان لسانهم جميعاً السريانى وهو لسان آدم فلما اجتمعوا ببابل قال بعضهم لبعض لنبنين بنياناً أسفله الارض وأعلاه السماء فلما أخذوا فى البنيان قالوا نتخذه حصناً يحرزنا من الطوفان فهدم الله حصنهم وفرق الله السنتهم على اثنين وسبعين لساناً وتفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة من موضعهم ذلك فكان فى ولد سام تسعة عشر لساناً وفى ولد حام ستة عشر لساناً وفى ولد يافث سبعة وثلاثون لساناً فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا الى فالغ بن عابر فقال لهم انه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق السنتكم فقالوا اقسموا الأرض بيننا فقسم لهم فصارت لولد يافث بن نوح الصين والهند والسند والترك والخزر والتبت والبلغر والديلم وما والى أرض خراسان وكان ملك بنى يافث فى ذلك الزمان جم شاذ . وصار لولد حام أرض المغرب وما وراء الفرات الى مسقط الشمس . وصار لولد سام الحجاز واليمن وباقى الأرض . وكان قد ولد له أرغو بعد أن أتت عليه ثلاثون سنة ، وحضرت فالغ الوفاة فأوصى الى ابنه أرغو ، ومات فالغ يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من أيلول ، وكانت حياته مائتى سنة وتسعاً وثلاثين سنة .

أرغو بن فالغ

ثم قام أرغو بن فالغ بعد أبيه وقد تفرقت الألسن على اثنتين وسبعين فرقة لبنى سام تسع عشرة فرقة ولولد حام ست عشرة فرقة ولولد يافث سبع وثلاثون ، وكان فى زمانه نمرود الجبار وكان مسكنه ببابل وكان الذى ابتدأ بناء الصرح وأول من عمل التاج وملك سبعاً وستين سنة ، وكان قد ولد لأرغو ساروغ بعد أن أتت عليه اثنتان وثلاثون سنة ؛ ولما أتت لأرغو أربع وسبعون سنة من عمره كمل الألف الثالث وحضرت أرغو الوفاة فأوصى ابنه ساروغ وتوفى أرغو يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من نيسان ، وكانت حياته مائتى سنة .

ساروغ بن أرغو

وقام ساروغ بن أرغو فى ولد سام بعد موت أبيه وقد كثرت الجبابرة وعتت فى الأرض ؛ وكان فى زمن ساروغ أول ماعبدت الأصنام ، وكان أول شأن الأصنام أن الناس كان اذا مات لأحدهم الميت الذى يعز عليهم من أب أو أخ أو ولد صنع صنماً على صورته وسماه باسمه فلما أدرك الخلف الذى بعدهم ظنوا وحدثهم الشيطان أنه إنما صنعت هذه لتعبد فعبدوها ثم فرق الله دينهم فمنهم من عبد الأصنام ومنهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد القمر ، ومنهم من عبد الطير ، ومنهم من عبد الحجارة ، ومنهم من عبد الشجر ، ومنهم من عبد الماء ؛ ومنهم من عبد الريح ، وفتنهم الشيطان وأضلهم وأطغاهم ، وكان قد ولد له ناحور بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ؛ ولما حضرت ساروغ الوفاة أوصى ابنه ناحور وأمره بعبادة الله تعالى ومات ساروغ لثلاث بقين من آب يوم الأحد ، وكانت حيتها مائتين وثلاثين سنة .

ناحور بن ساروغ

وكان ناحور مكان أبيه فكثرت عبادة الأصنام فى زمانه فأمر الله سبحانه الأرض فزلزت عليهم زلزلة شديدة حتى سقطت تلك الأصنام فلم يكترثوا بذلك وأعادوا أصناماً مكانها ، وفى زمانه ظهر السحر والكهانة والطيرة وذبح الناس أولادهم للشياطين وجعلت المكاييل والموازين ؛ وكانت حياة ناحور مائة وثمانى واربعين سنة وكانت جبابرة ذلك العصر عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكانوا قد انتشروا فى البلاد . وكانت منازلهم بين أعالى حضرموت الى أودية نجران ، فلما عاثوا وعتوا بعث الله تبارك وتعالى هود بن عبد الله بن رباح ابن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح فدعاهم الى عبادة الله تعالى والعمل بطاعته واجتناب المحارم وكذبوه فقطع الله عنهم المطر ثلاث سنين فوجهوا وفداً لهم الى البيت الحرام يستسقى لهمفاقاموا يطوفون بالبيت ويسعون أربعين صباحا ثم رفعت لهم سحابتان إحداهمابيضاء فيها غيث ورحمة والأخرى سوداء فيها عذاب ونقمة ، وسمعوا صوتاً يناديهم اختاروا أيتهما شئتم فقالوا اخترنا السوداء فمرت وهى على رؤوسهم فلما قربت من البلاد قال لهم هود إن هذه السحابة فيها عذاب قد أظلكم فقالوا عارض ممطرنا فاقبلت ريح سوداء لا تمر بشيء إلا أحرقته فما نجا منهم إلا هود (ويقال) انه نجا لقمان بن عاد وعاش حتى عمر عمر سبع نسور ، ولما مضت عاد صار فى ديارهم بنو ثمود بن جازر بن ثمود بن إرم بن سام بن نوح ؛ وكانت ملوكهم تنزل الحجر فلما عتوا بعث الله اليهم صالح بن تالح بن صادوق بن هود نبياًفسألوه أن يأتيهم بآية فأخرج الله لهم ناقة من الأرض معها فصيلها فقال لهم صالح إن لهذه الناقة يوماً ترد فيه الماء ولكم يوماً فاحذروا أن تصدوها عن الماء فكذبوه فقام رجل منهم يقال

له قدرا فعقرها ضرب عرقوبها بالسيف فارتفع فصيلها على نشز من الأرض ثم رغا فبعث الله عليهم العذاب فما فلت منهم إلا امرأة يقال لها الذريعة ، وضرب العرب بقدار المثل .

تارخ بن ناحور

وكان تارخ بن ناحور هو أبو ابراهيم خليل الله فى عصر نمرود الجبار وكان نمرود أول من عبد النار وسجد لها . وذلك أنه خرجت نار من الأرض فاتاها فسجد لها وكلمه منها شيطان فبنى عليها بنية وجعل لها سدنة ، وفى ذلك العصر تعاطى الناس علم النجوم وحسبوا الكسوف للشمس والقمر والكواكب السائرة والراتبة وتكلموا فى الفلك والبروج وكان الذى علم نمرود ذلك رجلا تنطق (١) وكان تارخ - وهو آزر (٢) أبو ابراهيم - مع نمرود الجبار فحسب المنجمون لنمرود فقالوا له إنه يولد فى مملكته مولود يعيب دينه ويزرى عليه ويهدم أصنامه ويفرق جمعه فجعل لا يولد فى مملكته مولود إلا شق بطنه حتى ولد ابراهيم فستره أبواه وأخفيا أمره وصيراه فى مغارة حيث لا يعلم به أحد وكان مولده بكوثا ربا ، وكان مولد ابراهيم بعد أتت لتارخ مائة وسبعون سنة وعاش تارخ أبوه مائتى سنة وخمس سنين .

---

(١) - كذا فى الأصل ولعل الصحيح (يتفلسف) .

(٢) - هذا خلاف قول أكثر المفسرين وخلاف قوله تعالى فى النبى (ص) (وتقلبك فى الساجدين) الدال على إسلام آباء النبى (ص) فان آزر عمه والعرب تقول للعم أب (المصحح)

إبراهيم

ونشأ ابراهيم فى زمان نمرود الجبار ، فلما خرج من المغارة التى كان فيها قلب طرفه فى السماء فنظر فى الزهرة فرأى كوكباً مضيئاً فقال (هذا ربى) فان له علواً وارتفاعاً ثم غاب الكوكب فقال إن ربى لايغيب ؛ ثم رأى القمر لما طلع فقال (هذا ربى) فلم يلبث أن غاب القمر فقال (لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين) فلما جاء النهار طلعت الشمس فقال (هذا ربى) هذا أنور وأضوأ فلما غابت الشمس قال غابت وربى لا يغيب ، كما قص الله خبره وأمره . فلما كملت سنه جعل يعجب إذ رأى قومه يعبدون الأصنام ويقول (أتعبدون ماتنحتون) فيقولون أبوك علمنا هذا فيقول ان أبى لمن الضالين . فظهر قوله فى قومه وتحدث الناس به وأرسله الله نبياً وبعث اليه جبريل فعلمه دينه فجعل يقول لقومه (إنى برىء مما تشركون) وبلغ خبره نمرود فارسل اليه فيها ثم جعل ابراهيم يكسر أصنامهم فيقول ادفعى عن نفسك فالهب نمرود ناراً ووضعه فى منجنيق ورمى به فيها فاوحى الله اليها أن (كونى برداً وسلاماً على ابراهيم) فجلس وسط النار ما تضره فقال نمرود من اتخذ الهاً فليتخذه مثل اله ابراهيم فآمن معه لوط وكان لوط ابن أخيه خاران بن تارخ . وأمر الله عز وجل ابراهيم أن يخرج من بلاد نمرود الى الشام الأرض المقدسة فخرج ابراهيم وامرأته سارة بنت خاران بن ناحور عمه ولوط بن خاران مهاجرين حيث امرهم الله فنزلوا أرض فلسطين وكثر ماله ومال لوط فقال ابراهيم للوط ان الله قد كثر لنا ما لنا وما شيتنا فانتقل بنا حتى تنزل مدينة سدوم وعمورة بالقرب من الموضع الذى كان فيه ابراهيم فلما صار لوط الى مدينة سدوم وعمورة ونزلها أتاه ملك تلك الناحية فقاتله وأخذ ماله فمضى ابراهيم حتى استنقذ ماله ووسع الله عزوجل على ابراهيم

فى كثرة المال فقال رب ما أصنع بالمال ولا ولد لى فأوحى الله عز وجل اليه انى مكثر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم ، وكان لسارة جارية يقال لها هاجر فوهبتها لابراهيم فوقع عليها فحملت وولدت اسماعيل ، وابراهيم يومئذ ابن ست وثمانين سنة وقال الله انى مكثر ولدك وجاعل فيهم الملك الباقى مدى الدهر حتى لا يدرى احـــد ما عددهم . فلما ولدت هاجر غارت سارة وقالت أخرجها عنى وولدها فأخرجها ومعها اسماعيل حتى صار بهما الى مكة فانزلها عند البيت الحرام وفارقهما فقالت له هاجر على من تدعنا قال على رب هذه البنية فقال اللهم انى أسكنت ابنى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ونفد الماء الذى كان مع هاجر فاشتد باسماعيل العطش فخرجت هاجر تطلب الماء ثم صعدت الى الصفا فرأت بقربه طائراً واقفاً فرجعت فاذا بالطائر قد فحص برجله الأرض فخرج الماء فجمعته لئلا يذهب فهى بئر زمزم ، وعمل قوم لوط المعاصى وكانوا يأتون الذكران من العالمين وذلك أن ابليس لعنه الله تعالى ترآى لهم فى صورة غلام أمرد ثم أمرهم أن ينكحوه فاشتهوا ذلك حتى تركوا نكاح النساء وأقبلوا على نكاح الذكران فنهاهم لوط فلم ينتهوا وجاروا فى الاحكام حتى ضرب بهم فى الجور المثل وقالوا: (أجور من حكم سدوم) وكان الرجل منهم اذا نال احداً بمكروه فضربه وشجه قال له أعطنى أجراً على فعلى بك ، وكان لهم حا كمان يقال لهما شقرى وشقرونى يحكمان بالجور والظلم والعدوان ولما كثر عمل قوم لوط وجورهم بعث الله عز وجل ملائكة لهلاكهم فنزلوا بابراهيم وكان يضيف الاضياف ويعمل القرى فلما نزلوا قرّب اليهم عجلا مشوياً فلما رآهم لا يأ كلون نكرهم فعرفوه بانفسهم وقالوا إنا رسل ربك لهلاك أهل هذه القرية يعنون سدوم القرية التى كان فيها قوم لوط فقال لهم ابراهيم ان فيها لوطاً (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته) وكانت سارة امرأة ابراهيم واقفة فعجبت من قولهم فبشروها باسحاق فقــالت (ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً كبيراً) وكان ابراهيم ابن مــائة سنة وهى

بنت تسعين فلما أتوا الى لوط ورأتهم امرأته دخنت لقومها فجاؤا الى لوط فقالوا ادفع الينا أضيافك فقال (لا تفضحونى فى ضيفى) فلما اكثروا صدهم جبريل فأعماهم فقالوا له انا مهلكوهم قال فمتى قالوا الصبح قال تؤخرونهم الى الصبح قال له جبريل (أليس الصبح بقريب) فلما كان السحر قال له جبريل اخرج ثم قلبها عليهم (ويقال) نزلت عليهم نار فلم ينج منهم احد ، وكانت امرأة لوط فيهم فمسخت ملحاً فما بقى منهم مخبر ، ووهب الله لابراهيم اسحاق بن سارة فعجب الناس من ذلك وقالوا شيخ ابن مائة سنة وعجوز بنت تسعين سنة فخرج اسحاق أشبه شىء بابراهيم ، وكان ابراهيم يزور اسماعيل وأمه فى كل وقت ، وبلغ اسماعيل حتى صار رجلا ثم تزوج امرأة من جرهم فزاره ابراهيم مرة فلم يلقه وكانت أمه قد ماتت فكلم امرأته فلم يرض عقلها وسألها عن اسماعيل فقالت فى الرعى فقال اذا جاء فقولى له غيّر عتبة بابك فلما انصرف اسماعيل من رعيه قالت له امرأته قد جاء هنا شيخ يسأل عنك فقال اسماعيل فما قال لك قالت قال لى قولى له غيّر عتبة بابك قال أنت خلية فطلقها وتزوج الحيفاء بنت مضاض الجرهمية فعاد اليهم ابراهيم من الحول فوقف ببيت اسماعيل فلم يجده ووجد امرأته فقال كيف حالكم قالت بخير قال هكذا فليكن ؛ أين زوجك قالت ليس بحاضر إنزل قال لا يمكننى قالت فاعطنى رأسك أقبله ففعل ذلك وقال اذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولى له تمسك بعتبة بابك فلما انصرف جاء اسماعيل فاخبرته امرأته بخبر ابراهيم فوقع على موضع قدمه يقبلها ثم إن الله تعالى أمر ابراهيم أن يبنى الكعبة ويرفع قواعدها ويؤذن فى الناس بالحج ويريهم مناسكهم فبنى ابراهيم واسماعيل القواعد حتى انتهى الى موضع الحجر فنادى ابراهيم أبو قبيس ان لك عندى وديعة فاعطاه الحجر فوضعه ، وأذن ابراهيم فى الناس بالحج فلما كان يوم التروية قال له جبريل تروّ من الماء فسميت التروية ، ثم أتى منى فقال له بت بها ، ثم أتى عرفات فبنى بها مسجداً بحجارة بيض ثم صلى به الظهر

والعصر ، ثم عمد به الى عرفات فقال له هذه عرفات فاعرفها فسميت عرفات ثم أفاض به من عرفات فلما حاذى المأزمين قال له ازدلف فسميت المزدلفة وقال له اجمع الصلاتين فسميت جمع ، وصار الى المشعر فنام عليه فأمره الله أن يذبح ابنه (فالرواية) تختلف فى اسماعيل واسحاق فيقول قوم انه اسماعيل لأنه الذى وضع داره وبيته واسحاق بالشام ، ويقول قوم انه اسحاق لأنه أخرجه وأخرج أمه معه وكان يومئذ غلاماً واسماعيل رجل قد ولد له ، وقد كثرت الروايات فى هذا وهذا واختلف الناس فيهما . فلما أصبح ابراهيم صار الى منى وقال للغلام زورنى بالبيت ، وقال لابنه ان الله أمرنى أن أذبحك فقال (يا أبت افعل ما تؤمر) فأخذ السكين وأضجعه على جمرة العقبة وطرح تحته قرطان حمار (١) ثم وضع الشفرة على حلقه وحوّل وجهه عنه فقلب جبريل الشفرة فنظر إبراهيم فاذا الشفرة مقلوبة ففعل ذلك ثلاث مرات ثم نودى (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) وأخذ جبريل الغلام وانحط الكبش من قلة ثبير فوضعته تحته فذبحه ، فاهل الكتاب يقولون انه كان اسحاق وانه فعل به هذا فى برّية الأموريين بالشام ، فلما فرغ ابراهيم من حجه وأراد أن يرتحل أوصى الى ابنه اسماعيل أن يقيم عند البيت الحرام وأن يقيم للناس حجهم ومناسكهم وقال له ان الله مكثر عدده ومثمر نسله وجاعل فى ولده البركة والخير ، وتوفيت سارة عند مصيرهم الى الشام فتزوج ابراهيم قطورة فولدت له أولاداً كثيراً وهم زمرن ويقشن ومدن ومدين ويشباق وشوح ، وتوفى ابراهيم وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر خلون من آب وكانت حياته مائة وخمساً وتسعين سنة .

---

(١) ـ القرطان : بضم القاف وقد تكسرهى البرذعة ، وقال الخليل : هى الحلس الذى يلقى تحت الرحل .

اسحاق بن إبراهيم

ولما توفى ابراهيم بالشام قام إسحاق بعده وتزوج رفقا بنت بتوئيل فحملت فثقل حملها فأوحى الله عز وجل الى اسحاق إنى مخرج من بطنها شعبين وأمتين فأجعل الأصغر أعظم من الأكبر فولدت رفقا عيصو ويعقوب توأمين وخرج عيصو أولا وخرج يعقوب بعده وعقبه مع عقب عيصو فسمى يعقوب ؛ وكان اسحاق يوم ولد له ابن ستين سنة وكان اسحاق يحب عيصو ورفقا تحب يعقوب وسكن اسحاق وادى جارر وكان قد ذهب بصره فقال لابنه عيصو خذ سيفك وقوسك واخرج فصدلى صيداً حتى آكل وأبارك عليك قبل أن أموت فسمعت رفقا أمه ذلك فقالت ليعقوب إصنع لأبيك طعاماً اذهب الى الغنم فخذ جديين فاصنع طعاماً وقربه لأبيك حتى تقع عليك البركة فقال أخاف أن يلعننى فقالت إن لعنك كانت لعنتك على فمضى يعقوب وأخذ جديين وذبحهما وطبخهما وقربهما اليه وكان عيصو مشعر الذراع فاخذ يعقوب جلد الجديين فوضعهما على ساعديه فلما قرب الطعام من أبيه قال النغمة نغمة يعقوب والمسحة مسحة عيصو ؛ ثم بارك عليه ودعا له وقال له كن رأساً على إخوتك وجاء عيصو بصيده فقال له اسحاق من قدّم الىّ الطعام فباركته ومباركاً يكون قال خدعنى أخى يعقوب قال له اسحاق قد جعلته رأساً عليك وعلى اخوته ثم دعا له وقال على سمية الأرض تنزل وأمر اسحاق يعقوب أن يصير الى حران فيكون عندلابان بن بتوئيل بن ناحور أخى ابراهيم وخاف اسحاق عيصو عليه وأمره أن لايتزوج من نساء الكنعانيين فصار الى حران الى خاله لابان ، فكان حياة اسحاق مائة وخمساً وثمانين سنة .

يعقوب بن اسحاق

ثم إن اسحاق قال ليعقوب إن الله قد جعلك نبياً وجعل ولدك أنبياء وجعل فيك الخير والبركة وأمره أن يسير الى الفدان وهو موضع بالشام فسار الى الفدان فلما دخلها رأى امرأة معها غنم على البئر تريد أن تسقى غنمها وعلى رأس البئر حجر لا يرفعه إلا عدة رجال فسألها من هى فقالت أنا ليا بنت لابان وكان لابان خال يعقوب فزحزح يعقوب الحجر وسقى لها وسار الى خاله فزوجه إياها فقال يعقوب ان التى كانت مسماة لى راحيل أختها فقال هذه اكبر وأنا أزوجك أيضاً راحيل فتزوجهما جميعاً ودخل بليا أولا فاولدها روبيل وشمعان ولاوى ويهوذا وأشاجر وزفولون وجارية يقال لها دينا ، ثم زوجه خاله بابنته الأخرى وهى راحيل فابطأ عليها الولد حتى عظم ذلك عليها ، ثم وهب الله سبحانه وتعالى له يوسف وبنيامين ووقع يعقوب بزلفا جارية كانت لليا فولدت منه كاذ وآشر ونفتالى . ووقع بوليدة راحيل فولدت دان (وقال قوم) ان يعقوب تزوج راحيل قبل ليا (وقال) أهل الكتاب تزوجهما جميعاً فى وقت واحد فماتت راحيل وبقيت ليا ، وكان يوسف أحب ولد يعقوب الى يعقوب لأنه كان أجملهم وجهاً وكانت أمه أحب نسائه اليه فحسده اخوته على ذلك فاخرجوه معهم وكان من خبرهم ما قصه الله عز وجل فى كتابه العزيز حتى بيع واستعبد وغاب عن أبيه أربعين سنة ثم ردّه الله سبحانه عليه وجمعهم يوسف بمصر على ما قصه الله فى كتابه . وولد ليوسف بمصر عدة أولاد فاقام يعقوب بمصر سبعة عشرة سنة ولما حضرته الوفاة أوصى يوسف أن لا يدفنه ولده بمصر ، وتوفى وله مائة وأربعون سنة .

ولد يعقوب

وكان ليعقوب من الولد اثنا عشر ذكراً : روبيل ، وشمعون ، ولاوى ويهوذا ، ويشاجر ، وزفولون ، ويوسف ، وبنيامين ، وكاذ ، وآشر ، ودان ونفتالى ، فهؤلاء بنو يعقوب وهم بنو اسرائيل وهم الأسباط ، وكان لروبيل من الولد حنوخ وفلو وحصران وكرمى وكان لشمعون من الولد نموئيل ويامين وشاوول ، وكان اللاوى من الولد جرشون وقهث ومرارى ، وكان ليهوذا من الولد عار ، وأونان ، وشيلا ، وفارص ، وزارح ، وكان ليشاجر من الولد تولع ، وفوا ، ويوب ، وشمرون ، وكان لآشر من الولد يمنا . وأشوا ، وأشوى وبريعا ، وسارخ وكان لزفولون من الولد سارد ، وأيلون ، ويحلائيل ، وولد ليوسف بارض مصر أفرائيم ، ومنشى . وكان لبنيامين بالع ، وبخر ، وأشبال ونعمان ، وأوخى ، ومفيم ، وحفيم وأرد ، وكان لكاذ من الولد ، صفيان وشونى ، وأصبون ، وعارى ، وأرودى ، وأرايلى ، وكان لنفتالى من الولد يحصيل ، وغونى ، ويبصر ، وشاليم ، فهؤلاء أولاد يعقوب وولد ولده الذين اجتمعوا بمصر عند يوسف مع ولد يوسف الذين ولدوا بمصر وأعطاهم أرضاً وقال ازرعوا فما خرج فلفرعون الخمس ، ولما حضرت يعقوب الوفاة جمع ولده وولد ولده فبارك عليهم ودعا لهم وقال لكل واحد منهم قولا وأعطى ليوسف سيفه وقوسه وقرّب اليه يوسف ابنيه منشى وأفرائيم فصير منشى على يمينه وأفرائيم عن شماله لأن منشى كان أكبر فقلب يده اليمنى على أفرائيم وأوصى يوسف أن يحمله ويدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق . ولما توفى يعقوب قاموا يبكون عليه سبعين يوماً ثم حمله يوسف وأخرج معه غلماناً من أهل مصر وصار به الى أرض فلسطين فدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق ولما فرغوا من دفن يعقوب قال لأخوته ارجعوا معى الى أرض مصر فخافوه فقالوا له قد أوصاك

أبوك يعقوب أن تغفر خطيئتنا قال لا تخشونى فانى أخشى الله فاطمأنت قلوبهم فرجعوا الى أرض مصر فاقاموا بها وعاش يوسف بمصر دهراً ثم حضرته الوفاة فجمع بنى اسرائيل وقال إنكم تخرجون بعد حين من أرض مصر اذا بعث الله رجلا يقال له موسى بن عمران من ولد لاوى بن يعقوب وسيذكركم الله ويرفعكم فأخرجوا بدنى من هـذه الارض حتى تدفنونى عند قبور آبائى ، ومات يوسف وله مائة وعشر سنين فصير فى تابوت حجارة وصير فى النيل . وكـان فى ذلك العصر أيوب النبى بن اموص بن زارح بن رعوئيل ابن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم وكـان كـثير المال فابتلاه الله تعالى بخطيئة أخطأها فشكر الله وصبر ثم رفع الله عنه البلاء ورد اليه ماله وأضعف له .

موسى بن عمران

وولد موسى بن عمران بن قهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمان فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب .

(ويقال :) كان اسمـه ظلمى ، وبنو اسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا فى زمان يوسف فى الرق والعبودية . وكان سحرة فرعون وكهنته قد قالوا له يولد فى هذا الوقت مولود من بنى اسرائيل يفسد عليك ملـكك ويكون به هلاكك وكان فرعون قد ملك مصر دهراً طويلا ممتعاً بالسلامة حتى قال أنا ربكم الأعلى فامر فرعون فوضع على كل امرأة حامل من بنى اسرائيل حرساً فكانت لا تلد منهن امرأة غلاماً إلا قتل ولدها فلما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة إنى اكتم عليك فلما ولدت قالت للحرس انما خرج منهـــا دم وأوحى الله الى أم موسى أن اعملى تابوتاً ثم ضعيه فيه وأخرجيه ليلا فاطرحيه فى نيل مصر ففعلت ذلك وضربته الريح فطرحته الى الساحل فرأته امرأة فرعون فـدنت منه حتى أخذته فلما فتحت التابوت ورأت موسى وقع عليه منها محبة فقالت لفرعون

نتخذه ولداً وطلبت له من ترضعه فلم يأخذ من الرضعات حتى جاءت أمه فاخذ منها وشب أحسن شباب وبلغ فى أسرع وقت مالايبلغ الصبيان ، وكان يوسف قد قال لبنى اسرائيل انكم لن تزالوا فى العذاب حتى يأتى الغلام الجعد ولد لاوى ابن يعقوب يقال له موسى بن عمران فلما طال الأمر على بنى اسرائيل ضجوا وأتوا شيخاً منهم فقال لهم كأنكم به فبينا هم فى ذلك إذ وقف عليهم موسى فلما رآه الشيخ عرفه بالصفة فقال له ما اسمك ؟ فقال موسى قال ابن من؟ قال ابن عمران فقام هو والقوم وقبلوا يديه ورجليه واتخذهم شيعة ، ودخل يوما مدينة من مدائن مصر فاذا رجل من شيعته ينازع رجلا من آل فرعون فوكزه موسى فقتله ونذر به فرعون وآل فرعون وأرادوا قتله فلما علم ذلك خرج وحيداً على وجهه حتى صار الى مدين وآجر نفسه من شعيب النبى ابن نويب بن عيا بن مدين بن ابراهيم على أن ينكحه إحدى ابنتيه ، فلما قضى موسى الأجـــل سار بامرأته يريد بيت المقدس على ما قص الله عز وجل من خبره فى كتابه العزيز فبينا موسى يسير فى طريقه إذ رأى ناراً فقصد نحوها وخلف أهله فلما دنا منها اذا شجرة تضطرم من أسفلها الى أعلاها ناراً فلما دنامنها تأخرت نفسه ووجل واشتد رعبه فناداه الله جل وعلا (يا موسى لا تخف إنك من الآمنين) فسكن عنه رعبه وأمره الله أن يلقى عصاه فالقاها فاذا هى حية كالجذع فامره الله أن يأخذها فصارت عصاً وبعثه الله تعالى الى فرعون وأمره أن يأتيه ويدعوه الى عبادة الله فعظم ذلك فى قلب موسى فقال الله إنى آمرك إلى عبد من عبيدى بطر نعمتى وأمن مكرى وزعم أنه لا يعرفنى وإنى أقسم بعزتى لولا العدل والحجة التى وضعتها بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار تغضب لغضبه السماوات والأرض ، فقال اللهم اشدد عضدى باخى هارون و (إنى قتلت منهم نفساً فاخاف أن يقتلون) فقال له الله قد فعلت ذلك فـ (اذهب أنت وأخوك بآياتى) فأخرجا بنى اسرائيل هذا أوان إخراجى إياهم من الرق والعبودية ، فردموسى امرأته الى أبيها وصار الى فرعون

هو وأخوه هارون وأعلمه ما بعثه الله به وخـــبر بنى اسرائيل فعظم سرورهم وعلموا أن يوسف صدقهم .

ثم ساروا الى باب فرعون وعليه مدرعة صوف وفى وسطه حبل ليف وفى يده عصاً فمنع من الدخول فضرب الباب بالعصا فانفتحت الأبواب ثم دخل فقال لفرعون أنا رسول رب العالمين بعثنى اليك لتؤمن به وتبعث معى بنى اسرائيل فاعظم فرعون ذلك فقال له ائت بآية نعلم بها صدقك (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان عظيم) قد فتح فاه وأهوى نحو فرعون فسأل موسى أن ينجيه عنه، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء من غير سوء - برص - وكان فرعون أراد أن يصدقه فقال له هامان أما فى عبيدك أيها الملك من يعمل مثل هـذا فاحضر السحرة من جميع البلاد وخبروا بخبر موسى، فاقاموا حيناً يعملون من جلود البقر حبالا مجوفة وعصياً مجوفة ويزوقونها ويصيرون فيها الزيبق ثم احموا المواضع التى أرادوا أن يلقوا فيها الحبال والعصى ثم جلس فرعون واحضره فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فلما حمى الزيبق تحرك ومشت الحبال والعصى فالقى موسى عصاه فا كلت ذلك كله حتى لم يبق منه شيء ونكص السحرة فقتل فرعون من قتل منهم وبعث الله موسى بآيات الى فرعون العصا ثم اليد التى خرجت من جيبه بيضاء ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم وموت الأبكار فلما اتصل بهم هذا قال له فرعون ان كشفت عنا الرجز آمنا واخرجنا معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم ولم يؤمنوا وأمر الله موسى ان يخرج بنى اسرائيل فلما أرادوا الخروج طلب جسد يوسف بن يعقوب ليحمله معه كما أوصى يوسف بنى اسرائيل فاتته شارح بنت آشر ابن يعقوب فقالت تضمن لى البقاء حتى ادلك عليه حتى ضمن ذلك لها فصارت به الى موضع من النيل فقالت له هو هاهنا فأخـذ موسى أربع صفائح ذهب فصور فى واحدة صورة نسر وأخرى صورة سبع وأخرى صورة انسان وأخرى صورة ثور، كتب فى كل صفيحة اسم الله الأعظم والقاه فى الماء

فطفأ التابوت - الحجارة - الذى كان فيه جسد يوسف وبقيت، فى يد موسى صفيحة واحدة فيها صورة ثور فوهبها لشارح بنت آشر وحمل التابوت وقفل موسى ببنى اسرائيل وهم ستمائة الف إنسان بالغ واتبعه فرعون وجنوده فغرقهم الله جميعاً وكانوا الف الف فارس (وقيل) هبط جبريل وفرعون وأصحابه يحاولون الدخول إثرهم واذ قد نزل جبريل بعد أن لم يخرج من خيل فرعون فرس واحد وكأن تحت جبريل مهرة وكان تحت فرعون فرس طويل الذنب فدخل جبريل البحر فنظر فرس فرعون الى مهرة جبريل فاقتحم إثرها البحر وتبعه أصحابه فغرقوا كلهم - أعنى فرعون وجميع أصحابه - وانطبق البحر عليهم وصار موسى الى التيه وجعل بنو اسرائيل يستعجلونه ليدخل الى الأرض المقدسة فاوحى الله الى موسى (إنها محرمة عليهم أربعين سنة) فأقاموا فى التيه وأشتد بهم العطش فاوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه الحجر فقام موسى مغضباً فضرب الحجر (فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً) لكل سبط عين يشربون منها فاوحى الله الى موسى انك ضربت الحجر قبل أن تقدسنى ولم تذكر اسمى وأنت أيضاً فلا تخرج من التيه وأمره أن يبنى فيه قبة الزمان ويجعل فيها الهيكل تابوت السكينة ويكون هارون كاهن ذلك الهيكل الذى لا يدخله غيره ، فجمع غزول نساء بنى اسرائيل فنسجت وجميع الحلى وعمل سرادقاً طوله مائة ذراع فى صدره الهيكل وفى صدر الهيكل تابوت السكينة وكان عمله ذلك فى السنة الثانية من خروجه من مصر وجعل فيه مائدة من ذهب وجعل للقبة أجراس ذهب وكلل القبة بالجوهر وجعل فيها مجمرة ذهب للدخنة وجعل فيها منارة ذهب مكللة بالجوهر فكان هارون وحده يدخل القبة ويقدس الله وموسى على الستر وسائر بنى اسرائيل فى السرادق وكانت غمامة تجلل القبة ولا تبرحها ، وأمرهم الله أن يقربوا قربانهم وقال لموسى قل لبنى اسرائيل يقربون قرباناً سليمة من العيوب من البقر والغنم ويجعلون شحم القربان على المذبح وينضحون الدم أيضاً عليه وما

كان من القربان فهو حل لبنى هارون خاصة حرام على غيرهم ومن أذنب منهم ذنباً فليقرب قرباناً لله عند المذبح على قدر ما يجد بقراً أو غنماً أو شفنينين أو فرخي حمام ، فاوحى الله عز وجل الى موسى أن يكتب العشر الآيات فى لوحى زمرّد فكتبها على ما أمره الله وهذه العشر الآيات :

١ - قال الله : إنى أنا الرب الذى أخرجتك من أرض بيت الرق والعبودية ولا يكون لك إله آخر دونى ولا تتخذ تمثالا ولا صنماً مشتبهاً بى من فوق السماء ولا تحت الأرض ولا تسجد لها ولا تعبدها من أجل أنا الرب الملك القاهر قاضى ديون الآباء عن الأبناء .

٢ - نقمى على الثلاث والرباع لمبغضى واصنع نعمى لمحبى وحافظ وصيتى الى ألوف الآلاف من المحبين لى الحافظين لوصيتى .

٣ - لا تحلف باسم الرب كاذباً لأن الله لا يزكى من حلف باسمه كاذباً .

٤ - واذكر يوم السبت لتطهره إعمل ستة أيام واسع فى أعمالك كلها واليوم السابع سبت الرب إلهك لا تعمل فيه شيئاً من الأعمال أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ونعمك وبهائمك والساكن فى قراك لأنه فى ستة أيام خلق الله السماء والأرض والنجوم وجميع مافرّع فى السماء فلهذا بارك الله اليوم السابع وطهره .

٥ - وأكرم أباك وأمك لتطول أيامك فى الأرض التى أعطاكمها الرب إلهك.

٦ - ولا تقتل . ٧ - ولا تزن . ٨ - ولا تسرق .

٩ - ولا تشهد على صاحبك شهادة كاذبة .

١٠ - ولا تشته بيت صاحبك ولا زوجة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من مال صاحبك .

وصعد موسى طور سينا ، فاقام أربعين يوماً فكتب التوارة ؛ فاستبطاه بنو اسرائيل فقالوا لهارون إن موسى قد ذهب ولا نظنه يرجع ثم عمدوا الى حلي

نسائهم فعملوا منها عجلا مجوفا وكانت الريح تدخله فتخور فيه فقال الله لموسى إن بنى اسرائيل قد اتخذوا عجلا وعبدوه من دونى فدعنى أهلكهم فدعا لهم موسى وقال يارب احفظ فيهم ابراهيم واسحاق ولا يشمت بهم أهل مصر ، وهبط موسى من الجبل بعد أربعين يوما فلما رأى العجل ورآهم عكوفا عليه اشتد غضبه فالقى الألواح وكسرها وأخذ برأس أخيه هارون فنظر الى العجل يخور فكسره وسحقه حتى صيره كالتراب وذراه فى الماء ، وقال لبنى لاوى جردوا سيوفكم واقتلوا من قدرتم عليه ممن عبد العجل فجرد بنو لاوى سيوفهم وقتلوا فى ساعة واحدة خلقاً عظيما ، وقال الله لهم أبيدوا من اتخذ إلهاً غيرى .

وأمر الله موسى أن يعد بنى اسرائيل ويجعل على كل سبط رجلا خيراً فاضلا وكان عددهم ممن بلغ العشرين سنة فما فوقها الى الستين ممن يحمل السلاح ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلا وكان عده اياهم بعد خروجهم من مصر بسنتين فكان رئيس بنى يهوذا نحشون بن عميناذاب وعدد من معه من سبطه أربعة وسبعون الفاً وستمائة رجل ، ورئيس بنى يشاجر المثيل بن صوعر وعدد من معه أربعة وخمسون الفاً وأربعمائة رجل ، ورئيس سبط زبلون الياب ابن حيلون وعدد من معه سبعة وخمسون الفاً واربع مائة رجل ، ورئيس سبط بنى روبيل اليصور بن شذياور وعدد من معه سبعة واربعون الفاً وخمسمائة رجل ورأس بنى شمعون شلوميال بن صورى شذاى وعدد من معه تسعة وخمسون الف رجل وثلاثمائة رجل ، ورأس بنى كاذ السيف بن دعوال وعدد من معه خمسة واربعون الفاً وستمائة وخمسون رجلا ، ورأس بنى افرائيم اليشمع بن عميهوذ وعدد من معه أربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس بنى منشا جمليال بن فدا صور وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً ومائتا رجل ، ورأس بنى بنيامين ابيذان بن جذعونى وعدد من معه خمسة وستون الفاً واربع مائة رجل ، ورأس بنى دان أخيعازر بن عميشذاى وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً وسبع مائة رجل

ورأس بنى آشر فجميال بن عحزن وعدد من معه أحد وأربعون الفا وخمسمائة رجل . ورأس سبط نفتالى اخيرع بن عينان ؛ وعدد من معه ثلاثة وخمسون الفاً وأربع مائة رجل . وكان بنو لاوى خدام قبة الزمان وحرسها فلم يدخلوا معهم وكانوا مخصوصين بالكرامة والقدس وخدمة قبة الزمان والتطهير .

فهذا عدد بنى اسرائيل ، واسم رئيس كل سبط منهم ومن كان معه من سبط على ما فى السفر الرابع من التوراة .

وأمر الله سبحانه موسى أن يقول لرؤساء أسباط بنى اسرائيل أن يقرب كل عظيم منهم قرباناً فكان قربان كل رجل منهم صحفة فضة من مائة وثلاثين مثقالا ومصفاة فضة من سبعين مثقالا وملء الصحفة سميد ملتوت بدهن ومدهن ذهب عشرة مثاقيل مملوأ طيباً وثوراً وكبشاً وحملا حولياً وحولية من المعزى وكان الذبح الكامل ثورين وخمسة اكبش وخمسة جداء وخمسة حملان حولية .

وأمر الله عز وجل موسى أن يقول لبنى اسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء مسلمة لا عيب فيها ثم يأخذ دمها فيرشه على حبال قبة الزمان ثم يحرقها وجلدها ثم ليأت رجل آخر فليجمع الرماد وليصيره فى موضع فاذا أراد أحد أن يطهر فليجعل فى الماء من ذلك الرماد فيكون طهوراً .

وأقام موسى وبنو إسرائيل فى التيه دهراً وكان طعامهم المن ؛ وكان المن مثل حب الكسبرة يطحنونه بالأرحاء ويجعلونه أرغفة فيكون طعامهم طيباً أطيب من كل شيء وكان ينزل عليهم بالليل ويجمعونه بالنهار ، فضجوا وبكوا وجعلوا يقولون من يطعمنا لحماً أما نذكرون ما كنا نأكل بمصر من النون والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والفوم فاشتد غم موسى لذلك وجعلوا يقولون أطعمنا لحماً ، فقال موسى : اللهم انى لا أقوى على بنى اسرائيل فاوحى الله اليه انى مطعمكم لحماً فبعث لهم السلوى وأعلمهم الله أنه يخرجهم الى الشام فبعث موسى الى الشام بيوشع بن نون وغيره الى أرض بنى كنعان ليأتوه بخبرها فقالت

بنو اسرائيل لا طاقة لنا بحرب الجبابرة وأذن الله لموسى أن ينتقم من أهل مدين فوجه باثنى عشر الف رجل من بنى اسرائيل فقتلوا جميع أهل مدين وقتلوا ملوكهم ، وكانوا خمسة ملوك : أوى ورقم وصور وحور وربع . وقتل بلعام ابن باعور فى الحرب وكان نبياً فاشار على ملك مدين أن يوجه بالنساء على عسكر بنى اسرائيل حتى يفسدوهم ، فغضب موسى من ذلك فامر الله موسى أن يقسم تلك الغنائم بين بنى اسرائيل ويأخذ منهم من كل خمسين واحداً فيجعله لله يدفعه الى ولد هارون ، ثم أمره الله أن يوجه بنى اسرائيل الى الشام يقاتلون من بها فوجه جيشاً عظيما فجعلوا يسيرون قليلا قليلا وينزلون ويقولون : إنا نخاف الجبارين فاقاموا بجبل ساعير فقال الله تعالى لموسى إن بنى اسرائيل عصوا أمرى فليشتروا الطعام بالثمن وليخضعوا الآن لمن كان يخضع لهم وكان ذلك بعد أن قتل موسى سيحون ملك الأمورى واستباح أرضه .

ولما كان فى سنة الأربعين من مقامهم فى التيه وهى برية سينا أوحى الله الى موسى إنى قابض هارون إلى فاصعد به الجبل ليأتى ملائكتى فتقبض روحه فاخذ موسى بيد هارون أخيه فلما صعد به الجبل ولم يكن معه إلا اليعازر بن هارون فلما صار على الجبل إذ سرير عليه ثياب فقال له موسى إلبس يا أخى هذه الثياب المطهرة التى أعدها الله لك لتلقاه فيها . فلبسها هارون ثم تمدّد على السرير فمات وصلى عليه موسى .

فلما لم يروا بنو إسرائيل هارون ضجوا وقالوا أين هارون ؟ قال لهم موسى قبضه الله اليه فاضطربوا وكان هارون محببا فيهم لين الجانب لهم فرفعه الله لهم على السرير حتى رأوا وجهه فعلموا أنه قد مات . وكانت سنى هارون يومئذ مائة وثلاثاً وعشرين سنة ، وكان له من الولد أربعة : نادب ، واليهو ، واليعازر وايتمر ، وتوفى فى حياته نادب واليهو وبقى اليعازر وايتمر ، وصار اليعازر مكان هارون يقدس فى قبة الزمان ، ودعا موسى يوشع بن نون وقال له بين يدى

اسرائيل سر وشد" قلبك فانك تدخل ببنى اسرائيل الى أرض بنى كنعان التى ورثهم الله ، وهذه التوراة ادفعها الى كهنة بنى لاوى الذين كانوا يقومون بتابوت السكينة ووقروا مقام الله واحفظوا وصاياه التى بينها لكم فى التوراة وأوصاهم أن يتبعوا ما فيها وبرك عليهم . وكان مما أوصى الله عز وجل به لبنى اسرائيل على لسان موسى أن قال لهم اذكروا اليوم الذى قمتم فيه قدام الله إذ قال الله لى : اجمع هذا الشعب قدامى فأسمعهم كلامى ليخشونى أيام حياتهم فقمتم فى أسفل الجبل والجبل يتوقد ناراً الى قلب السماء وكلمنى الله من جوف النار فسمعتم الصوت ولم تروا الشبه ، وأوصاكم الله أن تتعلموا العشر الآيات وأوصانى أن أعلمكم السنن والقضاء فتعملوا بذلك فى الأرض التى تصيرون اليها فاحتفظوا بأنفسكم ولا تصنعوا أصناماً مما يشبه ذكراً ولا أنثى ولا شيئاً مما يدب على الارض ولا مما يكون فى البحر ، ولا ترفعوا رؤوسكم الى السماء فتعبدوا النجوم إن الله قد أقسم لا أدخل الأرض الصالحة فانا ميت بهذه الأرض ولست أعبر الأردن ولكنكم ستعبرون وتصيرون الى الارض الصالحة التى جعلها الله لكم ميراثاً فلا تصلوا ميثاق الله ربكم الذى واثقكم به فتصنعوا الأصنام ، ولا تعملوا أعمال السوء قدام إلهكم لو قد صرتم الى الأرض الصالحة فتوشكوا إن عصيتم فتهلكوا وتفرقوا بين الشعوب ، وإن عبدتم ما يعمله أيدى البشر من خشب وحجارة لا يبصرون وتدعون فلا يسمع لكم دعاء إن الله الرحيم بكم يسمع أصواتكم وإن من سمع من الله مثل الذى سمعتم ورأى مثل الذى رأيتم لا ينبغى أن يعصى الله فقد رأيتم ماصنع الله باهل مصر وأنتم تنظرون فان الله هو الرب الذى ليس غيره الذى بصركم ناره وأسمعكم صوته وأحب آباءكم فاجتبى خلوفهم وأهلك لكم قوماً كانوا أعظم وأشد منكم وإن الله سيدخلكم الارض الصالحة ويجعلها ميراثاً لكم فاحفظوا سننه التى أوصاكم بها وأمركم بها ليحسن اليكم والى خلفكم من بعدكم ويكثر أيامكم فى الأرض ، إقبلوا وصية الله التى أمركم بها لا تزيغوا عنها يميناً ولا شمالا

واسلكوا كل طريق أوصاكم بها ربكم ليحسن اليكم ، أحبوا الله من كل قلوبكم ومن همكم ومالكم وقصوهن على أولادكم وأنموها وأتلوها فى بيوتكم إجعلوها علامة بين أعينكم واكتبوها فى منازلكم إن الله سيعطيكم قرى عظاماً لم تبنوها وبيوتاً مملوءة من الخير لم تملأوها وآباراً مطوية لم تحفروها وكروماً وزيتوناً لم تغرسوها فلا تنسوا الله واخشوه واعبدوه واحلفوا باسمه ولا تتبعوا إلهاً آخر احذروا غضب الله الذى يبيدكم عن وجه الارض ولا تخونوا الله واقبلوا أمره واعملوا خيراً وصدقا ، أذكروا إذ كنتم عبيداً لفرعون فاخرجكم الله بيد شديدة وآيات معجزات عظام ساقت فرعون وأصحابه الى الهلكة وأنتم تنظرون إن الله يقول لكم سأعطيكم البلاد الصالحة وأقدركم على الامم التى بين أيديكم وأظفركم بالجبارين والجرشيين والأموريين والكنعانيين والفرازيين والحويين والنابلسيين هؤلاء السبع الأمم الذين هم أكثر منكم وأشد فأذ ظفركم الله بهم فاضربوهم وارجموهم ولا ترحموهم ولا تعطوهم ميثاقا ولا تنكحوهم بناتكم لكيلا يكونوا لكم عثرة فيزيغون أولادكم عنى فيعبدون إلها غيرى فيشتد عليكم غضبى فابيدكم عاجلا ولكن أكسروا أصنامهم واعقروا مذابحهم واهدموا أنساكهم وأوقدوها ، انكم ان سمعتم وصيتى وعملتم بقضاياى فسأحفظ لكم نعمكم والميثاق الذى واثقت آباءكم وأكثركم وأثمر زرعكم وماشيتكم ، اجعلوا لله نصيباً فى أموالكم فواسوا منه اليتيم والأرملة والمسكين والضعيف والساكن معكم الذى لا زرع له ، اذا قضيتم بين اثنين فاعدلوا ولا تأخذوا الرشا فان الرشوة تعمى عيون الحكام ، ولا تغرسوا شجرة عند مذبح ، ولا تذبحوا قرباناً فيه عيب من ثور ولا كبش ، واقتلوا من يعمل الاصنام التى تعبد من دون الله ، واذا بلغكم أن أحداً يسجد للشمس والقمر والنجوم أو شىء من الانوار فافحصوا عنه فاذا علمتم صحته فارجموه بالحجارة حتى يموت ، ولا تقبلوا فى الاحكام الموجبة للقتل شهادة واحد ولكن شهادة شاهدين أو ثلاثة ، واذا شهد الشهود على من يجب عليه

القتل فليبدوا الشهود فليبسطوا أيديهم الى الذى يقتل فاذا أشكل عليكم الحكم فارجعوا الى الأحبار والكهان ، ومن قتل رجلا خطأ ولم يرده فليفر من ولى الدم حتى لا يدركه ، ولا تسفكوا دم برىء ، أيما رجل قتل رجلا بريئا تعمداً فليقتل ، ولا تقتلوا أحداً حتى تقوم عليه شهادة عند الحبر والقاضي على أن أحداً شهد بزور فعل بالشاهد ماأراد أن يفعله بالمشهود عليه والنفس بالنفس والعين بالعين واليد باليد والرجل بالرجل واذا أردتم قتال قوم فاتيتم قريتهم فادعوهم الى السلم فان أجابوكم فاجعلوا عليهم ضريبة فان لم يسلموا فاقتلوا كل من يحمل السلاح ولا تفسدوا شجرها ، وقال الله عز وجل لموسى اذا خرجت لقتـــال عدوك فامكنك الله منهم فرأيت فى السبي امرأة وأحببت أن تتخذها لنفسك فادخلها الى بيتك واكشف عن رأسها وقص أظفارها وأنزع عنها ثيابها التى سبيت فيها وأقعدها فى بيتك ثلاثة أشهر تبكى على أبيها وأمها ثم استحلها فان كرهتها بعد أن تمسها فأخرجها ولا تبعها ولا تأخذ لها ثمناً بعد أن وقعت ، وأيما ابن عصى أباه ولم يطعه ولم يقبل أمره فليخرجه أبوه الى شيوخ سبعة فيرجموه حتى يذهب الشر والفظيعة منكم ويحذر أمثاله من بنى اسرائيل ، واذا وجد أحد منكم ضالة قد ضلت من صاحبها من نعجة أو ثور أو حمار فليردها على صاحبها فان لم يجده فليحبسها فى بيته حتى يحضر صاحبها ، ولا تلبسوا ثوبا منسوجا بقطن وصوف جميعا واصنعوا خيوطا فى أطراف اكسيتكم ، وأيما رجل قذف امرأته ورماها بفجور فلم يصح عليها فليغرم مائة درهم وتكون امرأته آخر الدهر وان كان ما قذفها به حقا فلترجم ، وأيما رجل وجد يزنى بامرأة لها زوج فليقتلا كلاهما وأيما رجل غلب امرأة على نفسها فليقتل الرجل ، وأى رجل وقع على جارية تكون فى حجر أبيها فافتضها وأحبها فليعط أباها خمسين مثقالا فضة ولتكن امرأته آخر الدهر ولا يخل سبيلها ، ولا يحل لرجل أن يمس امرأة قد مسها أبوه ولا ينظر الى عورتها ، ولا يدخل الرجل الجنب مسجداً من مساجد الله ولا

تأكلوا بالفضة ولا ذهب ، واذا نذرتم فلا تؤخروا قضاءه ، وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم ولا تنقضوا العهد فان الله يحب من وفى بعهده ، اعتزلوا من كان به برص وتباعدوا منه ، ولا تحبسوا اجر الأجير ولا تأخذوا أبا بذنب أبنه ولا ابنا بذنب أبيه . وأدوا زكاة أموالكم وثمراتكم الى الحبر قربانا ، وأعطوا الفقراء والارامل واليتامى والمساكين وبنى السبيل ، واذا دخلتم الأرض الصالحة فاعملوا مذبحا للقدس من حجارة مستوية فليقل أحبار بنى اسرائيل ملعون من يحيف فى القضاء على المساكين واليتيم والأرملة ، ملعون من يضاجع امرأة أبيه ملعون من يضاجع دابة ، ملعون من يضاجع اخته وامه ، ملعون من يضاجع أم امرأته ملعون من يأكل لحم أخيه سرا ، ملعون من يأخذ رشوة فى قتل نفس زكية ظلما ، ملعون كل من لم يعمل بوصية الله .

ثم قال لهم موسى قد بلغتكم وصايا الله وعرفتكم أمره فاتبعوا ذلك واعملوا به فقد أتت لى مائة وعشرون سنة وقد حانت وفاتى وهذا يوشع بن نون القيم فيكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا أمره فانه يقضى بينكم بالحق وملعون من خالفه وعصاه وكانت بين وفاة هارون الى أن حضرت موسى الوفاة سبعة أشهر ثم صعد موسى الى جبل نابون فنظر الى الشام وقال الله له هــذه الأرض التى ضمنت لابراهيم واسحاق ويعقوب أن أعطيها خلفهم وقد أريتكها بعينك ولكنك لن تدخلها فمات فى ذلك الموضع ، فقبره يوشع بن نون ولم يدر أين قبره .

أنبياء بني اسرائيل وملوكهم بعد موسى

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون - وكان يوشع بن نون من شعب يوسف بن يعقوب - الى قبة الزمان فيقدس عليه ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته ويوصيه أن يقوم بعده فى بنى اسرائيل ففعل موسى ذلك ، فلما مات موسى قام يوشع بعده فى بنى اسرائيل ثم خرج من التيه بعد وفاة موسى بيوم .

(وقال بعض أهل الكتاب :) ثلاثين يوماً ، وصار الى الشام وفيها الجبابرة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح ، وكان أول من ملك منهم السميدع ابن هوبر فصار من أرض تهامة الى الشام يريد غزو بنى اسرائيل فوجه اليه يوشع ابن نون من قتله ثم قام بعده من بنى أبيه جماعة فقتلهم يوشع وسار يوشع حتى انتهى الى البلقاء فلقى رجلا يقال له (باق) وبه سميت البلقاء ، فجعلوا يخرجون يقاتلونه فلا يقتل منهم رجلا واحداً فسأل عن ذلك فقيل له إن فى مدينته امرأة منجمة تستقبل الشمس بفرجها ثم تحسب فاذا فرغت عرضت عليها الخيل فلا يخرج يومئذ من حضر أجله ، فصلى يوشع ركعتين ثم دعا أن يؤخر الله الشمس ساعة فأخرت له ساعة فاختلط عليها حسابها فقالت لباق أنظر ما كانوا يسألونك فأعطهم فان حسابى قد اختلط على . قال تصفحى آلتك وأخرجى منها فانه لا يكون صلح إلا بقتال فتصفحت الخيل على غير علم منها لاختلاط الأمر عليها فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم . فسألوا يوشع الصلح فابى عليهم حتى يدفعوا اليه المرأة فقال بالق لا أدفعها ، فقالت ادفعنى اليه فدفعها اليه وصالح فقالت له هل تجد فيما أنزل على صاحبك قتل النساء ؟ قال لا ، قالت فانى قد دخلت فى دينك قال

فاسكنى فى مدينة أخرى فأنزلها مدينة أخرى ، ولما افتتح يوشع بن نون البلقاء اكثر بنو اسرائيل الزناء وشرب الخمور ووقعوا على النساء وكثرت فيهم الفاحشة فعظم ذلك على يوشع بن نون وخوفهم الله وحذرهم سطوته فلم يحذروا فأوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون إن شئت سلطت عليهم عدوهم وإن شئت أهلكتهم بالسنين وإن شئت بموت حثيث عجلان ؟ فقال هم بنو اسرائيل ولا أحب أن تسلط عليهم عدوهم ولا يهلكوا بالسنين ولكن بموت حثيث فوقع فيهم الطاعون فمات فى وقت واحد سبعون الفاً . وكانت أيام يوشع فى بنى اسرائيل بعد موسى بن عمران سبعاً وعشرين سنة .

ثم كان على بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون دوشان الكفرى ؛ فلبث فيهم ثمانى سنين ، ثم كان بعد دوشان عثنايل بن قنز أخى كالب من سبط يهوذا بن يعقوب أربعين سنة ؛ وقد كان كثر ظلم بنى اسرائيل وعتوهم فسلط الله عليهم كوشان جبار مؤاب ، فلما ملك عثنايل قتل كوش وملك أربعين سنة ، ثم ارتدت بنو اسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم عقلون ملك مؤاب خمس عشرة سنة ثم تابوا ، فبعث الله لهم رجلا يقال له أهود بن جيرا من سبط افرائيم فقتل عقلون ملك مؤاب وكان يقاتل بشماله ويمينه فسموه ذا اليمينين وهو أول من طبع السيوف ذوات الحدين وكانت قبله ذوات أقفية وفى زمانه بنيت البنية بالشام وفى خمس وعشرين سنة من ملك أهود تم الألف الرابع .

ثم ارتدت بنو اسرائيل بعد أهود فسلط الله عليهم يابين ملك كنعان عشرين سنة وكان سمجر بن عانات قد ملك على بنى اسرائيل قبل ؛ فقتل من أهل فلسطين ستمائة رجل ثم إن الله رحمهم فبعث اليهم رجلا يقال له بارق بن ابينعم من سبط نفتالى فملكهم أربعين سنة ، ثم ارتدت بنو اسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم أهل مدين سبع سنين ، ثم ان الله تعالى رحمهم فبعث اليهم رجلا يقال له جدعان بن يواس من سبط منشا وكان صالحاً وهو الذى بيت أهل مدين فقتل

منهم مائتي الف وخمسة وثمانين الفاً وملكهم أربعين سنة . ثم ملك بعده ابنه ابيملك بن جدعون وكان ابن سوء وهو الذى قتل سبعين أخاً كانوا له فقتلته امرأة ورمته بحجر من فوق باب المدينة فشدختة . وكان ملكه ثلاث سنين ، ثم ملك تالع بن فواى من سبط يشاجار فاقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم ملك جلعاد من سبط منشا وكان له ثلاثون ابناً يركبون معه على ثلاثين مهراً وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ثم ارتدت بنو اسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم بنى عمون سبع عشرة سنة ، وفى زمانه بنيت مدينة صور بالشام وسامهم سوء العذاب ثم ان الله تعالى رحمهم فبعث لهم رجلا من أهل جلعاد اسمه « يفتح » فقتل من بنى اسرائيل من آل أفرائيم اثنين وأربعين الفاً وكان من سبط منشا، وكان ملكه ست سنين . ثم كان عليهم أبيصان الذى يدعى نخشون سبع سنين ؛ ثم كان عليهم أيلان من سبط زبلون عشرين سنة ، ثم كان عليهم عكران ثمانى سنين ، ثم كان عليهم الانكساس فسامهم سوء العذاب وسلط عليهم أشد التسليط أربعين سنة ثم كان عليهم شمسون عشرين سنة ، ثم لبثوا ليس عليهم أحد اثنتى عشرة سنة ثم كان عليهم عالى الأحبار أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمويل النبي وهو الذى ذكره الله تعالى (اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله) فلما قالوا لشمويل النبي سل الله أن يبعث لنا ملكاً حتى يقاتل عدوه ؛ وقال انه لا وفاء لكم ولا صدق نية ، وقالوا : بلى ؛ قال فان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً واسمه « شاول » قالوا : والله ما هو من سبط الملك والنبوة ، ما هو من ولد لاوى ولا يهوذا وانما هو من سبط بنيامين ، قال شمويل : فليس لكم أن تختاروا على الله فدعا شمويل شاول وهو طالوت فقال له ان الرب أمرنى أن أبعثك ملكاً على بنى اسرائيل والله يأمرك أن تنتقم من عمليق فأهلك عمليق وكل ماله ولا تبق له شيئاً من رجل ولا امرأة ولا صبى رضيع ولا عجل ولا شاة ولا بعير ولا حمار وأوصى الجماعة كلها بهذا ؛ وكان عددهم أربع مائة الف مقاتل فأقبل شاول الى

عمليق فقتل أصحاب عمليق وأسرع أغاغ ملك العمالقة فأخذه حياً فاستبقاه وامتنعوا من إتلاف شيء من البقر والغنم وأبقوا لأنفسهم ، فأوحى الله تعالى الى شمويل إن شاول عصانى ولم يهلك عمليق وكلما حواه ملكه ، فقال شمويل لشاول ان الله قد غضب من فعلك فدعا شاول باغاغ فقال ما أمر الموت ؟ قال الذبح فذبحه ، ثم قال شاول لشمويل أمض معى لنسجد بين يدى الله تعالى فامتنع فامسك رداء شمويل فخرقه فقال شمويل كذا ينخرق ملكك وارتفعت النصرة عن شاول ودخلته ريح سوء وكان يضطرب ويتغير لونه ، فقالوا له أصحابه لو أتيت بانسان حسن الصوت من الشعارير يقرأ عليك اذا دخلتك هذه الريح السوء فأرسل الى أيشا ابعث الى داود ابنك فبعث به اليه فكان اذا خنق شاول أخذ داود قيتارة بيده وتكلم عليها فيذهب عنه الريح السوء ؛ ثم اجتمع الحنفاء الذين كانوا فى وقت شاول فقاتلهم وهم عبدة النجوم وخرج اليهم شاول فى جموعه فخرج منهم رجل طوله خمس أذرع يقال له « غلياث » وهو جالوت فقال يبرز لى منكم رجل واحد ؟ فقال داود لشاول أنا أبرز اليه ، فقال لداود انطلق والرب يكون معك فأخذ عصاً وخمسة أحجار وخرج الى غلياث فلما رآه احتقره فقال له الى كلب خرجت بعصاً وحجر فقال له الى أشد من الكلب ثم أخذ حجراً من مخلاته ورماه به حتى غاب الحجر فى جبهة جالوت وسقط فسعى اليه داود فاخذ سيفه وحز رأسه وأخذ راجعاً فانهزم عسكر غلياث واشتد سرور بنى يهوذا فاغتم شاول وحسد داود فطرده عنه وصيره رئيساً على الف ونفاه بمكان بنى يهوذا وتزوج ميخل بنت شاول وكان شاول يريد قتل داود فكان يوجهه يقاتل الحنفاء عبدة النجوم فيفتح الله عليه فهم أن يقتله بغير حيلة فهرب داود فجاء الى شمويل النبى فخبره بخبر شاول ولم يزل شاول يحاول قتل داود حتى هرب ، فمر باخيش ملك جات فلما رآه عرفه فتحيل عليه داود حتى أطلقه فصار الى سارع فنزلها ولما علم شاول أنه قد فاته قتل الكهنة الذين كانوا يقدسون وقال قد علمتم به ولم

تخبروني ثم خرج شاول في طلب داود حتى أدركه فدخل داود مغارة فلما صار شاول عند المغارة نزل لحاجته فدخل المغارة وهو لا يعلم أن داود فيها فقام داود فتوارى ، فقال له أصحابه : يا داود اقتله فقد أمكنك الله منه ؟ قال ما كنت لأفعل ، وتوفى شمويل النبي فاجتمعت بنو اسرائيل وأعظموا ذلك وناحوا عليه ثلاثين يوماً وخرج شاول يقاتل الحنفاء والتحم القتال بينهم فهزموا بني اسرائيل وقتل منهم خلق عظيم وكان داود بن ايشا يقاتل العماليق مع قومه من ولد يهوذا فلما انهزم عن شاول جميع بني اسرائيل قام هو وولده يحارب ثم قال لصاحبه الذي يحمل سلاحه خذ سيفك فاقتلني به لئلا يقتلني هؤلاء القلف ويلعبوا بي فلم يفعل فأخذ شاول سيفه فأقامه ثم ألقى نفسه عليه فمات وقتل أولاده الثلاثة وكان ملك شاول أربعين سنة .

داود

ولما مات شاول - وهو طالوت - إنصرف داود من قتال عمليق الى سقلاغ فاقام بها يومين ثم أتاه الخبر بموت شاول فحزن لذلك وأظهر جزعاً وملك داود على بني يهوذا . وكان لداود عدة نسوة قد ولدن منه أولاداً فكان أكبر أولاده أمنون وأمه شيتموم ، والثاني دالويا بن اريخايل ، والثالث أبا شلوم بن موخا ، والرابع ارينا بن دحات ، والخامس سفاطيا بن أبيطال ، والسادس ناتان بن أغلا ، فهؤلاء الستة من ست نسوة ولم تلد ميخيل بنت شاول فهربت من داود الى أصحاب شاول ، واجتمعت بنو اسرائيل من الأسباط على تمليك داود فملكوه بعد سبع سنين ملكها على بني يهوذا خاصة الى أن ملكته جميع أسباط بني اسرائيل ، وينزل داود مدينة صيون وهي ببيت المقدس وبنى بها منزلا وتزوج النساء فولد له بعد أن ملك سمون وسوباب ونوتان وسلامان ويابار واليشوس ونافاق ويافيا واليشماس والسنايا واليفلات . فكثر أولاد داود

وعز ملكه وأعظمته بنو اسرائيل ، وسمع الحنفاء أن داود ملك على بنى اسرائيل واجتمعوا لقتاله فقاتلهم داود فقتل فيهم قتلا كثيراً حتى أبادهم فلما فرغ من قتالهم حمل تابوت السكينة على عجل حتى أدخله مدينة بيت المقدس وصنع طعاماً لبنى اسرائيل لرجالهم ونسائهم وكان فى ذلك العصر ناتان النبى فاوحى الله الى ناتان : قل لعبدى داود ابن لى بيتاً فقد ملكتك على بنى اسرائيل بعد أن كنت فى صيرة الغنم وقتلت أعداءك فقال ناتان النبى لداود فعظم فى قلب داود .

(ويقال) : إن ناتان كان ابن داود وقاتل داود الحنفاء فهزمهم وقاتل أهل مؤاب وهزمهم وقاتل أدد ازار ملك سوبا فهزمه وأخذ له الف مركب وسبعة آلاف من الخيل واجتمع أهل الشام ودمشق مع أدد أزار ليقاتلوا داود فقتل منهم اثنين وعشرين الفاً ، واستحوذ على الأرض فكان أهل الشام جميعاً عبيداً له ثم اجتمعوا جميعاً على محاربة داود فوجه اليهم يؤاب ابن اخته وأبيشا أخاه ثم خرج داود حتى عبر نهر الأردن فقتل من القوم أربعين الفاً وقتل أشان رأس القوم ، ثم وجه يؤاب ابن اخته لقتال بنى عمون الى أسافل الشام ورجع الى بيت المقدس فقام يمشى على سطح له إذ نظر الى برسبا بنت اليات امرأة أوريا ابن حنان الشطى فسأل عنها فاخبر بحالها وأنها امرأة أوريا بن حنان فوقعت فى قلبه فارسل الى أوريا بن حنان فاقدمه عليه ثم كتب الى يؤاب ابن اخته أن قدم أوريا أمام الخيل يحارب فقدمه يؤاب فقاتل فقتل (١) وأرسل داود الى امرأته

---

(١) ـ هذا وما هو أشنع منه مما هو فى صموئيل الثانى من كتب العهد القديم لا ريب أنه من الخرافات التى لم يثبت بها نقل ودحرته نواميس الأديان واستفاضت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بتفنيده ، وقد أغرق نزعاً فى تكذيبه سيدنا المرتضى علم الهدى فى كتابه (تنزيه الأنبياء) ولم يدع شيخنا الحجة البلاغى فى كتابه (الهدى) ملتحداً عن القول بان ذلك من مختلقات القصاصين ، وإنك لا تجد من محققى العلماء من يعطف على تلك الخرافة نظر القبول بل ينكرها أشد الانكار ـــ

فتزوجها وأحبلها فارسل الله اليه الملكين على ما قص فى كتابه جل وعز وأرسل اليه ناتان النبي فقال له يا داود ألم يأمرك الله أن تعدل فى القضاء وتحكم بالحق ولا تتبع الهوى ؟ قال بلى ، قال : فهذان رجلان يسكنان مدينة واحدة أحدهما غنى والآخر فقير وكان للغنى مواش وبقر كثيرة ولم يكن للفقير شيء إلا رخلة واحدة صغيرة رباها فشبت معه ومع أولاده فكانت تأكل من طعامه وتشرب من كأسه وتنام فى حجره ونزل بالغنى ضيف فلم يأخذ من بقره وغنمه شيئاً وأخذ رخلة الفقير فهيأها لضيفه ، فغضب داود وقال : أهل أن يموت ويغرم بتلك الرخلة سبعة أضعاف ؟ فقال ناتان النبي لداود أنت الرجل الذى فعلت هذا إن الرب إلهك يقول لك أنا الذى جعلتك ملكاً على بنى اسرائيل بعد أن كنت راعى غنم وأنقذتك من يدى شاول وأعطيتك بيت اسرائيل وبيت يهوذا ففعلت هذا فلأنتقمن منك باشر ولدك ولأسلطنه عليك وعلى نسائك ، فعظم ذلك على داود ، فقال له ناتان ان الله قد تجاوز عن سبيلك فلن تموت ولكنه ينتقم منك بشر بنيك ، وأعلمه الله أن ولده الذى ولدته المرأة يموت ، فجزع داود واشتد جزعه واشتكى الصبي فلما اشتدت علته صام وقام ليصلى ويبكى ويتمرغ بالشعر على الأرض ، فلما توفى الصبي أعظم خول داود أن يخبروه بذلك حتى سمع بوشوشتهم فعلم فغسل وجهه ولبس ثيابه وجلس فى مجلسه ودعا بطعامه وقال إنما

ـــ والأصل فيه ماثبت بالبراهين القطعية من وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يعرض النبي المؤمن المجاهد للقتل لمحض أن ينكح امرأته ، ولا يفعل مافى صموئيل الثانى من الزنا بالمحصنة وهى امرأة أوريا وزوجها مجاهد ، ثم إنه لا يسترد المجاهد فيسكره ليضاجعها فى سكره فيموه أمر الحمل من الزنا واذا أعيت الحيل عرضه للقتل ، كل ذلك مما يربى بنفسه عنه الدنابى فضلا عن الأنبياء عليهم السلام ، وكل ما ذكره المؤلف هنا مما لا يلائم الصحيح من تاريخ داود «ع» كأنه مأخوذ من العهد القديم المملوء من الخرافات (م . ص)

كنت أحزن قبل أن يهلك فاما الساعة فان حزنى لا يرده الى بل أنا أذهب اليه ثم واقع برسبا فحملت غلاماً فسماه سليمان .

ثم إن ابيشا لوم بن داود قتل أخاه امنون وذلك أنه اتهمه باخت له من أمه فقتله وخرج على داود ، وكان أبيشا لوم عظيم الجسم كثير الشعر فبعث اليه داود من رده حتى رجع ، ثم خرج عليه ثانية فهرب منه داود ماشياً على رجليه حتى صعد عقبة طور سينا وبلغ منه الجوع حتى لحقه رجل معه خبز وزيت فأكل منه . ودخل ابيشا لوم مدينة أبيه وصار الى داره وأخذ سرارى أبيه فوطئهن وقال ملكنى الله على بنى اسرائيل وخرج ومعه اثنا عشر الفاً فطلب داود ليقتله فهرب داود حتى جاز نهر الأردن فلما جاز اجتمع اليه جماعة من أصحابه ولفيف من القرى فرجه يؤاب ولده ليحارب أبيشا لوم وقال له خذه لى حياً صحيحاً فخرجوا فحاربوه ، وكان أبيشالوم على بغل فدخل تحت شجرة بطم فتعلق بها فاندقت عنقه ورماه يؤاب بثلاثة اسهم وطرحه فى جب ، فلما أتى داود الخبر جزع عليه جزعاً شديداً ورجع داود الى موضعه .

وخرج على داود بعد ذلك أزلا ومعه جبابرة فحاربهم فقتلهم فلما قتلهم وأنقذه الله منهم قام يقدس الله ويسبحه فقال فى تقديسه إياك يارب أعبد ولك أخلص محبتى فانك قوتى وعدتى وملجأى ومخلصى بعد أن أحاطت بى سكرات الموت وقربت منى واحتوت على أحداث الهلكة فدعوتك فى ضيق واستغثت بك يا إلهى فسمعت صوتى فاستنقذتنى من الذين اعتورونى واضطهدونى وكنت ناصرى فاخرجتنى من الضيق الى الفرج فما أعدلك يارب وأنصرك للمتوكلين عليك لأنه لا رب غيرك فألهمنى القوة وبصرنى طريق الرشد وثبت قدمى بين يديك وشدد ساعدى ولا تقدر على أعدائى وهب لى طاعة بنى اسرائيل وصيرهم خولا خاضعين وألهمنى شكرك .

وكان داود اذا سبح الله بهذا الكلام رفع صوتاً حسناً لم يسمع مثله وكان

اذا قرأ الزبور قال طوبى لرجل (. . . . .) فى سبيل الأئمة لم يسلك وفى مجالس المستهزئين لم يجلس ولكن هواه سنة الله وبسنته تعلم الليل والنهار يكون كشجرة غرست على شط الماء تؤتى أكلها كل حين ولا يتناثر ورقها وليس كذلك المنافقون فى القضاء ولا الخاطئون فى مجمع الأبرار من أجل أن الله يعلم سبيل الأبرار وسبيل الائمة يبطل ثم يقول سبح الله من فى السماء وليسبحه من فى العلى ولتسبحه ملائكته كلها ولتسبحه جنود كلها ولتسبح له الشمس والقمر ولتسبح له الكواكب والنور وليسبح لاسم ربنا الماء الذى فوق السماء وذلك بانه قال لكل شيء كن فكان وهو خلق كل شيء وبرأه وجعلهن دائمات الأبد وقدّر كل شيء منهن تقديراً وجعل لهن حداً ومنتهى لا يجاوزنه فليسبح الله من فى الارض والنار والبرد والثلج والجليد فانه خلق الريح العاصف بكلمته ، سبحوا الله تسبيحاً حديثاً فى مسجد الصديقين وليفرح اسرائيل بخالقه وان بنى صيون يكبرون ربكم ويسبحون اسمه بالدف والطبل والكبر ، يكبرونه : من أجل أن يسر الله بشريعته ويعطى المساكين النصر ليشيد الصديقون بالكرامة ويسبحون على أسرتهم ويكبرون الله على حناجرهم وسيف ذو شفرتين بأيديهم لينتصروا الشعوب ويتعظ الامم فيوثقوا ملوكهم فى القيود وذوى الكرامة بسلاسل من حديد ، ليفعل بهم القضاء الذى كتب والحمد لله لكل الصديقين سبحوه فى سماء عزته سبحوه بحـــوله وقوته سبحوه بعظمته سبحوه بصوت العزف سبحوه بالقيثارة والكبر (١) سبحوه بالبرابط والزمر سبحوه بالاوتار والكبر الطويل الحلمات سبحوه فى صلاصل السمع سبحوه بالأصوات العلى والندا سبحوا ربنا

(١) ـ القيثارة : بكسر القاف وسكون الياء ثم التاء المثناة ، وتقال بالثاء المثلثة أيضاً ، آلة للطرب ذات أوتار ، والكلمة من الدخيل ، والكبر : بفتحتين الطبل أو الطبل ذو الرأسين أو الطبل الذى له وجه واحد ، والبرابط : جمع بربط هو العود والمزهر . (م . ص)

تسبيحاً خالصاً كل نفس بنفس ، ثم يقول داود فى آخر الزبور إنى كنت آخر إخوتى وعبد بيت أبى وكنت راعى غنم أبى ويدى تعمل الكبر وأصابعى تقص المزامير فمن ذا الذى حدّث ربى عنى هو ربى وهو الذى سمع منى وأرسل الى ملائكته فانزعنى من غنم إخوتى هم اكبر منى وأحسن فلم يرضهم ربى فبعثنى للقاء جنود جالوت فلما رأيته يعبد أصنامه أعطانى النصر عليه فاخـــذت سيفه فقطعت راسه .

ثم إن بنى اسرائيل وقعوا فى داود فاشتد غضب الله عليهم فأمر الله داود أن يحصى عدد بنى اسرائيل فأحصاهم فوجدهم ثمان مائة الف رجل بطل وعـدد بنى يهوذا خمسمائة الف رجل فبعث الله حيرام النبى الى داود وقال له قل لداود اختر واحدة من ثلاث إما أن يكون جوع سبع سنين وإما أن تدفع الى اعدائك فيعزونك ثلاثة أشهر ويطرحونك من سلطانك وإما أن يكون موت شـديد ثلاثة أيام فضاق داود لذلك وقال ربنا أولى بنا من خلقه فسلط الله عليهم الموت فمات فى ساعة واحـدة سبعون الف رجل فقال داود يارب انى أنا أسأت فما ذنب هؤلاء الذين يشبهون البهائم فأوحى الله اليه أن ابن لى هيكلا فى بيدر اليبوسانى فصعد داود الجبل حتى اشترى البيدر بخمسين أستاراً وابتنى هنـاك مذبحاً فكف الموت عن بنى اسرائيل ، وكان داود قـد أسن وضعف بدنه وكان له ابن يقال له ادونياس فاستمال يؤاب صاحب حروب داود وقوماً من قواد داود وقال لهم قد كبر الملك داود وأنا أولى أن أقوم مقامه فلما بلغ داود ذلك أرسل الى سادوق (١) الكاهن وناتان النبى فقال لهم اجمعوا أهل المملكة واحملوا سليمان ابنى على بغلتى وأجلسوه على منبرى فقد جعله الله رأساً على بنى اسرائيل والله يعظم ملكه ويرفع شأنه فمضوا مع سليمان حتى عـلا منبر داود

(١) ـ وقيل عالى ، والكاهن فى لغتهم كوهن ، ومعناه : العالم الإمام ، وكان هذا الكاهن رجلا صالحا . (كذا فى هامش الأصل) .

واجتمع عليه أهل المملكة فقال داود هكذا أعلمني الله أن يملك سليمان ابنى وعيناى تنظر اليه ، وكان سليمان يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة ثم اشتدت على داود علته فاوصى سليمان وقال أنا ماض فى سبيل كل أهل الأرض لا تمأن (١) فاعمل بوصايا الرب إلهك واحفظ مواثيقه وعهوده ووصاياه التى فى التوراة المنزلة على موسى بن عمران ؛ ومات داود وله مائة وعشرون سنة وكان ملكه أربعين سنة .

سليمان بن داود

ولما قبض الله عز وجل داود قام مكانه سليمان نبياً وملكاً ، فسخر الله له الجن والإنس والرياح والسحاب والطير والسباع وآتاه ملكا عظيماً كما قص فى فى كتابه العزيز ؛ ومال يؤاب صاحب حروب داود وقوم من أصحابه مع أخوة سليمان ليفسدوا على سليمان ملكه فقتلهم سليمان من عند آخرهم وقتل أدونياس أخاه ، فصلح الملك لسليمان وثبت سلطانه وتزوج بنت فرعون ملك مصر ودخل بها فى بيت داود وجمع سليمان بنى اسرائيل ليقرب قرباناً فقرب الف ذبيحة فرأى سليمان فى ليلة كأن الرب يقول له سل ما أحببت لأعطيك فقال سليمان أنت يارب أنعمت على داود النعمة العظيمة وصيرت عبدك سليمان ملكا بعده فأعطنى قلباً حكيما لأحكم بالعدل وأفهم الخير والشر ؟ فقال الله : لأنك طلبت هذا الأمر ولم تطلب مالا ولم تطلب أنفس أعدائك ولم تطلب طول العمر لكنك طلبت حكمة تفهم بها الحكم والقضاء فقد استجبت لك وأعطيتك قلباً فهيماً بصيراً الى الأمر الذى لم يكن لأحد قبلك ولا يكون بعدك مثلك وأعطيتك مالم تطلب من الأموال والعتاق والكرامة وأنت ان سلكت فى طريقى وحفظت شرائعى ووصاياى كما حفظ داود أبوك أطيل عمرك وأعظم أمرك

(١) ـ لا تمأن أى لا تحذر ولا تتق

فكان سليمان يجلس للقضاء ويحكم بين بنى اسرائيل فيعجبون لحكمه وعدل قضائه وقوله وحسن لفظه ، وكان لسليمان قواد ووزراء وكتاب ووكلاء . فكان وزيره زابود بن ناثان ، وعلى حروبه بنايا بن يويادع ، وخازنه أبيشار . وعلى الخراج ادونيرام بن عبدا ، وكان له اثنا عشر وكيلا على نفقاته يقوم كل وكيل بنفقة شهر ، وكانت نفقاته على أسباط بنى اسرائيل ، وكانت وظيفته كل يوم ثلاثين كراً من الدقيق السميد وستين كراً من دقيق الخشكار وعشرة ثيران معلوفة وعشرين ثوراً ومائة كبش ، وكان له أربعون الف آرى (١) معلق عليها دوابه وكان معجباً بالخيل ، وقد قص الله من خبره فيها ما قص .

وابتدأ سليمان فى بناء بيت المقدس وقال : ان الله أمر أبى داود أن يبنى بيتاً وان داود شغل بالحروب فأوحى الله اليه أن ابنك سليمان يبنى البيت باسمى فأرسل سليمان فى حمل خشب الصنوبر وخشب السرو ، ثم بنى بيت المقدس بالحجارة فاحكمه ولبسه الخشب من داخل وجعل الخشب منقوشاً وجعل له هيكلا مذهباً وفيه آلة الذهب ، ثم أصعد تابوت السكينة فجعله فى الهيكل وكان فى التابوت اللوحان اللذان وضعهما موسى . ولما وضع سليمان تابوت السكينة قام بين يدى الهيكل وقد اجتمعت جموع بنى اسرائيل فسبح الله وقدسه واثنى عليه بآلائه اذ ملكه على بنى اسرائيل وأجرى بناء بيت المقدس على يده ، وكان يجتمع اليه بنو اسرائيل ويقول تبارك وتعالى الرب الذى وهب الراحة لأسرائيل وتمت كلماته الصالحة فلم يسقط شىء منها مما قاله لعبده موسى ونسأل الله ربنا أن يكون معنا كما كان مع آبائنا ولا يرفضنا ولا يخذلنا ويقبل بقلوبنا اليه لنسلك الطريق التى يرضاها ونحفظ سننه وعهوده ووصاياه وأحكامه التى أمر آباءنا بها ويجعل

---

(١) ـ الآرى : بالمد وتشديد الياء وقد تخفف عود يعرض فى حائط أو فى حبل يدفن طرفاه فى الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيه الدابة ، ويسمى الآخية أيضاً . (م ص)

قولنا قريباً منه ورضياً عنده وقلوبنا سالمة له حافظة لأمره .

ولما فرغ سليمان من بيت المقدس عمل عيداً وقرّب فيه الذبائح فاقام أربعة عشر يوماً يفعل ذلك وقد جمع اليه بنى اسرائيل فاذا فرغ من إطعامهم قام فقدس الله وسبحه فلما فرغ أوحى الله اليه أنى قد سمعت صلاتك ورأيت قربانك فان دمت على طاعتى وصلت لك ملكك ولولدك بعدك فقدّست هذا البيت آخر الدهر وان حدتم عن أمرى او نقض أحد منكم عهودى سلبته ملكه وخرّبت هذا البيت الى آخر الأبد ، وقدمت بلقيس ملكة سبا على سليمان وكان من أمرها ما قد قصه الله فى كتابه العزيز ؛ ولما قدمت عليه جاءته بجمال موقرة ذهباً وعنبراً وقالت له لقد بلغنى من أمرك مالم أصدق به حتى رأيته ثم انصرفت الى بلدها وكان سليمان معجباً بالنساء فتزوج فيما يقال سبع مائة امرأة فيهن بنت فرعون ملك مصر وعدة من نساء بنى عمون وعدة من نساء أهل مؤاب جبابرة الشام ومن أدوم ومن الجثانيين وهم الصيدانيون ومن الشعوب التى قد كان الله نهى عن مخالطتهم وكان له سبعمائة فاتخذت امرأة من نساء سليمان تمثالا على صورة أبيها فلما رأى غيرها من نسائه فعلن كفعلها فعاتب الله سليمان وقال له تعبد الأصنام فى بيتك ولا تغضبك لاسلبنك ملكك ولأنزعن العز من يدك ولأفرقن الأسباط من ولدك ولكنى احفظ أباك داود فيك فلا أسلبك الملك بقية عمرك ولا أسلب جميع الأسباط ولكنى أدع فى يدك سبطين لئلا يذهب ذكرك وإن سليمان الجالس على كرسيه المعمول من الذهب المكلل بالجوهر إذ انتزع خاتمه من يده فأخذه شيطان من الشياطين فوضعه فى يده ونحى سليمان عن كرسيه وجلس عليه الشيطان ونزع ثياب سليمان ولبسها فمر سليمان على وجهه عليه جبة صوف وفى يده قصبة فكان يستعظم ويقول أنا ملك بنى اسرائيل سلبنى الله ملكى فيسخر منه من يسمعه وينكرون قوله فكان يقف على الصيادين الذين على البحر فيطلب منهم ما يطعمونه ، وأنكر آصف صاحب سليمان وغيره أمر ذلك

الشيطان ولم يروه يذكر الله فهرب الشيطان وطرح الخاتم فى البحر وأقام سليمان مسلوب الملك أربعين يوماً فانه بعد أن كملت له الأربعون يمشى على شط البحر حائراً إذ قال له بعض الصيادين تعال يا مجنون نخذ هذا الحوت فأعطاه حوتاً قد تغيرت رائحته فصار به الى البحر فغسله وشق بطنه واذا فى داخله حوت آخر فشق بطن الحوت الآخر فاذا خاتمه فى جوفه فلبسه وحمدالله ورد الله عليه ملكه وأقام ملكا على بنى اسرائيل على ما وصف الله جل وعز من ملكه وتسخيره له الطير والجن والانس يعملون له أعاجيب الصنعة ويشيدون له البنيان ويطيعونه فى كل أمره أربعين سنة ، ثم توفى ودفن الى جانب قبر داود ، وكان لسليمان يوم ملك اثنتا عشرة سنة فمات وله اثنتان وخمسون سنة .

رحبعم بن سليمان والملوك بعده

ولما مات سليمان بن داود ملك رحبعم بن سليمان فاجتمع اليه أسباط بنى اسرائيل وقالوا له إن أباك قد كان غلظ علينا واستعبدنا استعباداً شديداً فخفف أنت الآن عنا فقال لهم رحبعم انصرفوا عنى اليوم وجيئونى بعد ثلاثة أيام فانصرفوا عنه فاستشار المشيخة من أصحاب أبيه فقال ماترون قالوا نرى أن تحسن إجابة بنى اسرائيل وتلين لهم القول حتى تملكهم بعد اليوم فترك قول مشيخة بنى اسرائيل واستشار أحداثاً نشأوا معه فقالوا له نرى أن تغلظ القول لهم ليستقيم لك أمرهم كما استقام لأبيك فلما كان اليوم الثالث اجتمعوا اليه ليسألوه عما ذكروا له فقال لهم ان خنصرى أثقل من إبهام أبى فلما قال لهم هذا انصرفوا عنه وتفرقوا فى قراهم فلم يبق معه من أسباط بنى اسرائيل إلا سبط يهوذا وسبط بنيامين ، وملكت الاسباط العشرة عليهم يوربعم بن ناباط وكان قد هرب من سليمان الى مصر فلما اختلفت بنو اسرائيل على رحبعم بن سليمان قدم ، وجمع رحبعم بن سليمان من سبط يهوذا وسبط بنيامين الف رجل يطلب محاربة يوربعم

ابن ناباط ومن معه وأوحى الله الى سمعيا النبي أن قل لرحبعم ومن معه لا تحاربوا بني اسرائيل فسمعوا قوله وانصرفوا . وكان ملك رحبعم سبع عشرة سنة وملك يوربعم ابن ناباط على العشرة الأسباط من جبل فاران فقالت بنو اسرائيل إنا نريد أن نقرب قرابيننا الى الله فكره يوربعم أن يصعدوا الى بيت المقدس فيستميلهم آل يهوذا فيدخلوا في ملكهم فقال ليست بكم حاجة الى الصعود وأنا أعمل لكم مذبحاً فعمل لهم مذبحاً وصير فيه عجلا من ذهب وقال هذه آلهتكم التي اصعدتكم من أرض مصر واتخذ للعجل أحباراً وعمل عيداً وقرب الذبائح للعجل فأتاه نبي بني اسرائيل فوعظه فمد يده اليه فيبست فقال له ادع الله أن يرد يدي فدعا له النبي فرجعت يد يوربعم ، وأقام يوربعم على طريقه لم يرجع عنها وأهلك الله يوربعم وكل من كان معه وقتله ودمر عليه ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك (أبيام) بن رحبعم فسلك سبيل أبيه وأظهر الفواحش وارتكب القبيح فبتر الله عمره ، وكان ملكه ثلاث سنين .

ثم ملك (أسا) فاظهر العمل بطاعة الله تعالى ومنع الزنا وعاقب عليه وعلى الريب وأخرج من كان يعبد الأصنام من مملكته حتى طرد أمه لما بلغه أنها تعبد الأصنام ، وفي زمانه صار زارح ملك الحبشة وأقبل ملك الهند الى بيت المقدس فبعث الله عذاباً فاهلك زارح وملك الهند . وكان ملك أسا أربعين سنة ويقال إن بني اسرائيل أوقدوا من خشب أسلحة أصحاب الهند لما قتلهم أسا سبع سنين .

ثم ملك بعده أبنه (يهوشافط) فسلك سبيل أبيه وكان ناسكا صديقاً فلك العشرة أسباط وكان مرضياً في جميع بني اسرائيل ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده (يورام) ابنه فكفر ورجع قومه الى عبادة الأصنام وتزوج امرأة أطغته وأضلته ، وكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك (احزيا) بعد أبيه فسلك سبيله وكان العشرة الأسباط قد اعتزلت

وملكت منهم ملكا يقال له « يهو » فحارب احزيا حتى قتل من قومه مقتلة عظيمة ثم سلط الله عليهم ملك سورية ففعل بهم مثل ذلك ، وكان ملك احزيا سنة واحدة .

ثم ملكت (عتلايا) بنت عمرى فقتلت ولد داود حتى لم يبق من نسل داود أحد إلا غلام يقال له « يواش » وأخذته امرأة من بنى عمه يقال لها « يوشبع » عمته وكان يرضع وأفسدت عتلايا وأظهرت الفواحش وأفسدت البلاد واجتمعت بنو اسرائيل الى يويدع الأحبارى فاشتكوا اليه الذى تفعل بهم فاجتمعوا فقتلوها وكان ملكها سبع سنين .

وملك بعد عتلايا الغلام الذى كان بقى من بنى داود وهو (يواش) وكان يوم ملك له سبع سنين فصلحت أمور بنى اسرائيل وظهر فيهم العدل وارتفعت الفواحش وتركوا عبادة الأصنام ثم ظلم فى آخر عمره واستعمل القتل حتى قتل أولاد الاحبار وقتل ولد يويدع الأحبارى الذى ملكه ثم مات ، وكان ملكه أربعين سنة وهدم من سور بيت المقدس أربعين ذراعا وانتهب كل ما كان فيها .

ثم ملك بعده (امصيا) وكان يشبه مذهب يواش فى أول أمره ثم ظلم وجار وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك (عزيا) بن امصيا وكان فى زمانه أشعيا النبى فأحسن عبادة الله والعمل بطاعته غير أنه أخذ المجمر ودخل الهيكل ولم يكن ذلك يصلح لأحد إلا للأحبار فعاقبه الله فبرص وعاقب اشعيا النبى لأنه لم ينهه عن ذلك فنزع الله منه النبوة حتى مات عزيا ، وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك (يوتام) لما برص أبوه وكان ملكه ست عشرة سنة .

ثم ملك (احاز) ابنه فكفر فعبد الأصنام فسلط الله عليه بلعقس (تعلتفلس) ملك بابل فسباه واستعبده وضرب عليه الجزية وأخرب مدينة العشرة الأسباط بفلسطين وهى سبسطية وسبى أهلها فدخل بهم الى ارض بابل

ثم أرسل الى المدينة قوماً من قبله فعمروها وبنوها فهم الذين يدعون السامرة بفلسطين والأردن فلما سكنوها سلط الله عليهم الأسد ثم بعث اليهم رجلا من أحبار بنى اسرائيل من ولد هارون يعلمهم دين بنى اسرائيل فلما دخلوا فى دينهم تركهم الأسد وصاروا سامرة فقالوا لا نؤمن بنبي إلا بموسى ولا نعرف إلا مافى التوراة وجحدوا نبوة داود وأنكروا البعث والنشور وامتنعوا من مجالسة الناس والاختلاط بهم ومن تناول شيء منهم ومن حمل الموتى ومن حمل ميتاً اعتزل سبعة أيام يعتزل فى الصحراء لا يختلط بهم ثم يغتسل وكذلك من تناول شيئاً لا يحل له ولا يؤون الحائض منازلهم وجعلوا رئيسهم من ولد هارون يسمونه الرئيس ، ويتوارثون على التوراة فليس هم فى بقعة من بقاع الأرض إلا بجند فلسطين . وكان ملك احاز ست عشرة سنة .

ثم ملك بعد احاز (حزقيل) ابنه فاحسن عبادة الله تعالى وكسر الأصنام وهدم بيوتها وكان فى زمانه سنحاريب بن سراطم ملك بابل فسار الى بيت المقدس فسبى بقية الأسباط فرشاه حزقيل بثلاثمائة قنطار فضة وثلاثين قنطار ذهب على أن ينصرف فاخذها ثم غـــدر فلما فعل ذلك دعا الله اشعيا النبي وحزقيل على سنحاريب فاجاب الله دعاءهما فسلط الله على أصحاب سنحاريب القتل فقتل منهم فى ساعة واحدة مائة الف وخمسة وثمانين الفاً فرجع سنحاريب مهزوماً حتى صار الى بابل وقتله ولده شر قتلة ، وأمر الله سبحانه أشعيا النبي أن يعلم حزقيل أنـه ميت فليوص فلما أعلمه الله ذلك دعا الله أن يزيد فى حياته حتى يهب له ولداً يملك بعده فزاد الله فى حياته خمس عشرة سنة حتى ولد له ولد . وفى أيام حزقيل رجعت الشمس نحو مطلعها خمس درجات ، وكان ملك حزقيل سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد حزقيل (منشا) بن حزقيل فكفرت بنو اسرائيل فى إيامه وكفر وعبد الأصنام وكان أشر ملك فى بنى اسرائيل وبنى للأصنام مسجداً

واتخذ صنماً له أربعة أوجه (١) فنهاه أشعيا فامر به فنشر بالمنشار من رأسه الى رجليه فسلط الله على منشا قسطنطين ملك الروم لحاربه وأسره فاقام فى الأسر زماناً ثم تاب الى ربه فرده الله الى ملكه فكسر الصنم وهدم بيوت الأصنام وكان ملكه خمساً وخمسين سنة. وأيام أسره عشرين سنة.

ثم ملك (أمون) بن منشا فاعاد الأصنام حتى كثرت وكان ملكه ست عشرة سنة.

ثم ملك بعده (يوشيا) ابنه فاحسن عبادة الله وكسر الأصنام وهدم بيوتها وقتل سدنتها وأحرقهم وكان فى العدل وحسن عبادة الله تعالى وجميل مذهبه يشبه دواد وسليمان، وكان ملكه ثلاثين سنة.

ثم ملك (يهواخز) ابنه ثلاثة اشهر ثم أسره فرعون الأعرج ملك مصر ووضع على بلاده الخراج وصير عليها ملكا من قبله وأخذ يهواخز فذهب به الى مصر فمات هناك.

ثم ملك بعده (يويقيم) أخوه وهو أبو دانيال النبى، وفى عصره سار بخت نصر ملك بابل إلى بيت المقدس فقتل فى بنى اسرائيل وسباهم وحملهم الى أرض بابل ثم صار الى أرض مصر فقتل فرعون الأعرج ملكها، وأخذ بخت نصر التوراة وما كان فى الهيكل من كتب الأنبياء فصيرها فى بئر وطرح عليها النار وكبسها، وكان فى ذلك العصر أرميا النبي فلما علم بقدوم بخت نصر أخذ تابوت السكينة فخبأه فى مغارة حيث لم يعلم به أحد ولم ينج من بخت نصر إلا أرميا، وكان عدة من حمل بخت نصر الى أرض بابل ثمانية عشر الفاً فيهم الف نبي وملكهم يخنيا بن يهو ياقيم فمنهم اليهود الذين بالعراق (ويقال) ان أرميا النبي قال اللهم إنى لأعلم من عدلك مالا يعلمه غيرى فعلام سلطت بخت نصر

(١) ـ وبنى مذبحا لباعل وسجد للكواكب وكل قوات السماء وأجاز ابنه فى النار وكتب عقوداً ورباطات. (عن هامش الأصل)

على بنى اسرائيل فاوحى الله اليه إنى إنما أنتقم من عبادى اذا عصونى بشرار خلقى ، ولم يزل بنو اسرائيل فى الأسر تحت يد بخت نصر حتى تزوج امرأة منهم يقال لها « سيحب » بنت سلتايل فسألته أن يرد قومها الى بلدهم فلما رجع بنو اسرائيل الى بلدهم ملكوا لميهم « زربابل » بن سلتائيل فبنى مدينة بيت المقدس وبنى الهيكل وأقام على بنائه ستاً وأربعين سنة وفى زمانه مسخ الله بخت نصر بهيمة أنثى فلم يزل ينتقل فى أجناس البهـــائم سبع سنين ، ثم يقال انه تاب الى الله عز وجل فاحياه بشراً ثم مات ؛ وكان زربابل الذى أخرج التوراة وكتب الأنبيا من البئر التى دفنها فيها بخت نصر فوجدها بحالها لم تحترق فاعاد نسخ التوراة وكتب الأنبياء وسننهم وشرائعهم وكان أول من رسم هذه الكتب .

وكان شريعة بنى اسرائيل توحيد الله والاقرار بنبوة موسى وهارون ابنى عمران ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ، وكان صيامهم فى كل سنة ستة أيام أولها فى رأس السنة وهم يعدون رأس السنة أول يوم من تشرين فاذا مضى من تشرين عشرة أيام صاموا يوماً واحداً وهو اليوم الذى نزلت فيه الالواح الثانية على موسى بن عمران ، ويصومون لعشر خلون من كانون الآخر يوماً وهو يوم نجى الله بنى اسرائيل من هامان ، ويصومون لسبعة عشر يوماً من تموز يوماً واحداً وهو اليوم الذى نزل فيه موسى من الطور . ويصومون لتسعة ايام من آب يوماً واحداً وهو اليوم الذى كان فيه خراب بيت المقدس ، ويصومون لثلاثة أيام من تشرين وهو الذى قتل فيه قدريا بن اخيقام ، ولهم أربعة أعياد فى السنة ، عيد الفطير وهو اليوم الذى خرج فيه موسى ببنى اسرائيل من مصر فحملوا عجينهم ولم يختمر فا كلوه فطيراً وهو لخمسة عشر يوماً من نيسان وأيامه سبعة أيام ، ثم عيد لستة عشر يوماً يمضى من حزيران وهو يوم أنزلت فيه التوراة على موسى فذلك يوم عيد عندهم معظم ، ثم عيد أول يوم من تشرين وهو رأس السنة عندهم ثم عيد فى خمسة

عشرة يوماً من تشرين وهو عيد المظلة ومعناها أن الله عز وجل أمر موسى أن يأمر بنى اسرائيل أن يبنوا عريشاً بالسعف والجريد فهم يقيمون ثمانية أيام يتخذون فى كنائسهم ظلالات من السعف والجريد ، وصلواتهم ثلاث صلوات صلاة بالغداة وصلاة عند غروب الشمس وصلاة بعد الغروب فاذا وقف أحدهم للصلاة جمع عقبيه وجعل يده اليمنى على كتفه الأيسر ويده اليسرى على كتفه الأيمن وهو مطرق يركع خمس ركعات لا يسجد فيهن ثم يسجد فى الآخرة سجدة واحدة ويسبح بمزامير داود فى أول الصلوات ويقرأ فى صلاة المغيب من التوراة ، ومعتمدهم فى سننهم وشرائعهم على كتب علمائهم وهى الكتب التى يقال لها (. . . . .) بالعبرانية وهى اللغة التى صارت لهم لما عبروا البحر وهذا رسم الخط العبرانى وهو سبعة وعشرون حرفا (١) .

وسنتهم فى مناكحهم أن لا يتزوجوا إلا بولى وشاهدين ، وأقل مهورهم للبكر مائتا درهم وللثيب مائة درهم بهذا الوزن لا يكون أقل منه ، والطلاق مباح متى كرهوا ولا يكون إلا بشهود ، وسنتهم فى ذبائحهم أن لا يأكلوا ما ذبحه غيرهم ، وأن يكون الذى يتولى الذبائح عالما بالشرائع ثم يأتى بالسكين كلما أراد أن يذبح بها الى الكاهن فاذا رضى حدّها أطلق له الذبح بها وإلا أمره أن يحدّها أو يأتى بغيرها فاذا ذبح لم يقربها من حائط تضطرب عليه فاذا فرغ منها نظر الى الحلقوم فان وجده لم يرغ الغلصمة ووجد الذبح مستويا لم يؤكل حتى ينظر الى الرئة فان وجد بها عيبا أو علة أو شقا أو بثرة أو ورما لم تؤكل الذبيحة فان سلمت الرئة نظر الى الدماغ فان وجد فيه علة لم تؤكل وإن سلم الدماغ نظر الى القلب فان وجد فيه علة لم يأكله وان سلم ما فى البطون والثرب من الشحم فلا يأكله ولا العروق وأكل ما سوى ذلك .

وتاريخهم على حسابهم من خراب بيت المقدس فعلى هـذا يحسبون ولا

---

(١) ـ كذا فى الأصل ولم يوجد فيه رسم الخط العبرانى . (م . ص)

بذلهم فى كل يوم أن يذكروا اليوم الذى خرب فيه بيت المقدس وكم له الى يومه ذلك .

المسيح عيسى بن مريم

وكانت حنة امرأة عمران قد نذرت إن وهب الله لها ولداً أن تجعله لله فلما ولدت مريم دفعتها الى زكريا بن برخيا بن شوا بن نحرائيل بن سهلون بن أرسوا بن شويل بن يعود بن موسى بن عمران ، وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى اذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولداً زكياً فكان من خبرها ما قصه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل فلما كملت أيامها طرقها المخاض على ماقال الله عزوجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه فى المهد ، وكان مولده بقرية يقال لها (بيت لحم) من قرى فلسطين وكان ذلك يوم الثلاثاء لأربع وعشرين يوماً خلت من كانون الاول (قال ماشاء الله المنجم) كان الطالع للسنة التى ولد فيها المسيح الميزان ثمانى عشرة درجة والمشترى فى السنبلة أحدى وثلاثين دقيقة راجعاً . وزحل فى الجدى ست عشرة درجة وثمانى وعشرين دقيقة ؛ والشمس فى الحمل دقيقة والزهرة فى الثور أربع عشرة درجة ؛ والمريخ فى الجوزاء أحدى وعشرين درجة وأربعا وأربعين دقيقة ، وعطارد فى الحمل أربع درجات وسبع عشرة دقيقة ، وأما أصحاب الأنجيل فلا يقولون إنه تكلم فى المهد ويقولون إن مريم كانت مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وأنها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبل الجليل فلما كان فى اليوم الثامن ختنه على سنة موسى بن عمران . وقد وصف الحواريون أخبار المسيح وذكروا حاله فاثبتنا مقالة واحد واحد منهم وما وصفوه به وكان الحواريون إثنى عشر من أسباط يعقوب ، وهم شمعون بن كنعان من سبط (. . . . . . .) ويعقوب

ابن زبدى (. . . . . .) ويحي بن حابر بن فالى من سبط زبلون ، وفيلفوس من سبط أشر ، ومتى من سبط اشجر بن يعقوب ؛ وسمى من سبط هرام بن يعقوب . ويهودا من سبط يهوذا بن يعقوب ، ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ، ومنسا من سبط روبيل بن يعقوب وكان دون هؤلاء سبعون رجلا وكان الاربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا إثنان من هؤلاء الأثنى عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فأما متى . فإنه قال فى الانجيل فى نسب المسيح ايسوع بن داود بن ابراهيم الى اسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين وأربعين أبا . ثم قال وكان يوسف بعل مريم ، وان المسيح ولد فى بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس ؛ وان قوما من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى روؤسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا له ، وان هيرودس ملك فلسطين أراد أن يقتل المسيح ، وان يوسف أخرجه وأخرج أمه الى أرض مصر فلما مات هيرودس رده فانزله ناصرة جبل الجليل ، وانه لما كمل المسيح وبلغ تسعاً وعشرين سنة صار الى يحي بن زكريا ليصطنعه فقال يحيى بن زكريا أنا أحوج اليك منك الىّ فقال له المسيح اترك هذا القول فان هكذا ينبغى أن يتم البرّ فتركه يحيى ، وإن ايسوع خرج بتأييد روح الله الى البرية فصام أربعين يوما فاقترب اليه الشيطان فقال ان كنت الآن ابن الله فمر هذه الحجارة تصير خبزاً ؛ فقال ايسوع إنه ليس بالخبز وحده يحي البشر ولكن بكلمة الله فحمله فصيره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان فألق نفسك الى الأرض فانك ان كنت ابن الله تكنفته ملائكته ؛ فقال المسيح انه مكتوب لاتجرب الله بك ، ثم قال للشيطان

إذهب فان لله أسجد وإياه أعبد فتركه الشيطان وذهب ، ثم إن ملائكة الله جل وعز اقتربت منه فجعلوا يخدمونه ثم إن تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحى وبغير أمثال ، وكان أول ما تكلم به من الانجيل على مافى انجيل متى : طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بماعندربهم بحق إن لهم ملكوت السماء طوبى للجياع العطاش فى طاعة الله . طوبى للصادقين فى قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الأرض ونور العالم ؛ لا تقتلوا ولا تسخطوا أحداً وأرضوا من سخط عليكم وصالحوا خصمكم ؛ ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ، ولا تطلقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بأرضه ، ولا تقاوموا الشرّ ولكن من لطمك على عارضك الأيمن فأقبل اليه بعارضك الأيسر ومن أراد أن ينزع قميصك فأعطه أيضاً رداءك ومن سخرك ميلا فانطلق معه ميلين ومن سألك فاعطه ومن استقرضك فاقرضه ولا تحرمه ، قد سمعتم أنه قد قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فإنى أقول لكم أحبوا أعدائكم وصلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم ، إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فاى أجر لكم لا تظهروا صدقاتكم بين أيدى البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت أيمانكم ، لا تراؤون الناس بصلاتكم واذا صليتم فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم ولا يسمعكم أحد واذا صليتم فقولوا أبانا الذى فى السماوات يقدّس اسمك وتأتى ملكوتك تكون مشيئتك كما فى السماء وعلى الأرض ؛ خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذى علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا ولا تدخلنا فى تجربة يارب ولكن نجنا من الشرير ، ولا تظهروا صيامكم للبشر اذا صمتم لله ربكم ، ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ، لا تدخروا الذخائر حيث السوس والأرضة الآكلة يفسدون وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذى فى السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ، ولا تهتموا بمعاشكم ولا

ما تأكلون ولا ما تشربون ولا ما تلبسون ، وانظروا الى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن فى البيوت فان الله يرزقهن وأنتم أكرم على الله من الطير ، لا تهتموا لأولادكم فانهم مثلكم كما خلقتم خلقوا وكما رزقتم رزقوا ولا تقل لأخيك أخرج القذى من عينك وفى عينك أنت جذع ، لا تنظروا فى عيوب الناس وتدعوا عيوبكم ؛ لا تعطوا القدس ولا اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلها ، سلوا ربكم يعطيكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم ؛ أما الباب فانه معرض والطريق بين وهو يبلغ الناس التلف وما أصغر الباب وأضيق الطريق التى تبلغ الناس النجاة ، تحفظوا من أهل الكتاب الذين يشبهون الذئاب الضارية كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لا تجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء ؛ كل من يسمع كلامى ثم يفهمه فانه يشبه رجلا حليماً بنى بيته فى مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الأنهار وارتفعت الرياح . . . (١) . . . فسقط البيت .

وفى ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد أخذ يوحنا فسجنه وذلك أنه كان ياتى امرأة أخيه فيلفوس فنهاه يوحنا أن ياتى ذلك وكان يريد أن يقتله ويتقى لأنهم كانوا يعظمون يوحنا فقالت له امرأة أخيه اقتل يوحنا فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه وأخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى أرض قفر وجعل يأمر أصحابه لا تخبروا أحداً .

---

(١) ـ كذا بياض فى الأصل ولا ريب أن هنا سقطاً ، وفى نسخة انجيل متى المطبوع بعد قوله وارتفعت الرياح (ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر ، وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً) (م . ص)

انجيل مرقس

فأما مرقس فانه قال فى أول انجيله ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب فى اشعيا النبي إنى مرسل ملأكى قدام وجهك لأصلح سبيلك وإن يحي بن زكريا كان يعمد المعمودية للتوبة . وكان لباسه وبر الابل وكان يشد حقويه بغرفة من جلود وان المسيح جاءه من ناصرة الجليل يعمده فى الأردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادى من السماء أنت ابنى خليلى الذى بك سررت وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما الحقانى أجعلكما تصطادان البشر فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح أعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بأمثال وحى ويقول بحق أقول لكم لا تذهب القبيلة حتى يذهب السماء والأرض وكلامى لا يذهب .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول فى أول الانجيل من أجل أن كثيراً من الناس أحبوا أن يكتبوا القصص والامور التى عرفناها رأيته يحق على أن اكتب شيئاً علمته بحقه إنه كان فى أيام هيرودس الملك كاهن يسمى زكريا من خدام آل ابيا وامرأته من بنات هارون تسمى « اليسبع » وكانا جميعاً بارين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين فى طاعته ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقراً وزكريا عاقراً قد كبرت سنهما فبيناز كريا يكهن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكريا ملك الرب قائماً عن يمين المذبح فارتعد زكريا حين أبصره وحلت عليه الخشية فقال له الملك لا ترهبن يازكريا فان الله قد سمع صلواتك وأجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحي ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله

ولا يشرب خمراً ولا سكراً ويمتلى من روح القدس إذ هو فى بطن أمه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذى حل على أولياء النبى ليقبل بقلوب الآباء على أبنائهم ويكونوا لله شعبا كاملا ، فقال زكريا الملك كيف لى أن أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتى كبيرة السن؟ فقال له الملك: إنى أنا جبريل القائم بين يدى الله عز وجل أرسلنى لأبشرك بهذا فمن الآن فكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق ولم تؤمن بقولى الذى يتم فى حينه ، وكأن الشعب قياماً ينتظرون زكريا ويتعجبون من لبثه فى الهيكل فلما أن خرج لم يقدر أن يكلمهم فعرفوا وأيقنوا أنه قد رأى رؤياً فى الهيكل فكان يؤمى اليهم إيماء ولا يتكلم ، فلما تمت أيام خدمته انصرف الى بيته وحبلت « اليسبع » امرأته وأقامت تخفى نفسها أشهراً خمسة وتقول هذا الذى صنع إلى الرب فى أيام نظره الى ليمحو عنى عارى فى البشر ولما كان فى الشهر السادس من حمل امرأة زكريا أرسل الله جبريل الملك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى «ناصرة» الى فتاة عذراء مملكة برجل يسمى يوسف من آل داود إسمها « مريم » فدخل اليها الملك وقال لها : السلام عليك أيتها المملوءة من النعمة أيتها المباركة فى النساء ، فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول ما هذا السلام ؛ وقال لها الملك لا ترهبى يامريم قد لاقيت ووافيت عند الله نعمة بحق إنك تقبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه «ايسوع» ويكون عظيما وابن الأعلى يدعى ويعطيه الرب إلهه كرسى داود أبيه ويملك على آل يعقوب الى الدهر ولا يكون لملكه فناء ولا انقطاع ، فقالت مريم للملك كيف يكون هذا ولم يمسسنى رجل ؟ قال لها الملك روح القدس يحل عليك وهذا الذى يولد منك قدوس وابن الله يدعى وهذه اليسبع نسيبتك فهى أيضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التى تدعى عاقراً لأنه لا يعجز الله شىء ، فقالت مريم إنى أمة الله فليكن لى كما قلت ، ودخلت مريم الى بيت زكريا وسألت عن سلامة اليسبع فلما سمعت امرأة زكرياء كلام مريم ارتكض الجنين

فى بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم مباركة أنت فى النساء بحق إنه لما وقع صوت سلامك فى مسامعى بفرح عظيم ارتكض الجنين فى بطنى ؛ وولدت اليسبع امرأة زكرياء ابنا وختنوه يوم الثامن وسموه «يوحنا» ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبرك الله تعالى وامتلأ زكرياء من روح القدس وقال تبارك الرب إله اسرائيل الذى أبلى شعبه وأطلقهم بالخلاص وأقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذى تكلم على ألسنة أنبيائه الطاهرين ، ولما كملت لمريم أيامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته فى الخرق وأضجعته فى الأرى من أجل أنه لم يكن لها مكان حيث كانا نازلين (. . . . . . .) (١) فأتاهم ملك الرب ومجد الله أشرق عليهم فخافوه خوفا شديداً ، وقال لهم ملك الرب لا تخافوا ولا تحزنوا بحق إنى أبشركم بفرح عظيم يعم العالم ، ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم وأنه لما تمت له ثمانية أيام أتوا به ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه وأتوا به الى الهيكل وأتوا بذبيحة زوج يمام وفرخى حمام ليقرب عنه وكان هناك رجل يقال له شمعان من الأنبياء فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال قد أبصرت عيناى حنانك يارب فمن الآن فتوفنى ، وكان أهله يصعدونه فى كل سنة الى (أورشلم) فى عيد الفسح وكان يخدم العظماء ويعجبون به لما يرون من حكمته ، وأن المسيح لما كملت له ثلاثون سنة دخل الى الهيكل يوم السبت وقام ليقرأ كعادته وأعطى سفر أشعيا النبى ففتح السفر فوجد فيه مكتوبا روح الرب على من أجل ذلك اصطفانى ومسحنى لأبشر المساكين وأرسلنى لاشفى المنكسرة قلوبهم ولأبشر المسبيين بالخلاص والعميان

(١) ـ كذا بياض فى الأصل ، وفى نسخة لوقا المطبوع فى الاصحاح الثانى العدد الثامن ذكر بعد ذلك ما يلى : (وكان فى تلك الكورة ـ أى التى ولد فيها بكر مريم ـ رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم واذا ملاك الرب) الخ .
(م ص)

بالبصر وان أجبر المنكسر وأبشر المسبي بالعفو والمغفرة وأن أبشر بالسنة المتقبلة للرب ، وطوى السفر ودفعه الى الخادم وتنحى لجلس فعجب الناس لفعله وقالوا : أليس هذا ابن يوسف ؟ .

انجيل يوحنا

وأما يوحنا السليح فانه يقول فى أول انجيله : فى نسبة المسيح قبل كل كانت الكلمة ، وتلك الكلمة عند الله ، والله كان هو الكلمة ، هذه كانت قبل كل شيء كان بها كانت الحياة ، والحياة هو نور البشر وذلك الضياء فى الظلام ، والظلام لم يدركه كان إنسان كان ، أرسله الله اسمه «يوحنا» أتى للشهادة ليشهد على النور ليهتدى الناس ويؤمنوا على يده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء ويبين فى العالم ، والعالم كان فى يده ، والعالم لم يعرفه الى خاصته أتى وخاصته لم تقبله . فأما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطانا ليكونوا يدعون أبناء الله أولئك الذين يؤمنون باسمه الذى لا من الدم ولا هو من هوى اللحم ولا من شهوة المرء ولد ولكن من الله ولد ، والكلمة صارت لحما وحلت فينا ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذى من الأب المملوء من النعمة والقسط ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلت انه يأتى من بعدى وقد كان قبلى من أجل أنه أقدم منى ومن تمامه كلنا نلنا نعمة فاضلة بدل النعمة الأولى لأن التوراة على يد موسى أنزلت ، فاما الحق والنعمة فبا يسوع المسيح . . . (١) . . . الكلمة التى لم تزل فى حضن أبيها .

فهذا قول الأربعة التلاميذ أصحاب الانجيل فى نسبة المسيح ، ثم وصفوا

(١) ـ كذا بياض فى الأصل ، وفى نسخة انجيل يوحنا المطبوع فى الاصحاح الأول العدد ١٧ و ١٨ بعد قوله الحق والنعمة (فبيسوع المسيح صارا : الله لم يراه أحد قط . الابن الذى هو فى حضن الآب خبر) . (م . ص)

بعد ذلك ما كان من أحباره وأنه أبرى المرض والبرص وأقام المقعد وفتح عيون العميان ، وأنه كان له صاحب يقال له العازر فى قرية تدعى بيت عينا فى ناحية بيت المقدس ، وأنه مات فصير فى مغارة فاقام أربعة أيام ، ثم جاء المسيح الى تلك القرية فخرجت أختان للعازر فقالتا له يا سيدنا ان خليلك العازر قد مات فحزن المسيح عليه وقال أين قبره فاتوا به الى المغارة وعليها حجر فقال نحوا الحجر فقالوا قد نتن منذ أربعة أيام فدنا من المغارة فقال : رب لك الحمد إنى أعلم أنك تعطى كل شيء ولكنى أقول من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا ويصدقوا أنك أنت أرسلتنى ، ثم قال للعازر قم فقام يجر خماراً عليه ويداه ورجلاه مشدودتان وقد كان معهم قوم من اليهود فآمنوا به وأقبلوا ينظرون الى العازر ويتعجبون منه فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم فقالوا : إنا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس ؟ فقال لهم قيافا رئيس الكهنة لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره . فاجمعوا على قتله .

ودخل المسيح الى أورشلم على حمار وتلقاه أصحابه بقلوب النخل وكان يهوذا بن شمعان من أصحاب المسيح فقال المسيح لأصحابه ان بعضكم يسلمنى ممن يأكل ويشرب معى - يعنى يهوذا بن شمعان - ثم جعل يوصى أصحابه ويقول لهم قد بلغت الساعة التى يتحول ابن البشر الى أبيه وأنا أذهب الى حيث لا يمكنكم تجيئوا معى فاحفظوا وصيتى فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبياً فاذا أتاكم الفارقليط روح الحق والصدق فهو الذى يشهد على وانما كلمتكم بهذا كيما تذكروه اذا أتى حينه فانى قد قلته لكم فاما أنا فانى ذاهب الى من أرسلنى فاذا ما أتى روح الحق يهديكم الى الحق كله وينبئكم بالامور البعيدة ويمدحنى وعن قليل لا ترونى ثم رفع المسيح عينه الى السماء وقال حضرت الساعة انى قد مجدتك فى الارض والعمل الذى أمرتنى أن أعمله فقد تممته ، ثم قال : اللهم إن كان لابد لى من شرب هذا الكأس فهو نها على وليس كما أريد يكون ولكن ما تريد يارب .

ثم مضى المسيح مع تلاميذه الى المكان الذى يجتمع هو وأصحابه فيه وكان يهوذا أحــــد الحواريين يعرف ذلك الموضع فلما رأى الشرط يطلبون المسيح ساقهم والذين معهم من رسل الكهنة حتى وقف بهم على الموضع فخرج اليهيم المسيح فقال لهم من تريدون ؟ فقالوا : ايسوع الناصرى ، فقال لهم : ايسوع أنا هو . فرجعوا ثم عادوا ، فقال لهم المسيح : أنا ايسوع الناصرى فان كنتم تريدونى فانطلقوا بى لتتم الكلمة ، وكان مع شمعان الصفا سيف فاخترطه ثم ضرب عبد سيد الكهنة فقطع يده اليمنى ، فقال المسيح يا شمعان رد السيف الى غمده فإنى لا أمتنع من شرب الكأس التى أعطانى ربى ، فاخذوا الشرط المسيح وأوثقوه وجاءوا به الى قيافا رئيس اليهود الذى كان أشار بقتله وكان شمعان الصفا يمشى خلفه فدخل مع الأعوان فقيل له أنت من تلاميذ هذا الناصرى ؟ قال لا ، ولما أدخل المسيح على رئيس اليهود جعل يكلمه والمسيح يجيبه بما لا يفهمه فضربه بعض الشرط على فكيه . ثم أخرجوا المسيح من عند قيافا الى فرطورين فقال أنت ملك اليهود ؟ فقال له المسيح : أمن نفسك قلت هذا أم أخبرك آخرون عنى ؟ وجعل يكلمه ويقول إن ملكى ليس من هذا العالم . ثم إن الشرط أخذوا إكليلا من ارجوان فوضعوه على رأسه وجعلوا يضربونه ثم أخرجوه وعليه ذلك الإكليل ، فقال له رؤساء الكهنة اصلبه فقال لهم فيلاطوس خذوه أنتم فاصلبوه فاما أنا فلم أجد عليه علة ، فقالوا : قد وجب عليه الصلب والقتل من أجل أنه قال إنه ابن الله ، ثم أخرجه فقال لهم خذوه أنتم فاصلبوه فأخذوا المسيح وأخرجوه وحملوه الخشبة التى صلبوه عليها .

هذا فى انجيل يوحنا ، فأما متى ومرقس ولوقا : فيقولون وضعوا الخشبة التى صلب عليها المسيح على عنق رجل قرنانى وصاروا به الى موضع يدعى (الجمجمة) ويسمى بالعبرانية (ايماخاله) وهو الموضع الذى صلب فيه ، وصلب معه اثنان آخران واحد من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب . وكتب فيلاطوس فى لوح : هذا

ايسوع الناصرى ملك اليهود . فقال له رؤساء الكهنة اكتب الذى قال إنه ملك اليهود ، فقال لهم ما كتبت وقد كتبت ؛ ثم إن الشرط اقتسموا ثياب المسيح وكانت أمه مريم ومريم بنت قلوفا ومريم المجدلانية قياماً ينظرون اليه ، فكلم أمه من فوق الخشبة وجعل أولئك الشرط يأخذون اسفنجة فيها خل يقربونها الى أنفه فيتكرهها ، ثم أسلم روحه فجاؤا الى ذينك المصلوبين معه وكسروا سوقهما وأخذ أحد الشرط حربة فطعنه فى جنبه فخرج دم وماء ثم كلم فيه أحد التلاميذ لفيلاطوس حتى أنزله وأخذ حنوطاً من مر وصبر ولفه فى ثياب كتان وطيب فكان فى ذلك الموضع جنان وفيه قبر جديد فوضعوا المسيح فيه ، وكان ذلك يوم الجمعة فلما كان يوم الأحد - فيما يقول النصارى - بكرت مريم المجدلانية الى القبر فلم تجده فجاءت شمعان الصفا وأصحابه فاخبرتهم أنه ليس فى القبر فمضوا فلم يجدوه وجاءت مريم ثانية الى القبر فرأت فى القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها لا تبكى ثم التفتت خلفها فرأت المسيح وكلمها وقال لها لاتدنين الى لأنى لم أصعد الى أبى ولكن انطلقى الى اخوتى وقولى لهم إنى أصعد الى أبى وابيكم والهى وإلهكم وانه لما كان عشية الأحد جاءهم وقال لهم السلام معكم كما أرسلنى أبى كذلك أرسلكم وان غفرتم ذنوب أحد فهى مغفورة فقالوا هذا الذى يكلمنا روح وخيال قال لهم انظروا الى آثار المسامير باصبعى والى جانبى الأيمن ، ثم قال لهم طوبى للذين لم يرونى وصدقوا بى ، وجاءوه بقطعة سمك فاكل وقال لهم ان أنتم صدقتم بى وفعلتم فعلى يحق أن لا تضعوا أيديكم على مريض إلا برىء ولا يضره الموت ، ثم ارتفع عنهم وكان له ثلاث وثلاثون سنة .

هذا ما يقول أصحاب الانجيل وهم يختلفون فى كل المعانى قال الله عز وجل (ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه) .

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى أورشلم فى جبل طور

الزيتون وصاروا الى علية كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتاوس ويعقوب (. . . . .) فقام شمعان على الحجر فقال يا معشر الأخوة قد كان ينبغي أن يتم الكتاب الذى سبق فيه روح القدس وأرادوا أن يجعلوا رجلا يتم به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا وقالوا اللهم أظهر لنا من تختاره فوقع على متى فاصابهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التى كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس ماذا تصنع؟ فقال لهم بطرس قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة وأقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادته فانكروا ذلك عليهم اليهود وأخـــذوهم فحبسوهم ثم أطلقوهم وقالوا نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه فاختاروا اصطفانس ، وفيلبس . وابرحورس ، ونيقانور ، وطيمون وبرمنا ، ونيقولاوس الانطاكى وأقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون أمر المسيح ويدعون الناس الى دينهم وكان بولس أشد الناس عليهم وأعظمهم ايذاء لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم فى كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه يا بولس كم تضطهدنى ففزع حتى لم يبصر ثم جاءه حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينه فصار يقوم فى الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مـــع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون به ويظهر الزهد فى الدنيا والتقليل منها حتى قدموه الحواريون جميعاً على أنفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر أمر بنى اسرائيل والأنبياء ويذكر حال المسيح ويقول ميلوا بنا الى الأمم كما قال الله للمسيح إنى وضعتك نوراً للأمم فتصير إخلاصاً الى أقطار الأرض فتكلم كل رجل منهم برأيه وقالوا ينبغى أن يحتفظ بناموس وأن يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للأوثان وعن الزنا وعن

أكل الدم ، وخرج بولس ومعه رجلان الى أنطاكية ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأخذ لحمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم على قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه .

ملوك السريانيين

وكان أول الملوك بعد الطوفان بارض بابل ملوك السريانيين فأول من ملك منهم وعقد التاج على رأسه (شوسان) وكان ملكه ست عشرة سنة ثم ملك بعده (بر بر) ابنه عشرين سنه ثم ملك (اسماشير) بن الول سبع سنين ثم ملك بعده (عمرقيم) ابنه عشر سنين ثم ملك (أهريمون) ابنه عشر سنين ثم ملك (سهادان) ابنه عشر سنين ثم ملك (سبير) ابنه ثماني سنين ثم ملك (هريمون) ثماني عشرة سنة ، وملك ابنه (هوريا) اثنتين وعشرين سنة ثم ملك (أرود وحلحا بيس) كلاهما اثنتي عشرة سنة .

ملوك الموصل ونينوى

وكان أول من ملك منهم (بالوس) اثنتين وثلاثين سنة ؛ وملك (نينوس) ابن بالوس اثنتين وخمسين سنة وبنى مدينة « نينوى » ثم ملكت امرأة يقال لها (شميرم) أربعين سنة ، ثم ملك (لاوسنسر) خمساً وأربعين سنة .

ثم ملك خمسة عشر ملكا لا تاريخ لهم ولا قصص .

ملوك بابل

فكان أول ملوك بابل بعد السريانيين : (نمرود) الجبار فملك تسعاً وستين سنة ، وملك (كودس) ثلاثاً وأربعين سنة ، وملك (أرقو) عشر سنين

وملك (بولس) اثنتين وستين سنة . ثم ملك (سميرم) اثنتين وأربعين سنة وملك (قوسميس) تسعاً وستين سنة . وملك (انيوس) ثلاثين سنة . وملك (ليلاوس) اثنتى عشرة سنة . وملك (اطلوس) اثنتين وثلاثين سنة . وملك (سفردس) ثلاثين سنة . ثم ملك (حازم بونس) ثلاثين سنة . ثم ملك (سعالوس) ثلاثين سنة وملك (سبسطاس) أربعين سنة . وملك (اسنطرس) أربعين سنة وملك (دمنوطوس) خمساً وأربعين سنة . وملك (العروس) ثلاثين سنة . وملك (المقرندوس) اثنتين وخمسين سنة . وملك (قارتوس) ثلاثين سنة وملك (باباوس) خمساً وأربعين سنة . وملك (شرسيا أدموس) أربعين سنة وملك (دارافوس) ثمانى وثلاثين سنة . وملك (لاوبيس) خمساً وأربعين سنة وملك (فطريس) ثلاثين سنة . وملك (فرطاوس) عشرين سنة . وملك (افرطا) ستين سنة . وملك (قولا) خمساً وثلاثين سنة . وملك (بعنطس) خمساً وثلاثين سنة . وملك (اسعلوسرفم) أربع عشرة سنة . وملك (اسرعون) سبع سنين . وملك (فيم حدوم) ثلاث سنين . وملك (فردوح) سبعاً وأربعين سنة . وملك (سنحاريب) إحدى وثلاثين سنة وملك (معرسا) ثلاثاً وثلاثين سنة وملك (بخت نصر) خمساً واربعين سنة . وملك (فرمورج) سنة واحدة وملك (سط سفر) ستين سنة . وملك (ماسوما) ثمانى سنين . وملك (معوسا) سبعة أشهر . وملك (داريوش) احدى وثلاثين سنة . وملك (كسرحوش) عشرين سنة . وملك (قرطبان) سبعة أشهر . وملك (منحسمت) إحدى وأربعين سنة . وملك (سملس) سبعة أشهر . وملك (داريوش) وهو الذى قتله الاسكندر تسع عشرة سنة . وملك (ارطحشاست) سبعاً وعشرين سنة .

هؤلاء الملوك ملوك الدنيا وهم الذين شيدوا البنيان واتخذوا المدن وعملوا الحصون وشرفوا القصور وحفروا الانهار وغرسوا الأشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الأرضين واستخرجوا المعادن وضربوا الدنانير وصاغوا وكالوا التيجان

وطبعوا السيوف واتخـــذوا السلاح وعملوا آلات الحديد وصنعوا النحاس والرصاص واتخذوا المكاييل والموازين واختطوا البلدان وقلدوا الأقاليم واسروا الأعداء واستعبدوا الأسراء واتخذوا السجون ووصفوا الأزمنة وسموا الشهور وتكلموا فى الافلاك والبروج والكواكب وحسبوا وقضوا بـــما يدل عليه الاجتماع والافتراق والتثليث والتربيع والمجاسدات ·

ملوك الهند

قال أهل العلم : إن أول ملوك الهند الذى اجتمعت عليه كلمتهم (برهمن) الملك الذى فى زمانه كان البدء الأول . وهو أول من تكلم فى النجوم وأخذ عنه علمها ؛ والكتاب الأول الذى تسميه الهند (السند هند) وتفسيره «دهر الدهور» ومنه اختصر الأرجبهر، والمجسطى، ثم اختصروا من الأرجبهر الأركند ؛ ومن المجسطى كتاب بطلميوس ؛ ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات وما اشبهها من الحساب ، ووضع التسعة الأحرف الهندية التى يخرج منها جميع الحساب الذى لا يدرك معرفتها وهى : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ؛ ٩) فالأول منها واحد وهو عشرة وهو مائة وهو الف وهو مائة والف وهو الف الف وهو عشرة آلاف الف وهو مائة الف الف وعلى هذا الحساب ابداً فصاعداً ، والثانى وهو اثنان وهو عشرون وهو مائتان وهو الفان وهو عشرون الفاً وهو مائتا الف وهو الفا الف وعلى هذا الحساب يجرى التسعة الأحرف فصاعداً غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت ، واذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة وجعلوا الدنيا سبعة اقاليم :

فالإقليم الأول : الهند ، وحده مما يلى المشرق البحر وناحية الصين الى

الديبل مما يلى أرض العراق الى خليج البحر مما يلى أرض الهند الى أرض الحجاز .

والاقليم الثانى : الحجاز ، حده هذا الخليج الى عدن الى أرض الحبشة مما يلى أرض مصر الى الثعلبية مما يلى ارض العراق .

والاقليم الثالث : مصر ، حده مما يلى أرض الحبشة الى أرض الحجاز الى البحر الاخضر مما يلى الجنوب الى المغرب الى الخليج الذى يلى الروم الى نصيبين مما يلى أرض العراق .

والاقليم الرابع : وهو العراق ، حده مما يلى الهند الديبل ومما يلى الحجاز الثعلبية ومما يلى أرض مصر والروم نصيبين ومما يلى أرض خراسان نهر بلخ .

والاقليم الخامس : الروم ، حده مما يلى أرض مصر الخليج ومما يلى المغرب البحر ومما يلى الترك ياجوج وماجوج ومما يلى أرض العراق نصيبين .

والاقليم السادس : ياجوج وماجوج ، حده مما يلى أرض المغرب الترك ومما يلى الخزر البحر ومفاوز بينه وبين سحور الشمال ، ومما يلى المشرق أرض نصيبين ومما يلى خراسان نهر بلخ .

والاقليم السابع : الصين ، حده مما يلى المغرب ياجوج وماجوج ومما يلى المشرق البحر ومما يلى الهند أرض قشمير ومما يلى خراسان نهر بلخ .

وقالوا : كل اقليم من هذه الاقاليم يسع مائة فرسخ فى مثلها ، وذكر أن قطر الارض الفان ومائة فرسخ ومداها ستة آلاف وثلاث مائة فرسخ ، وأنهم قدروا هذا الفرسخ على ستة عشر الف ذراع ، وذكروا أن الذراع الذى يحيط باسفل دائرة النجوم وهو فلك القمر مائة الف فرسخ وخمس وعشرون الفاً وستمائة وأربعة وستون فرسخاً وان قطره من حد رأس الحمل الى حد رأس الميزان أربعون الف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ التى قدروا بها الارض ، فساعات طول النهار فى الاقليم الاول : ثلاث عشرة ساعة وفى الثانى : ثلاث عشرة ساعة ونصف وفى الثالث أربع عشرة ساعة وفى الرابع أربع عشرة ساعة ونصف

وفى الخامس : خمس عشرة ساعة ، وفى السادس : خمس عشرة ساعة ونصف ، وفى السابع : ست عشرة ساعة . وكل مدينة كانت فى مقادير طول نهارها فى هذا القدر فهى متوسطة الاقليم الذى هى فيه وما كان فيما بين هذه الاقدار فهى من الاقليم الذى هى اليه أقرب فى مقدار الساعات فصار وسط الاقليم الاول على مسيرة نحو من ثلاثين ليلة من خط الاستواء بارض اليمن مدينة سبأ وما والاهـا الى المشرق والمغرب وذلك فيما دون عـدن أبين بقدر عشرة أيام . ووسط الاقليم الثانى مكة وماوالاهامن المشرق الى المغرب ووسط الاقليم الثالث الاسكندرية وما والاها من ناحية الكوفة والبصرة من المشرق والمغرب ، ووسط الاقليم الرابع اصفهان وما والاها مما هو فى مثل عرضها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم الخامس فى أدانى أرض مرو وماوالاها مما هو فى مثل عرضها من المشرق الى المغرب ؛ ووسط الاقليم السادس برذعة وماوالاها مما هو فى مثل عرضها ما بين المشرق الى المغرب ؛ ووسط الاقليم السابع بجبال الترك وما والاها مما هو فى مثل عرضها مما بين المشرق والمغرب .

وقالت الهند إن الله عز وجل خلق الكواكب فى أول دقيقة من الحمل وهو أول يوم من الدنيا ثم سيرها من ذلك الموضع فى أسرع من طرفة العين فجعل لكل كوكب منها سيراً معلوماً حتى يوافى جميعهافى عدة أيام السند هند الى ذلك الموضع الذى خلقت فيه كما كانت كهيئتها الأولى ثم يقضى الله تبارك وتعالى ما أحب ، فقالوا ان جميع أيام الدنيامن السند هند منذ أول مادارت الكواكب الى أن تجتمع جميعاً فى دقيقة الحمل كما كانت يوم خلقت الف الف الف الف وخمسمائة الف الف الف وسبعة وسبعون الف الف الف وسبعمائة الف الف وستة عشر الف الف وأربعمائة الف وخمسون الف يوم يكون ذلك شهوراً ستين الف الف الف وثمان مائة الف الف وأربعين الف الف شهر ؛ ويكون من السنين أربعة آلاف الف الف وثلاثمائة الف الف وعشرين الف الف سنة كاملة بسنى

الشمس على مدارها ، والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وخمس ساعات وجزء من أربعمائة جزء من ساعة .

ثم اضطرب أمر الملك بالهند فاقام زماناً طويلا وهو ممالك مفترقة فى البلاد ولكل طائفة مملكة حتى غزتهم الملوك فخافوا أن يدخل عليهم الوهن وكانوا أهل حكمة ومعرفة وعقول مجاوزون بها مقدار غيرهم من الأمم فاجمعوا على تمليك رجل واحد فملكوا (زارح) وكان عظيم الشأن جليل القدر فعظم ملكه وجل سلطانه حتى سار الى أرض بابل ثم تجاوزها الى ملوك بنى اسرائيل وهو الذى غزا بنى اسرائيل بعد أن مات سليمان بن داود بعشرين سنة وملك اسرائيل يومئذ (رحبعم) بن سليمان فضجت بنو اسرائيل الى الله تعالى فسلط الله على زارح وجيشه الموت فانصرف الى بلاده .

ومن ملوكهم (فور) وهو الذى غزا بلاده الاسكندر لما قتل ملك الفرس وغلب على أرض العراق وما والاها مما كان فى مملكة داريوش ، وذلك أنه كتب اليه يأمره بالدخول فى طاعته وكتب اليه (فور) أنه يزحف اليه بالجيوش فبدر الاسكندر فصار الى بلاده وخرج اليه (فور) فحاربه فأخرج (فور) الفيلة وكان العلو على الاسكندر فكانت لا يقف لها شىء فعمل الاسكندر تماثيل من نحاس ثم حشاها بالنفط والكبريت وأشعل النار فى داخلها ثم صيرها على عجل وألبسها السلاح ثم قدمها أمام الصفوف فلما تلاقوا دفعتها الرجال الى الفيلة فلما قربت حملت عليها الفيلة بخراطيمها فكانت تلف الخراطيم على ذلك النحاس وهو يلهب ويشتوى وتنصرف منهزمة فتفل كراديس الهند وتهلكهم ، ثم دعا الاسكندر (فور) ملك الهند الى أن يبارزه فبرز له فقتله الاسكندر مبارزة بعد له واستباح عسكره .

ومن ملوكهم (كيهن) وكان رجلا ذكياً أديباً فملكه الاسكندر بعد (فور) على جميع أرض الهند وكان كيهن قد استعمل الفكر فكان أول من قال

بالتوهم وأن الطبيعة تنصرف الى ماتتوهمه فما توهمت أنه ينفعها نفعها وان كان ضاراً ، وكان كيهن يأكل البيش وهو السم القاتل ثم يتوهم أن على قلبه أحمال ثلج فلا يضره ذلك البيش حتى احترقت رطوبته وكان من أصح خلق الله ذهناً وأحفظه وأذكاه .

ومن ملوكهم (دبشلم) وهو الذى وضع فى عصره كتاب « كليلة ودمنة » وكان الذى وضعه بيدبا حكيم من حكمائهم وجعله أمثالا يعتبر بها ويتفهمها ذوو العقول ويتأدبون بها فكان (أول باب) منها باب السلطان الذى سعى اليه البغاة بخاصته وأصحابه المقدمين عنده وكيف ينبغى أن يستعمل الأناة والتثبيت ولا يعجل بقول السعاية وهو باب الأسد والثور (الباب الثانى) باب الفحص عن الأمور وكيف تكون العواقب فيها وما يؤدى اليه البغى والتهور والكيد من سوء العاقبة وهو باب الفحص عن خبر دمنة (الباب الثالث) باب الأعداء والتحرز منهم والحيلة لهم والكلام الذى يكسب العداوة وما يجب من مداراة الأعداء وانتهاز الفرصة فيهم عند إمكان الأمر والتضرع لهم حتى يمكن الانتقام منهم وهو باب البوم والغربان (الباب الرابع) باب المشاورة للعلماء والاستعانة بأهل الحزم والامانة وإفشاء الأمور الى أهل العقل وهو باب بلاذ (الباب الخامس) باب المعروف والى من ينبغى أن يصطنع وكيف يفسد وسوء الشكر اذا وضع غير موضعه وحمله من لا يستحقه وكيف يعرف موضعه عند أهله الذين يشكرونه وهو باب السلحفاة والببر والقرد والنجار (الباب السادس) باب الظفر بالأمر وإضاعته بعد إمكانه والعجز عن حفظه بعد القدرة عليه وهو باب القرد والغيلم (الباب السابع) باب المداراة ومصانعة أهل الشأن واحتراز مودتهم واستمالة أهل الانحراف حتى يتخلص من السوء وهو باب السنور والجرذ (الباب الثامن) باب معرفة السلطان باعوانه وأقربائه وأهل دخلته واستصلاحه من نالته جفوته منهم واجتلاب ردائته والاستعانة على أموره باهل العفاف والمودة وتفقد

أحوال أعوانه وحاشيته ومكافاة المحسن ومعاقبة المسيء على الاساءة وهو باب الأسد وابن آوى (الباب التاسع) باب الاخوان والمتصادقين على صحة موّداتهم ومقدار الاخوان وعظم النفع بهم ومعاونتهم على أمور الشدة والرخاء وهو باب الحمامة المطوقة (الباب العاشر) باب طلب نفع الناس بضر النفس والتفكر فى العاقبة وهو باب اللبؤة والاسوار .

وقال بعض علماء الهند إن أهل بلاد الهند تواتر عليهم الموت حتى ذهب علماؤهم وضعف الملك وأنه لما ملك (هشران) طلب من يحيي له شرائع دين آبائه فاتاه (قفلان) وكان داهية فقال له إن الناس جزء من الحيوان وإن الحيوان جزء من النامى وإن النامى من الطبائع الأربع التى هى النار والهواء والأرض والماء وإن النامى ينقسم على ثلاثة أقسام أحدها النبات وله النمو فقط ، والثانى ما يكون فى البحر من الاصداف وما أشبهها وله نمو وحس . والثالث الحيوان البرى وله نمو وحس وحركة وإن الحيوان أقل وأحقر من أن يدبرهم الخالق وإنما يدبرهم ويصرفهم الفلك . فقال له الملك أرنى صورة ماتقول وبرهانه فوضع النرد وقال اتفق الناس على أن دور الزمان سنة ومعناها اثنا عشر شهراً ومعناها البروج الاثنا عشر وعلى أن أيام الشهر ثلاثون يوماً ومعناها لكل برج ثلاثون درجة وعلى أن الأيام سبعة ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل تشبيهاً لذلك فوضع عرصة شبيهة بالسنة وصير فيها أربعة وعشرين بيتاً عدد ساعات الليل والنهار فى كل ناحية اثنى عشر بيتاً تشبيهاً بشهور السنة والبروج وصير لها ثلاثين كلباً تشبيهاً بايام الشهر ودرج البروج وصير الفصين تشبيهاً بالليل والنهار وفى كل فص ست جهات لأنه عدد تام له نصف وثلث وسدس فى كل فص إذا سقط من أعلاه وأسفله سبع نقط تحت الست واحدة وتحت الخمس اثنتان وتحت الاربع ثلاث تشبيهاً بعدد الايام والكواكب السبعة السيارة وهى : الشمس والقمر ، وزحل . والمشترى . والمريخ ، وعطارد . والزهرة . ثم جعلها محنة بين

رجلين وأعطى كل واحد فصاً وقال من أعطيته هذه السبع النقط من أعلاها اكثر من صاحبه بدأ فاجتمع له فصان فضرب وما ظهر من الفصين تقلب الكلاب عليه وجعل ذلك تمثيلا للحظ الذى يناله العاجز بما جرى له الفلك والحرمان الذى يبتلى به الحازم على حسب ما يجرى له الفلك فلما ظهر ذلك قبله الملك وفشا فى أهل المملكة وصار أهل الهند يجرى أمورها بما يدبره الكواكب السبعة السيارة .

وملك (بلهيب) وقد غلب على أهل المملكة هـذا الدين وكان له عقل ومعرفة فلما رأى ما عليه أهل مملكته ساءه ذلك وبلغ منه ثم سأل هل بقى رجل على دين البرهمية فدل على رجل له عقل ودين فارسل اليه فلما أتاه أكرمه ورفع درجته ثم ذكر له ما قد فشا فى أهل مملكته فقال أيها الملك أنا أقيم برهاناً أضطر به ويعرف به فضل الحازم وموضع تقصير العاجز وأجعلها صورة بين اثنين ليبين فضل الحازم على العاجز والمجتهد على المقصر والمحتاط على المضيع والعالم على الجاهل فوضع الشطرنج وتفسيرها بالفارسية « هشت رنج » وهشت ثمانية ورنج صفح وصيرها ثمانية فى ثمانية فصارت أربعة وستين بيتاً وصيرها اثنين وثلاثين كلباً مقسومة بين لونين كل لون ستة عشر كلباً وقسم الستة عشر على ست صور فالشاة صورة والفرز صورة والفيلان صورة والرخان صورة والفرسان صورة والبيادق صورة فاشتق ذلك من زوج الزوج وهو أحسن ما يكون من الحساب لأن الأربعة والستين اذا قسمتها كان لها نصف اثنان وثلاثون وهى عدة جميع الكلاب واذا نصفت الاثنين والثلاثين كان لها نصف وهو ستة عشر وهو ما لكل واحد من الكلاب واذا نصفت الستة عشر كان لها نصف وهو ثمانية وهى عدة بيادق كل واحد فاذا نصفت الثمانية كان لها نصف وهو أربعة وهو الرخان والفرسان من كل واحد فاذا نصفت الأربعة كان لها نصف وهو اثنان فقد انقسمت أزواجاً ولم يبق فى القسم بعد الأزواج إلا

الواحد الذى يقسمها كلها آحاداً وهو ليس بعدد ولا معدود ولا زوج ولا فرد لأن أول أعداد الفرد ثلاثة .

ثم قال الحكيم : ليس شيء أجل من الحرب لأنه يبين فيها فضل التدبير وفضل الرأى وفضل الحزم وفضل الاحتياط وفضل التعبئة وفضل المكيدة وفضل الاحتراس وفضل النجدة وفضل البأس وفضل القوة وفضل الجلد وفضل الشجاعة ، فمن عدم منه شيء من هـــذا عرف موضع تقصيره لأن خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف للمهج والجهل مبيح للحمى وترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جلب للعطب والتقصير سبب للهزيمة وقلة العلم بالتعبئة داعية الانكشاف وقلة المعرفة بالمكيدة تهور الى الهلكة وترك الاحتراس نهزة للعدو وجعلها على مثال الحرب فان أصاب ظفر وان أخطأ هلك فلما رأى الملك صحة البرهان وتبين فضل حكمة الحكيم وعلم أن قد أصاب وأحسن التمثيل وأبان عما قد عمى عنه جمع أهل مملكته فعرفهم ما كشف الله عنهم من الغم وأمرهم أن يقيموها ويتأملوها وقال لهم قد علمنا أن ليس فى العالم حى ناطق مفكر ضاحك عاقل إلا الإنسان فالانسان عليه مدار جميع ما فى العالم لأن الفلك بجميع ما فيه خلقه الخالق للإنسان ليعرف به ما يحتاج اليه من زمانه وأوقاته وكذلك ذلل له جميع ما فى الأرض وكل ما خلق الله مما فى قعر البحر وجو السماء ورؤس الجبال، فلما ملك الإنسان جميع ما خلق قسم ذلك الإنسان ثلاثة أقسام فأكل ثلثاً وسخر ثلثاً وقتل ثلثاً فأكل الطير والسمك وما شاء من النعم والابل وسخر البقر والحمير والدواب وقتل السباع والحيات والهوام ثم جعل فيه آلات يعلم بها ويعقل بها ويدرك بها ويفهم ، ففضل الناس بعضهم بعضاً بالعلم والعقل والفهم .

وقد زعم علماء من علماء الهند أنه لما ملكت حوسين « حوسبر » بنت بلهيت خرج عليها خارجى وكانت جارية عاقلة فوجهت إبناً لها وكان لها أربعة أولاد فقتل ذلك الخارجى ابنها فعظم ذلك أهل مملكتها وأشفقوا من أخبارها

فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم يقال له « قفلان » وكان ذا حكمة وفطنة ورأى فذكروا ذلك له فقال أنظرونى ثلاثاً ففعلوا ذلك وخلا مفكراً ثم قال لتلميذ له أحضرنى نجاراً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فاحضره نجاراً فارهاً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فصوره صورة الشطرنج وأمر النجار فنجرها ثم قال له أحضرنى جلداً مدبوغاً فامره أن يخط فيه أربعة وستين بيتاً ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاولا حتى فهماها وأحكماها . ثم قال لتلميذه هذه حرب بلا ذهاب أنفس ثم حضره أهل المملكة فاخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لايهتدى اليها احد وجعل يجاول تلميذه فيقع «شاه مات» و«شاه غلب» فاخبرت الملكة بخبر « قفلان » فاحضرته وأمرته أن يريها حكمته فاحضر تلميذه ومعه الشطرنج فنصبها بينه وبينه فلعبا فغلب أحدهما صاحبه فقال « شاه مات » فانتبهت وعلمت ما أراده وقالت لقفلان أقتل ابنى قال أنت قلت فقالت لحاجبها أدخل الناس يعزونى فلما فرغت أحضرت قفلان وقالت له سل حاجتك فقال أسأل أن أعطى قمحا بعدد بيوت الشطرنج أعطى فى البيت الأول حبة . . . (١) . . . ثم يضعف ذلك لى فى البيت الثالث على الثانى ثم على هذا الحساب الى آخرها قالت وما مقدار هذا ثم أمرت بالحنطة أن تحضر فلم يقم لذلك شىء أنفدت قموح البلد ثم قوم القمح بالمال حتى فنى المال فلما كثر ذلك قال لاحاجة لى به إن قليل الدنيا يكفينى ؛ ثم سألته عن عدد الحب الذى سأل فقال لها يكون ذلك عدداً وهذا مافى الشطرنج من العدد « السطر الأول » مائتان وخمسة وخمسون «الثانى» إثنان وثلاثون الفاً وسبعمائة وثمانية وستون «الثالث» ثمانية آلاف الف وثلاثمائة وثمانية وثمانون الف وستمائة وثمانية «الرابع» الفا الف الف ومائة وسبعة وأربعون الف الف وأربعمائة وثلاثة وثمانون الفا وستمائة وثمانية وأربعون « الخامس »

(١) ـ كذا بياض فى الأصل وفى العبارة سقط ولعل الساقط قوله (وفى البيت الثانى حبتين) فراجع القصة وقد رويت بوجوه مختلفة . (م . ص)

خمسمائة وتسعة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وخمسة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وثلاثة عشر الفاً وثمان مائة وثمانية وثمانون « السادس » مائة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وسبعة وثلاثون الف الف الف وأربعمائة وثمانية وثمانون الف الف وثلاثمائة وخمسة وخمسون الفاً وثلاثمائة وثمانية وعشرون « السابع » ستة وثلاثون الف الف الف الف الف وثمانية وعشرون الف الف الف الف وسبع مائة وسبعة وتسعون الف الف الف وثمانية عشر الف الف وتسع مائة وثلاثة وستون الفاً وتسع مائة وثمانية وستون « الثامن » تسعة آلاف الف الف الف الف وماثتان وثلاثة وعشرون الف الف الف الف الف وثلاث مائة واثنان وسبعون الف الف الف وستة وثلاثون الف الف الف وثمان مائة وأربعة وخمسون الف الف وسبع مائة وخمسة وسبعون الفاً وثمان مائة وثمانية . يكون جميع ذلك فى الشطرنج الثمانية ثمانية عشر الف الف الف الف الف الف وأربع مائة وأربعين الف الف الف الف الف وسبع مائة وأربعة وأربعين الف الف الف الف وثلاثة وسبعين الف الف الف وسبع مائة وتسعة الف الف وخمس مائة وأحد وخمسون الفاً وستمائة وخمسة عشر .

ومنهم (كوش) الملك الذى كان فى زمانه « سندباد » الحكيم وكوش هذا وضع كتاب (مكر النساء) .

والهند أصحاب حكمة ونظر وهم يفوقون الناس فى كل حكمة فقولهم فى النجوم أصح الأقاويل وكتابهم فيه كتاب « السند هند » الذى منه اشتق كل علم من علوم مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم ، وقولهم فى الطب المقدم ولهم فيه الكتاب الذى يسمى « سسرد » فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها ، وكتاب شرك ، وكتاب ندان فى علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ؛ وكتاب سندهشان وتفسيره صورة النجح ، وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة

وكتاب أسماء العقاقير كل عقار بأسماء عشرة ولهم غير ذلك من الكتب فى الطب ولهم فى المنطق والفلسفة كتب كثيرة فى أصول العلم منها : كتاب طوفا فى علم حدود المنطق ، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم . ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها .

ودين أهل الهند (البرهمية) وفيهم عبدة الأصنام ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد فى طوله وعرضه . فأول ملوكهم مما يتاخم البلاد التى هى اليوم فى دار الإسلام : « دانق » وهو ملك عظيم القدر واسع المملكة كثير العدة . ثم من بعده « رهمى » وهو أعظم قدراً وأعز بلاداً ، وهو على بحر من البحور وفى بلده الذهب وما أشبهه . ثم مملكة « بلهرى » ثم « الكمكم » ومن عندهم يأتى الساج ولهم اتساع فى البلاد . ثم مملكة « الطافن » وهم قوم بيض الوجوه . ثم مملكة « كنباية » ومملكة « الطرسول » ومملكة « الموشة » ومملكة « المايد » وهذه الممالك تتاخم الصين وهم يحاربون الصين . ثم مملكة « سرنديب » ثم مملكة « قمار » وهى مملكة جليلة القدر عظيمة الأمر يتقدم ملكهم الملوك . ثم مملكة « الديبل » ثم « الفاربط » « النازبط ـ خ ل » . ثم مملكة « الصيلمان » ولهم فى بعض ممالك يليها النساء .

اليونانيون

وكان لليونانيين حكماء متفلسفون وفلاسفة متكورون ؛ ومنهم من تكلم فى الطب ؛ ومنهم من تكلم فى حقائق الأمور ؛ ومنهم من تكلم فى الحساب والأعداد ، ومنهم من تكلم فى الافلاك والنجوم ، ومنهم من تكلم فى الحساب والقسمة ، ومنهم من قال فى الهندسة والفلاحة ، ومنهم من قال فى الصنعة والاكسيرات ، ومنهم من قال فى الفراسة ، ومنهم من قال فى الطلسمات والآلات ، فيقال إن أول حكيم وضع كتاباً ودون علماً (أبقراط مقليدس)

ابن أبقراط فبفلسفته يتفلسفون الحكماء فى الطب واليه يرجعون فى المعرفة ؛ وله من الكتب كتاب (الفصول) وكتاب «البلدان» ، «والمياه والأهوية» ، وكتاب «ماء الشعير» ، وكتاب «تقدمة المعرفة» ؛ وكتاب «الجنين» ، وكتاب «الأركان» ؛ وكتاب «الغذاء» ، وكتاب «الأسابيع» ، وكتاب «أوجاع النساء» ، وكتاب «أبيذيميا» . فهذه مشهورات من كتبه ، وله بعد ذلك كتب كثيرة ، فالكتب التى لا بد المتطببين من معرفتهامن كتب أبقراط أربعة وهى كتاب «الفصول» ، وكتاب «تقدمة المعرفة» ، وكتاب «الأهوية والأزمنة» وكتاب «ماء الشعير» .

فاما كتاب «الفصول» فانه قال فى كل وجه من العلم قولا جامعاً فى سبعة وخمسين باباً وهى التى تسمى التعليمات .

(فالتعليم الأول) فى الصنعة وصنفها ، قال أبقراط : العمر قصير والصناعة طويلة والزمان حديد والتجربة خطر والقضاء عسر . (التعليم الثانى) فى أصناف الطعام للمرضى وتقديره ؛ قال أبقراط : الأطعمة اللطيفة دقيقة جداً ليست فى الأمراض المزمنة ولا فى الحادة والاطعمة أيضاً التى على أقصى حد اللطافة ردية مثل ما أن الماء الذى على الحد الأقصى ردى . (التعليم الثالث) فى اهتياج الحمى ؛ قال أبقراط : ينبغى أن يتحفظ فى الطعام وإن الزيادة منه مضرة وكلما يعرض من الأمراض فى الحين بعد الحين فينبغى التحفظ عند اهتياجها (التعليم الرابع) فى علات الامراض . قال أبقراط : الدليل على حال الامراض ما يظهر من لفظ الجسد فيها مثل من به ذات الجنب إن ظهر منه نفث عاجل من أول المرض قصر مرضه ؛ وإن ظهر ذلك متأخر أطال مرضه ، وفى مثل البول والبراز والعرق إذا ظهر على الوجه الذى يجرى عليه القضاء بالفرج أو على خلاف ذلك على قصر الأمراض وطولها . (التعليم الخامس) قال أبقراط : كلما نشت - يعنى ذوات الارواح - فهو كثير حرارة الغريزية ولذلك يحتاج الى كثرة

الطعام وإلا بلى جسده . (التعليم السادس) فيما ينبغى أن يطعم للمحمومين من الطعام ، قال أبقراط : التدبيرات الرطبة بجميع المحمومين أمثل ولا سيما للصبيان ولغيرهم من الذين اعتادوا ذلك التدبير لبعض مرة ولبعض اثنتين وا كثر وأقل ومرة بعد مرة ، وأعطوا الساعة والعادة والبلاد والسن حقها (التعليم السابع) فى معرفة الموقت ، قال أبقراط : فيما يتفرج ، وما قد تفرج ينبغى أن لا يحرك ولا يحدث به حدث لا بأدوية ولا بغيرها مما يهيج ذلك . (التعليم الثامن) فى النوم قال أبقراط : فى أى مرض كان إن جاءه النوم بوجع فذلك يموت وإن نفع النوم فليس بميت وإن رد النوم ذهاب العقل فذلك صالح . (التعليم التاسع) فى سقى الدواء ، قال أبقراط : ينبغى لمن أراد تنقية الاجساد أن ينقيها قبل ذلك أى باذابة ما فيها من الكيموس الغليظ .

(التعليم العاشر) فى البراز ، قال أبقراط : إن وقع فى الجسد وجع أو خرجت فى الجسد خراجات فعند ذلك ينبغى أن ينظر فى البراز فان كانت مرة صفراء فالجسد كله مريض وان كان شبيهاً ببراز الاصحاء فالطعام الحشد (التعليم الحادى عشر) قال أبقراط فى الامراض الحادة (. . . . .) لأنها ربما أسرعت الى الدماغ أو الى القلب أو الكبد فتهلك وربما أسرع انحطاطها فتبرأ (التعليم الثانى عشر) فى القضاء فى الفرج ، قال أبقراط : الامراض الحادة يقضى عليها بالفرج فى أربعة عشر يوماً . (التعليم الثالث عشر) قال أبقراط : عند ابتداء الامراض إن رأيت أن تحرك شيئاً فحرك وإن صعدت العلة فلزوم الكف أفضل - أى إن رأيت موضعاً للعلاج فقبل أن تصعد العلة - (التعليم الرابع عشر) فى معرفة صالح الامراض وطالحها ، قال أبقراط : فى كل مرض صحة عقل المريض حسن وقبوله ما يقضى خير وخلاف ذلك شر - أى ما يجد العليل فى الدماغ والمعدة - .

(التعليم الخامس عشر) فى المخنوقين ، قال أبقراط : الذين يخنقون

ويخلون قبل أن يموتون (١) وان ظهر فى أفواههم زبد لم يسلموا . (التعليم السادس عشر) فى اضمار الجسد والعناء قال أبقراط : فى كل تحريك الجسد اذا بدأ بتعب ثم ودعته مكانك لم يضر التعب . (التعليم السابع عشر) فى انقلاب الساعات ، قال أبقراط : انقلاب الساعات . . . (٢) . . . عن عظم البرد والحر وغير ذلك مما يجرى مجراه أى انقلاب ساعات الزمان من أجزاء السنة . (التعليم الثامن عشر) فى العرق ، قال أبقراط : اذا كان الزمان شبيهاً بالصيف - يعنى الربيع - عند ذلك ينبغى أن يتوقع كثرة العرق مع كل حمى تعرض (التعليم التاسع عشر) فى الساعات . قال أبقراط : إن كان الشتاء يابساً بلا رطوبة وكانت رياحاً شمالاً كان الصيف - يعنى الربيع مطوراً - وكانت رياحه يمانية فلابد أن يكون فى القيظ حميات حادة ووجع العين واختلاف من الاعفاج وعامة ذلك فى النساء والذين فى طبيعتهم رطبة .

(التعليم العشرون) فى تدبير السنين ، قال أبقراط : السنة اليابسة أو بأمن الممطورة الرطبة عامتها حميات طويلة وسيلان البطون وخروج متماشية وجنون وفالج وذبحة ، وأما أمراض السنة اليابسة فقرح فى الرئة ووجع العيون والمفاصل وتقطير البول واختلاف من خراج الأعفاج (التعليم الواحد والعشرون) فى أمراض الساعات والاسنان ، قال أبقراط : فى الساعات على ما يكون من الامراض فى الصيف وأول القيظ الغلمان والذين يتلونهم فى السن أصحاء وحسن حالهم أفضل من غيرهم ، وفى القيظ وبعض الربيع الشيوخ أحسن حالاً ، وفى سائر الربيع والشتاء أهل النصفة فى السن أفضل حالا .

(١) - كذا فى نسخة الأصل باثبات النون والصحيح حذفها ، وفى العبارة تشويش .

(٢) - كذا بياض فى الأصل ، وقد كتب المعلق فى الهامش هنا العبارة التالية : (عما يفعل فى توليد الأمراض خاصة) . (م . ص)

(التعليم الثانى والعشرون) فى الامراض التى تصيب الإنسان فيبدأ بالولدان قال أبقراط : الأمراض التى تصيب الولدان الصغار قرح وسعال وسهر وفزع وورم فى السرر ورطوبة الأذنين (التعليم الثالث والعشرون) قال أبقراط : والامراض التى تصيب الصبيان اذا كبروا وجع اللوزتين وبهر وحصاة ودود عراض ودود طوال ودود مثل دود الخل وثآليل وغلظ فى أبشارهم وخنازير وخراجات أخر، والذين اكبر منهم من قد راهق الاحتلام يصيبهم أمر آخر ويقضى عليهم بالفرج الى اربعين يوماً وعلى بعضها الى سبعة أشهر ومنها الى سبعين يوماً اذا راهقوا الاحتلام وكل أمراض لا تنجلى عن الصبيان الى الاحتلام وعن الجوارى الى أن يطمثن فتلك أمراض تثوى زماناً طويلا (التعليم الرابع والعشرون) فى معرفة ماتداوى به النساء الحوامل ، قال أبقراط النساء الحوامل يداوين لاربعة أشهر فاما دون ذلك من صغر الولد وإما زاد من كبره فينبغى أن يحذر علاجهن .

(التعليم الخامس والعشرون) قال أبقراط: ينبغى أن يداوى مافوق فى الصيف وما أسفل فى الشتاء ـ يعنى ما كان فوق الرأس والمعدة ـ وما كان أسفل من المرة الصفراء وما أسفل من الخام وما أشبهه (التعليم السادس والعشرون) فى ذى المشى ، قال أبقراط: عند شرب الادوية والخربق ينبغى أن يرطب أجساد الذين لا تخف التنقية عليهم من فوق قبل الدواء بكثرة الطعام (التعليم السابع والعشرون) فى الاختلاف طوعاً قال أبقراط : اذا جاء الاختلاف طوعاً كأنه دم أسود مع حمى أو غير حمى فذلك اختلاف سوء وان كان اختلاف كثير الالوان منتقل من ألوان صالحة الى ألوان ردئية فذلك اختلاف سوء أيضاً ، وإن جاء الأول بدواء فهو أمثل والكثير الالوان فلا بأس به (التعليم الثامن والعشرون) فى الفراغ من حيث كان ، قال أبقراط : كل محموم يعرض له اختلاف لان كثرة إفراغ الدم ترخى الكبد ثم تستقيم النضج (التعليم التاسع والعشرون) فى العرق ، قال

أبقراط : العرق فى المحمومين خير إن جاء فى اليوم الثالث أو الخامس (. . . .
. . . . .) أو السابع عشر أو الواحد والعشرين أو الواحد والثلاثين أو الرابع والثلاثين لان هذا يفرج عن المريض فاما الذى يكون فى غير هذه الايام فذلك عرق مؤذن بوجع وطول مرض ونكسة .

(التعليم الثلاثون) فى الحميات اللازمة ، قال أبقراط : الحميات اللازمة التى لا تقلع بل تشتد فى اليوم الثالث فتلك أقرب الى الهلاك والتى تقلع الى أى وجه كان من الاقلاع فتلك أبعد الى الهلاك (التعليم الحادى والثلاثون) فى علامات الموت قال أبقراط : الحميات اللازمة التى لا تقلع إن كان ظاهر الجسد بارداً وداخله يحترق وكان بصاحبه عطش فتلك علامات موت . (التعليم الثانى والثلاثون) فى الانقباض والكزاز ، قال أبقراط من أصابه انقباض أو كزاز فتبعت ذلك الحمى انحل مرضه . (التعليم الثالث والثلاثون) قال أبقراط : من كانت به حمى فاصابه حر شديد فى جوفه ووجع فى قلبه فذلك شر . (التعليم الرابع والثلاثون) قال أبقراط : من كانت به حمى فورمت شراسيفه وأشرفت وظهرت به قرقرة فى جوفه فاصابه مع ذلك وجع صلبه فلم يتفرج بارواح تخرج منه أو ببول كثير أو يتفرج باختلاف هلك .

(التعليم الخامس والثلاثون) فى شرب الخربق ، قال أبقراط : من أصابه انقباض من كثرة الاختلاف على شرب الخربق فذلك ميت . (التعليم السادس والثلاثون) فى القروح فى الرئة والضمر فى الرئة يكون ذلك فى ثمانية عشر الى خمسة وثلاثين . (التعليم السابع والثلاثون) فى الماء الحار والبارد ، قال أبقراط الماء الحار اذا أدمنت عليه يرخى اللحم ويذهب بشدة العصب ويخدر العضل ويهيج الرعاف ويضعف النفس وان دام ذلك مات . والبارد يأتى بكزاز وتسود ويأتى بنافض وحمى . (التعليم الثامن والثلاثون) فى معرفة المياه ، قال أبقراط الماء الحار ينضج المدة وليس فى كل خرج . ولنضج المدة علامات كثيرة وهى

اين الجلد وضم الورم ، واذا كان الماء الحار يفعل ذلك يذهب الوجع ويسكن الناقص والانقباض والكزاز ويحل وجع الرأس . (التعليم التاسع والثلاثون) فى أمور النساء ، قال أبقراط : البخور بالطيب جلاب لطمث النساء نافع لذلك ولأشياء كثيرة غير ذلك إلا أنه يهيج وجعاً فى الرأس وصداعاً .

(التعليم الأربعون) قال أبقراط : أيما امرأة ليست بحبلى ولا مرضعة وتجد فى ثدييها لبناً فذلك دليل على أن دم طمثها قد انقطع . (التعليم الحادى والاربعون) قال أبقراط : إن الأولاد الذكور أ كثر ما يكونون فى يمين الأرحام والأناث فى يسراها .

(التعليم الثانى والأربعون) قال أبقراط : النساء الحبالى اللاتى تصيبهن الحمى فتصلب عليهن فاولئك من غير علة معروفة تبين فان ذلك دال على هلاك ويسقطن فيهلكن . (التعليم الثالث والأربعون) قال أبقراط : أعط اللبن لمن يشتكى رأسه ولمن به عطش وأيضاً لمن به اختلاف من مرة صفراء وحمى حادة ولمن اختلف دماً كثيراً وهو موافق أن يعطى لمن به ضمر وقرح فى رئته اذا لم يكن محموماً جداً ويعطى لمن كانت حماه لينة فاترة مزمنة من غير أن يكون به شىء من العلامات التى ذكرنا ويكون جسده ناحلا جداً . (التعليم الرابع والاربعون) فى أزلاق الامعاء، قال أبقراط : من أصابه زلق الأمعاء وطال به ثم تبع ذلك جشاء حامض لم يكن به قبل ذلك فذلك علامة خير وهو مرض يكون له ثلاثة أسباب من قبل ضعف المعدة أو من قبل بلغم بل المعدة أو من قبل قرح يكون فى المعدة .

(التعليم الخامس والأربعون) قال أبقراط : من أصابه وجع فى رأسه وضربان شديد فذلك إن سال من أنفه أو من أذنيه أو من فمه قيح أو ماء حل وجعه (التعليم السادس والأربعون) قال أبقراط : من أصابه انقطاع فى مثانة أو دماغ أو قلب أو صفاق أو شىء من الأمعاء الدقاق أو فى معدة أو فى كبد فذلك كله مميت . (التعليم السابع والأربعون) قال أبقراط : من أصابه فزع

أو خبث نفس زمانا كثيراً دائماً فذلك يصير الى المرة السوداء . (التعليم الثامن والأربعون) قال أبقراط : شرب الخمر صرفاً والكماد الحار وقطع العروق وشرب الدواء يحل وجع العينين . (التعليم التاسع والاربعون) قال أبقراط : ترك كل خراج سرطانى لا يعالج أفضل فان أصحابه إن عولجوا هلكوا سريعاً فان لم يعالجوا بقوا زماناً .

(التعليم الخمسون) قال أبقراط الخراج الذى ينتؤ سنة وأكثر من ذلك فلابد من أن يقلع منه عظام ويبقى آثارها كالجرب (التعليم الحادى والخمسون) قال أبقراط : ذهاب العقل الذى يأتى الضحك معه يؤثر به ، وذهاب العقل مع الحزن والعبوس لا يؤثر به . (التعليم الثانى والخمسون) قال أبقراط : فى الأمراض الحادة اذا بردت الأطراف فذلك شر . (التعليم الثالث والخمسون) قال أبقراط : من خرج فى كبده خراج ثم تبعه فواق فذلك شر . (التعليم الرابع والخمسون) قال أبقراط : من كانت به حمى وكان ببوله ثفل غليظ شبيه بدشيش الطحين فذلك دليل على أن مرضه يطول .

(التعليم الخامس والخمسون) قال أبقراط : من قاء دماً من غير أن تصيبه غلبة فهو يتخلص فان أخذته غلبة حمى فهو خبيث وينبغى أن يعالج بكل دبوغ أى من الأدوية الدابغة . (التعليم السادس والخمسون) قال أبقراط : من كان يتقيأ القيح فكوى وخرج القيح أبيض نقياً سلم صاحبه وإن خرج منتناً وسخاً هلك صاحبه وان كان بكبده خراج قد قيح وكوى وخرج القيح نقياً أبيض سلم لأن القيح فى صفاق الكبد وإن خرج القيح شبه ماء الزيتون هلك صاحبه (التعليم السابع والخمسون) قال أبقراط العطاس يكون من قبل الراس اذا سخن الدماغ أو برد أو ترطب ما بين الدماغ وصفاقه وامتلأ فيفرغ ذلك الهواء ويكون له نغنغة لأن مخرجه من ضيق ، فهذه أبواب كتاب الفصول .

وأما كتابه فى تقدمة المعرفة فهو ثلاثة فصول وعشرون تعليماً .

« الأول » يخبر أبقراط كيف ينبغى للطبيب أن ينتحل تقدمة المعرفة فانه الذى يخبر المرضى بما بهم وما أصابهم قبل ذلك وما هو آت عما يصيبهم وما اغفل المرضى ذكره وأن قوتها وأسبابها إن كانت من اختلاط الجسد أو غيره ونحو هذا . « التعليم الثانى » يخبر فيه كيف ينبغى للطبيب ان يحسن النظر فى الأمراض الحادة وكيف ينظر فى وجوه المرضى إن كانت تشبه وجوه الأصحاء وعلامات الوجوه الدالة على الموت ونحوهذا . « التعليم الثالث » يقول فيه إن كان المرضى ثلاثة أيام وأربعة والوجوه على حال وجوه الاصحاء وغير ذلك ينبغى أن يحسن الفكر فى الآيات والعلامات على ماتقدم ذكره وفى علامات العينين واشفارهما والأنف وانضجاع الريض وكيف ينبغى أن يعمل وما المهلك من علاماته . « التعليم الرابع » يصف رجلى المريض وأحوالها وانضجاعه وحك الأسنان بعضها ببعض مع الحمى والدلائل فى ذلك ؛ وان كان بالمريض خرج أصابه فى مرضه أو قبل مرضه وما يدل عليه ويصف اليدين واضطرابهما وما يدلان فى ذلك .

« التعليم الخامس » يذكر النفس الكثير السريع وما يدل عليه ويذكر أفضل العرق فى الامراض الحادة والعرق الفاضل والعرق البارد والعرق المتخبث ويذكر أن العرق يكون إما من ضعف الأجساد واما من دوام خراج . « التعليم السادس » يذكر صحة الشراسيف واذا لم تكن صحيحة وضربان عروقها وما يدل فى ذلك وأورام التى بجنب الشراسيف ويخبر عن الأورام وما يصيبها « التعليم السابع » يذكر فيه الخراجات واذا أزمنت كيف ينبغى أن ينظر فيها وينعت مقاديرها وما يخرج منها وكيف ينبغى أن يخرج . « التعليم الثامن » الحبن (١) الذى يكون من الأمراض الحادة والذى يكون من البراز والذى من

---

(١) ـ الحبن بالحاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين ثم النون ، الاستسقاء والأحبن المستسقى ـ أى الذى به مرض السقى ـ . (م . ص)

الكبد وما يصيب أصحاب الجبن من الأعراض اللاحقة بهم من أجله وعلامات تدل على الموت من اسوداد الأصابع والأرجل ونحو هذا .

« التعليم التاسع » يذكر تقابض الخصيتين والذكر ويذكر السبات والنوم وكيف ينبغى أن يكون والبراز وكيف ينبغى أن يكون .

« التعليم العاشر » يذكر فيه البراز كيف يجب خروجه وأسبابه وكيف ينبغى أن تكون البطن فى كل مرض وألوان البراز الدالة على الموت وغير ذلك ويصف الرياح والقراقر ونحو ذلك .

« التعليم الحادى عشر » يخبر عن البول الصحيح ثم عن البول اذا تغير وأصناف أثفال الأبوال من جهة المثانة .

« التعليم الثانى عشر » يذكر فيه القىء وأسبابه والتخمة وكيف تنفث وما تختلط ولونها ويذكر العطاس فى جميع الامراض التى تلى الرئة وما المميت فى ذلك وما المؤذن بانحلال المرض .

« التعليم الثالث عشر » يصف فيه النخامة فى أمراض الرئة ولونها مع الوان النخامات ويذكر فيه البول والبراز والعرق وما يدل كل واحد من هذا عليه .

« التعليم الرابع عشر » يذكر الخراجات المقيحة وأوقاتها التى تنفجر فيها ويصف كيف كل ما يخرج منها وكونها فى كل انسان .

« التعليم الخامس عشر » يذكر الخراجات الناتئة فيما يلى الآذان وما يحدث ذلك فى الذين بهم أمراض الرئة وكيف الدلائل على ذلك والخراجات التى فى سوق الذين بهم أمراض وما يلحقهم فى ذلك .

« التعليم السادس عشر » يذكر الأوجاع الردية الذاهبة بالعقل ويذكر الحميات وأسبابها فى أيامها .

« التعليم السابع عشر » يذكر تقدمة المعرفة فى الأمراض الحادة العسرة

المزمنة ويذكر حميات الربع وما يلحق أصحابها من أجلها والأيام التى تكون فيها ويذكر أوجاعاً تكون فى الصدغين والجبهة ووجع الآذان وما يلحق المرضى .

« التعليم الثامن عشر » يذكر أوجاع الحلق المختنقة والحمرة فى الرقبة والصدر والثقب وما يلحق المريض من علامات الهلاك فى ذلك ويذكر أسباب الغرغرة وجراحات تكون (١) . . . ووجع مولم فى المفاصل وذكر الخراجات الناتئة فى الشباب وشيئاً من أسباب الحمى .

« التعليم التاسع عشر » يذكر فيه الحمى ووجع الفؤاد وذكر الأيام التى تطول فيها الحمى مع أوجاع تكون فى الحمى .

« التعليم العشرون » يخبر كيف ينبغى لمن أراد أن يحكم تقدمة المعرفة أن يعرف ما ينجلب من الأمراض التى لا تزال مؤلمة وكيف يعلم وخبر الأركان والعلامات وأجزاء السنة وأسباب البلدان ، فهذه تعليمات كتاب تقدمة المعرفة لبقراط .

فاما كتابه فى الأهوية والازمنة والمياه والأمصار ، فانه يخبر بما يعترى أهلها من الامراض الخاصة والعامة والمؤتلفة والمختلفة بحدود ثابتة ومعالم بينة .

« فالباب الاول » يقول : إنه ينبغى لمن أراد طلب الطب طلباً صادقاً أن يفحص أولا عن ازمنة السنة وما يحدث فيها لأن بعضها لا يشبه بعضاً بل بعضها مخالف لبعض وقد تختلف أيضاً فى انقلابها بذاتها .

« والباب الثانى » يقول : إن السنين اللاتى تحفظ أزمنتها على اعتدالها ومراجعها فان الأمراض التى تحدث فيها تكون شبيهاً وعلى استوائها غير مخالفة

(١) ـ بياض فى الاصل وفى العبارة سقط ، ولعله (مع ورم) وفى ص ٢٨ من كتاب تقدمة المعرفة المطبوع فى النجف سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٧ م العبارة التالية (خراجاً مع ورم والم فى مفاصله) . (م . ص)

ولا مشبهة والأزمنة الكثيرة الانتقال فان الامراض تعرض غير مستوية ولا متواتية وانحلالها عسر شاق .

« الباب الثالث » يقول : إن الرياح الحارة والباردة العامة فيها تغير الأبدان

« الباب الرابع » يقول : ينبغي للطبيب أن يفكر فى قوى المياه لانها متخالفة فى المذاقة والوزن وكذلك تختلف فى القوة اختلافاً شديداً .

« الباب الخامس » يقول : المياه كيف هى أراكدة أو لينة أو خاشنة سايلة ام (. . . . .) نواحى مشرفة صخرية ام صالحة رطبة النضج .

« الباب السادس » يقول : إنه ينبغي للطبيب أن يفكر فى الأرضين ان كانت جرداء عديمة الماء أو شعراء كثيرة الماء أو عامرة أو غامرة أو مشرفة باردة .

« الباب السابع » قال : ينبغي أن يذكر غذاء الناس فى أى شىء لذاتهم أفى كثرة الشرب والاكل وحب الدعة أم حب العمل والاكل وأن يفحص عن كل واحد من هذه الاشياء فى كل بلد .

« الباب الثامن » قال : ان مضى شىء من الزمان والسنة فان الطبيب سيخبر بكل مرض عام يعرض لكل واحد من أهلها من قبل تغير أغذيتهم .

« الباب التاسع » قال : اذا لم تكن الأمراض من فساد الهواء فانه لا ينزل باهل المدينة عامة ولكنه يكون متفرقاً فاذا فكر الطبيب فى هذا النوع وفى هذه الأشياء فعلم علماً شافياً كيف تكون الأزمنة كان حرياً أن يكون علمه صواباً فان علم النجوم ليس بجزء صغير من علم الطب .

وأما كتابه فى الأهوية والبلدان ، فانه وصف البلدان ومياهها وخواصها .

« فالقول الأول » فى المدن وهى أربع مدائن فالاولى على سمت الاستواء . والثانية : على سمت الفرقدين . والثالثة : بازاء المشرق . والرابعة : بأزاء المغرب .

« فالاولى » قال كل مدينة موضوعة بازاء الرياح الحارة هى التى وسط شرق الشمس الشتوى وغربه فانها تهب اليها هبوباً دائماً وتكون فى كن من أزاء

الفرقدين ، ومياه هذه المـــدينة كثيرة حارة تسخن فى القيظ وتبرد فى الشتاء ورؤوس سكان هذه المدينة رطبة بلغمية وبطونهم كثيرة الاختلاف دائمة ونساء هؤلاء الناس مرضى ذوات أسقام ابداً بكثرة طمثهن ولا يسقطن وليس ذلك من طبيعتهن ولكن من قبل امراضهن فان حبلن أسقطن أكثر ذلك وأما الصبيان فيصيبهم الكزاز والربو والسقم ورجالهم يعرض لهم البطن واختلاف الدم والسقم الذى يدعى ايالوس وحمى طويلة شتوية وليلية وبواسير فى المقاعد وتعرض لهم الحمى المتلهبة والامراض الحادة والرمد الطويل فاذا أتت لهم خمسون سنة عرضت لهم النزلات من الدماغ فهيج بهم الفالج العارض فى جميع البلدان .

« والمدينة التى ناحية الشمال » قال فان كل مدينة موضوعة بازاء ناحية الرياح الباردة مما يلى ناحية المغرب والمشرق والقطبين فان هـذه الرياح رياحها البلادية وتكون مستورة من الرياح الحارة ومياهها يابسة بطيئة النضج حلوة أكثر ما تكون ، وسكان هذه المدينة أكثرهم اشداء أقوياء سوقهم الى الدقة اضطراراً وبطونهم خاشنة ورؤوسهم صلبة يابسة شديدة وينالهم الفتق وأسقامهم ذات الجنب والعلل الحادة وكثرة القيح وعروقهم تنقطع ويأكلون كثيراً ولا يعرض الرمد سريعاً فاذا مرضوا تصدعت أعينهم ويصيبهم اذا بلغوا ثلاثين سنة رعاف كثير ولا تعرض لهم الاسقام الكاهنية فان عرضت كانت شديدة ويطول أعمارهم وأخلاقهم وحشية غير ساكنة ولا هادئة ونساؤهم يكن عواقر ابرد الماء ويبسه وذلك أن الطمث ربما لم يكن على ما ينبغى فاذا حبلن اشتد عليهن الولاد ولا يسقطن ويقل غذاء أولادهن لبرد الالبان ويعرض لهن الكزاز ووجع الرئة ويعرض للصبيان الماء الأصفر فى الانثيين فاذا كبروا ذهب ويبطىء احتلامهم .

« والمدينة الموضوعة سمت الرياح التى من المطالع القيظى والشتوى » قال أبقراط وكل مدينة موضوعة ناحية شرق الشمس تكون أصح من المدينة الموضوعة ناحية الفرقدين ومن الموضوعة ناحية الرياح الحارة ، والحرارة

والبرودة فيها أقل وأيسر وأمراض أهلها قليلة والمياه الكائنة سمت طلوع الشمس نيرة مضيئة صافية طيبة المشم لينة لأن الهواء لايكون فيها غليظاً والشمس تحول بينه وبين أن يغلظ ، وصورة سكان هـــذه المدينة حسنة الألوان نيرة ضوية وأصوات رجالهم صافية حديدة يغضبون سريعاً ونباتها وأعشابها أقوى وأصح وهى فى ذاتها وهيئتها تشبه فصل الربيع فى قلة الحر والبرد وأسقامها قليلة ضعيفة ونساؤها يعلقن كثيراً ويلدن بغير مشقة .

« والمدينة الرابعة سمت المغرب » هى فى كن من الرياح الشرقية وتهب اليها الرياح الحارة والباردة من ناحية الفرقدين فتكون كثيرة الامراض ومياهها غير نقية ولا صافية وان علته الهواء الكائن عند الاسحار وذلك أن أسحار هـــذه المدينة تطول جداً والشمس لا تشرق فيها أول ما تشرق حتى ترتفع وتعلو وتهب فيها رياح باردة فى القيظ ويكون رجالها مصفارين مرضى تصير بهم الامراض كلها وأصواتهم باحة ونهارهم ردى فى أيام الخريف لكثرة تغيره فهذا الباب الاول فى المدن الاربع .

والقول الثانى فى (المياه) وهى أربعة أصناف : « أولها » المياه الراكدة مثل : البطائح التى لا تجرى ، (والثانى) العيون النابعة ، (والثالث) المياه التى تكون من الامطار ، (والرابع) المياه التى تكون من الثلوج .

قال أبقراط : المياه الظاهرة المستوية على وجه الارض التى لا تجرى والامطار تمطر عليها وتقوم معها ولا تنزع والشمس دائمـــة الاشراق عليها والاحتراق بها فتكون ردية لا لون لها تولد المرة وتكون فى الشتاء باردة جامدة كدرة بلغمية تورث من يشرب منها الجوحة والطحال (. . . . . .) وتكون بطونهم خاشنة وتهزل التراقى والوجوه وتنقحها ويكثر أهلها الطعم ويدفع ظماؤهم وعطشهم ويلزمهم المرض فى الشتاء والصيف ويعرض لهم الماء الاصفر ويعرض لهم فى القيظ اختلاف الاغراس وحمى ربع طويلة مزمنة ، وشباب

هؤلاء القوم تعرض لهم أوجاع الرئة واسقام تختر عقولهم ، وأما الشيوخ فانه تعرض لهم حمى اللهيبية تدل على تحرقه يبس بطونهم وأما نساؤهم فيعرض لهن أنواع الورم من قبل بلغم أبيض فلا يحبلن إلا بعد عسر ولا يلدن إلا بمشقة ويكون أولادهن عظاماً وكلما عزلوا هزلوا ودقوا ، ويعرض للصبيان أدرة وللرجال سقم وقروح فى سوقهم ، ولا يكون الاعمار فيهاطويلة ويدخل عليهم الكبر سريعاً فى ضمن الازمان وربما أصاب النساء ما يتوهمن أنه حبل ثم يبطل ومياه العيون النابعة من بعض الصخور ردية لانها خاشنة والعيون النابعة من أرض حارة ومن أرض معادن الحديد والنحاس والفضة والذهب والكبريت والشب والزفت والنطرون ، فان هذه كلها إنما تكون من شدة الحرارة فلا تكون من هذه الارضين مياه نافعة مصلحة بل تكون عامتها خاشنة يعرض منها ومن شربها عسر البول وشدة الاختلاف . والمياه التى تنصب عن مواضع مشرفة ومن تلال ترابية أفضل المياه وأصحها وهى حلوة لا تحتاج لكثر مزاج الشراب وتكون فى الشتاء حارة وفى الصيف باردة فهذه حالة المياه النابعة من العيون الغائرة وخير هذه المياه السائلة من أفق الشمس ولاسيما الشرق الصيفى لانها بيضاء براقة طيبة الريح ، وكلما كان من المياه مالحاً بطىء النضج خاشناً فان الذين يشربون منه بلا حاجة اليه ليس بنافع لهم وان بعض الطبائع والاسقام ربما انتفعت به وكلما كان طعم المياه الى الملوحة فكلها ردية مفسدة وكل عين تكون سمت شرق الشمس فماؤها خير المياه، ثم بعدها العيون التى بين افق الشمس القيظى والغرب القيظى وأفضلها المائلة الى الشرق ثم التى بين مغرب الشمس الشتوى والقيظى وأردأها العيون التى فى ناحية الجنوب ، فاما العيون التى تنزل أفق الشرق الشتوى والغرب الشتوى فما كان منها ناحية الجنوب فهى ردية جداً وما كان منها ناحية الشمال فهو خير ، فمن كان خاشن البطن فان المياه الخفيفة الصافية له نافعة ولمن كان بطنه ليناً لدناً بلغمياً ضارة فان المياه المالحة تسهل البطن فقد أخطأ الناس فى ذلك

ومياه الامطار خفيفة عذبة والشمس تخطف من الماء رقيقه وخفيفه وتصعد الماء من الانهار والبحور والمواضع الرطبة ولذلك صارت مياه الامطار تعفن وتروح رائحة ردية لانها اجتمعت من رياح شتى فصارت أسرع عفنا أو تغير آفان الرطوبة التى تنشفها الشمس متفرقة لا تزال معلقة فى الهواء فاذا اجتمعت كلها والتفت بالرياح المتضادة اللاقية بعضها بعضاً انصبت حينئذ ولا سيما اذا كانت المقايسة كما ينبغي ، وا كثر ما يكون هذا اذ استحكم اجتماع السحاب واستقبلته ريح أخرى فرقته واذا تزاحمت سحابة أخرى على السحابة الاولى وقطعتها انحدرت حينئذ الرطوبة من ثقلها وتمزقها الرياح فتكون الامطار السابقة ، فهذه المياه أفضل المياه إلا أنه ينبغي أن تكون رائحته ردية ويعرض لمن شرب منها البحة والسعال وثقل الصوت واذا طبخت لم يغن عنها الطبخ شيئاً ، وأما المياه التى تكون من الثلوج والجليد فكلها ردية لانها اذا جمدت مرة لم ترجع الى طبيعتها الاولى وما كان من الماء خفيفاً عذباً صافياً نقياً أفلت من الجمود وطار وما كان من الماء كدراً بقى على حاله ويعرف ذلك بانه لو صير فى اناء فى أيام الشتاء وكيل بكيل معلوم ووضع تحت السماء جمد فان وضع فى الشمس حتى ينحل ثم كيل ذلك الماء وجد وقد نقص نقصاناً بيناً فذلك العلامة إن لطيف الماء يتنفس ولا يقع عليه الجمود ولا يتنفس ولا يبرح (. . . . . .) وماء الثلوج أردى المياه واذا شرب الناس المياه المختلفة عرض لهم الاسر والحصاة فى المثانة ووجع الخاصرة ووجع الوركين وفى الانثيين أدرة ولا سيما اذا شربوا من مياه أنهار واسعة أو من بحيرة ينصب فيها من سيول شتى مختلفة لان منها العذب والمالح والشبي ومنها ماء السيل من مواضع حارة فاذا شربت عرضت الاسقام ، واللبن الردى يولد الحجارة فى مثانات المرضعين والنساء لا تصيبهن الحصاة لأن مبالهن واسع .

والقول (الثالث) فى الازمنة اذا كانت سقيمة أو سليمة ، قال أبقراط إنه إن كان طلوع الكواكب وغيرها على ما ينبغي وكانت مياه كثيرة فى الخريف

وفى الشتاء يسيرة ولا يكون الصحو كثيراً ولا البرد فوق المقدار فكانت مياهها معتدلة فى الربيع وفى القيظ كانت سليمة صحيحة ويصح الهواء ، واذا كان الشتاء يابساً والربيع كثير الامطار جنوبياً عرض للناس فى الصيف الحمى والرمد واختلاف الاغراس لكل ذى طبيعة رطبة ، واذا كان فى وقت طلوع الكوكب الذى يدعى الكلب وهو الشعرى مطر كثير وشتاء وهبت الرياح على انوائها كفت الاسقام ورجى أن يكون الخريف صحيحاً فان لم يكن ذلك كان الموت فى الصبيان وفى النساء وقل فى المشيخة فمن نجا عرضت له الحمى الربع وربما آل الى جمع الماء الاصفر واذا كان الشتاء جنوبيا كثير الامطار والربيع يابسا شماليا فان النساء الحوامل يسقطن فى فصل الربيع فان ولدن كان أولادهن مسقومين إما يموتون من ساعتهم وإما يعيشون مهازيل ؛ وأما سائر الناس فمنهم من يعرض له الاختلاف ورمد يابس ومنهم من يعرض له النزلات من رأسه الى رئته فاما المبلغون والنساء فيعرض لهم اختلاف الاغراس ، وأما أصحاب المرة الصفراء (. . . . .) فتعرض لهم النوازل لسخافة جلودهم وذبولة عصبهم وربما ماتوا فجأة وربما يبس جانبهم الايمن ؛ وما كان من الامصار يقابل شرق الشمس ورياحه سليمة ومياهه غائرة فقل ما يضيره تغير الهواء وكل مدينة يشرب أهلها ماء ساخنا بطاحيا وليست موضوعة سمت الشرق وليست رياحها سليمة ضير بأهلها تغير الهواء وإن كان الصيف يابسا عاما ذهبت الامراض سريعا ، وإن كان كثير الامطار طالت الامراض ، وإن عرض لاحد من الناس قرحة فى هذه الاسقام أو البطن أو الماء الاصفر هلك ، واذا كان الصيف كثير الامطار وكان جنوبيا والخريف كمثل ما كان الشتاء يابسا سقيما فتعرض للمبلغمين والشيوخ أبناء أربعين سنة حمى تسمى القوسوس ، وأما أصحاب المرة الصفراء فيعرض لهم ذات الجنب ووجع الرئة ، واذا كان الصيف يابسا جنوبيا وكان الخريف كثير الامطار شماليا عرض للناس وجع الرأس وسعال وبحوحة وزكام وعرض

لبعضهم السل ؛ واذا كان الصيف يابساً شمالياً ولم يمطر عند طلوع الشعرى نفع أصحاب البلغم والرطوبات وأضر باصحاب المرة الصفراء ، وربما نقلهم الى المرة السوداء . والتغير الكثير يكون فى تصرف الشمس والتصرف الصيفى أكثر تغيراً من الشتوى والخريفى أكثر تغيراً من الربيعى وكل بلد يكاثر تغير زمانه لا يكون مستوياً ويكون فيه جبال طوال سامية شامخة وكل بلد يقل تغير زمانه فهو مستوى .

ثم يذكر أبقراط : اختلاف صور الناس فى أحوالهم واعتدال خلقهم والسبب الذى أشبه بعضهم بعضاً وأن ذلك باتفاق الزمان والمطالع ؛ ويذكر حال الرجال والنساء فى كثرة الأولاد وقلتهم وما يوجب النسل ويقطعه ويقولون إن سكان البلاد الشاهقة المستوية الكثيرة المياه تكون صورهم حسنة وأجسامهم جسيمة وتكون غرائزهم الى اللين والتوأدة وليسوا باهل بأس وشجاعة ومن سكن أرضاً رقيقة قليلة المياه جرداء وكان مزاج هوائها غير معتدل كانت صورهم خاشنة وألوانهم الى الصفرة أو الى السواد وأخلاقهم ردية وغضبهم شديد وطباعهم مخالفة بعضها بعضاً لأن باختلاف الأزمان يكون اختلاف الطبائع ، ثم بعد الازمان والبلاد الغذاء بالمياه لأن غذاء الإنسان من بعد البلاد بالمياه ثم تكلم أبقراط بعد ذلك : فى الرياح وهبوبها والتى تهب من موضع الى موضع وقسمها باربعة أقسام ويقول ان الريح من تخلل الهواء وإنما نشوؤها من اصطكاك أجرام الهواء فهذه أغراض كتاب أبقراط فى الأهوية والأزمنة الذى فسره (جالينوس) وشرح ماذهب اليه أبقراط فى فصل فصل ومعنىً معنى ، فهذه كتب أبقراط التى عليها يعتمد واليها يرجع وهذه أغراضها وقد فسرها جالينوس وشرح كلما فصله له وذهب اليه وأبان عن قوله وترجم معانيه وأوضحها .

فاما كتاب « ماء الشعير » فانه يذكر فيه الأمراض الحادة التى تسمى وجع الجنب والرئة والبرسام والحمى المحرقة وأخبر كيف يشرب ماء الشعير والأيام

التي يكون شربه فيها وكيف يدبر ومتى الأوقات التي ينبغي أن يشرب فيها والاوقات التي تمتنع منها وما يكون الطعام عليه وذكر صنوفاً من العلل الحادة والأمراض المحرقة وقال في كل صنف منها .

وأما كتابه الذي يسميه كتاب « الأركان » فان معنى الأركان أى الطبائع الأربع : الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة ، وأركان البدن وهو العصب والعروق والعظام والجلد والدم فهذه أركان بها قوام العالم ، قال أبقراط إن الأجسام لو كانت شيئاً واحداً لم تصل الأوجاع اليها أبداً ولكنها من أشياء مختلفة وطبائع متباعدة مضر بعضها ببعض . وطبيعة الإنسان وسائر الحيوان إذا صارت على هذه الصفة فمن الضرورة أن لا يكون الإنسان شيئاً واحداً بعينه وكذلك سائر الطبائع إنما قوامها بالرطوبة واليبس والحر والبرد ويتكلم في هذا بكلام واضح .

وكان لبقراط تلاميذ ترجموا كتبه وبعضهم عمل كتباً ونسبها اليه إقراراً له بالعلم والفضل فمنهم « ديا سقوريدس » صاحب كتاب « الأشجار والعقاقير » فإنه وضع كتاباً في منافع الأشجار وصور كل شجرة بصورتها وذكر ما تنفع له تلك الشجرة . ومنهم (ارسجانس) صاحب (الكناش) الذى فيه صفة البدن فكان أحكم حكيم بعده وأهم عالم بالطب وأفهمه لما فسر من كتاب أبقراط هو جالينوس على تباعد ما بينهما من السنين فان بينهما زماناً طويلا غير أنه كالذى تلا أبقراط في الحكمة ولحق به في العلم وفسر كتبه وعمل كتباً كثيرة من كتب الطب التي عليها المعوّل واليها يرجع وكان رجلا فيلسوفا منطقيا حكيما .

فأول كتب جالينوس كتاب في فرق الطب المخالفة بعضها بعضا في الجنس وهى فرقة الرأى والفكر والقياس ، والفرقة الثانية فرقة التجارب والثالثة فرقة الحيل ، وكتاب في الطعام ، وكتاب في نبض العروق ، وكتاب في تشريح العصب وكتاب في تشريح العروق والاوراد ، ومقالتان في علل النفس ، وأربع مقالات

فى الصوت وكتاب فى منافع الاعضاء سبع عشرة مقالة ، وكتاب فى تشريح الرحم وكتاب فى علامات العين ، وكتاب فى طب أصحاب التجارب ، وثلاث مقالات فى حركة الرئة والصدر ، وكتاب التشريح الكبير فى خمس عشرة مقالة ، فالمقالة الأولى فى العضل والرطوبات التى فى اليدين ، والثانية فى العضل الذى فى الرجلين والثالثة فى العصب والعروق والاوراد التى فى اليدين والرجلين . والرابعة فى العضل الذى يحرّك الخدين والشفتين والعضل الذى يحرك اللحى الأسفل الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والى ناحية الكتفين ، والمقالة الخامسة فى عضل الصدر والعضل الذى على المتنين وعضل عظم الصلب ، والمقالة السادسة فى آلات الغذاء وهى الأمعاء والبطن والكبد والطحال والكلى والمثانة والمرارة وما أشبه ذلك ، والمقالة السابعة فى تشريح الفؤاد ، المقالة الثامنه فى أجزاء الصدر ، المقالة التاسعه فى تشريح الفؤاد ، المقالة العاشرة فى تشريح العينين واللسان والمرىء وما يتصل به ، المقالة الحادية عشرة فى الحنجرة والعظم الذى يتصل بها والعصب الذى تحتها ، المقالة الثانيه عشرة فى تشريح آلات التوليد يعنى آلات المنى والرحم والمذاكير ، المقالة الثالثه عشرة فى تشريح العروق النابضه وهى الشريانان والعروق التى لا تنبض ، المقالة الرابعه عشرة فى العصب المنبت من الدماغ المقالة الخامسه عشرة فى العصب المنبت فى الصلب . وله كتاب التشريح غير هذا فى عدة مقالات قد ذكر فيها الجلد والشعر والأظفار واللحم والشحم ولحم الوجه والأغشية التى تغشى بعض الأعضاء مثل غشاء القلب والمعدة والكلى والكبد والصفاقات والعضلة الفاصلة بين الصدر والبطن والمجارى والعروق النابضة وفصد العروق ومن أين تبتدىء العروق ومجارى البول فيما بين الكليتين والمثانة الى الذكر ومجراه من المثانة الى السرة فى الطفل وأوعية المرة الصفراء والمشاء والمنخرين والمجارى الخارجة من الأذنين وقصبة الرئة وما ينبت منها وينبت فى الرئة والأوعية التى فى الثديين التى فيها اللبن وباقى الأشياء المفرعة التى فى البدن

التى تحويها الأوعيه أى شىء من الرطوبات والأشياء المفرغه فى أى شىء من الاوعيه وما فى الرأس من الشؤون والالتحام وغير ذلك والشؤون التى فى الوجه واللحى الأسفل وما فيه من النقب والالتحام والاسنان والعظم الذى على رأس قصبه الرئة وما يتصل من جنبتى الموضع والعظم العريض الذى فى البطن والورك الاضلاع والكتفين والمنكبين وعظم الترقوتين والعضد وعظم الساق وعظام الكف والأصابع وعظم الفخذ والقصر (١) والذى على الركبه وعظم الساق وعظام القدم واشتراك قحف الرأس بالأغشيه التى على الدماغ والعصب الذى ينبت فى الوجه كله والعضل الذى فى الصدغين والعضل الذى به يكون المضغ والعضل الذى يحرك الخدين والشفتين واللسان وما يحركه من العضل، والعضل الذى يحرك العينين ويذكر الفم والشفتين واللسان واللثه واللهاة وطبق الحلقوم والنغانغ والانف والمنخرين والأذنين والرقبه والعضل الذى فيها والعضلة التى على الأصابع والعضلة التى تحت الترقوة وطبيعه الرقبه وعضل الحجاب والساعد ويقول فى التشريح قولا هذا غرضه فيه (ومقالتان) فى علل النفس وكتاب « القوى الطبيعيه فى الأفعال النفسانيه » (ومقالة) فى البول من الدم (ومقالة) فى الأدوية المسهلة وكتاب يسميه « آراء أبقراط وأفلاطون » فى قوى النفس الناطقه وهى التخييل والفكر والحفظ ؛ ويقول إن الدماغ مبتدأ العصب والقلب مبتدأ العروق النابضه والكبد مبتدأ العروق التى لا تنبض ، والقوى التى يقوم بها البدن فى عشر مقالات (ومنافع الأعضاء) فى سبع عشرة مقالة ؛ وكتاب « العناصر » يخبر فيه أن الحار والبارد والرطب واليابس عناصر عاميه لجميع الأجسام التى تقبل الكون والفساد والعناصر الارض والنار والهواء والماء، وعناصر بدن الإنسان دم وبلغم والمرتان الصفراء والسوداء والعنصر هو أقصى جزء فى الشىء الذى هو له عنصر ؛ وكتاب

(١) ـ القصر : بفتحتين جمع القصرة ، وهو أصل العنق إذا غلظت . (م . ص)

« الامزجه » ، وهو ثلاث مقالات فى تصنيف أمزجه أبدان الناس وتركيب البدن الفاضل وخصب البدن والمزاج الردى الذى ليس يستوى وقوى الادوية المركبه والادوية التى يسهل وجودها وكتاب « حفظ الاصحاء » وكتاب فى « الاطعمه » ، وكتاب « فى الكيموس الجيد والردى » ، وكتاب « فى التدبير الملطف » ، (ومقالة) فى تصنيف الامراض (ومقالة) فى علل الامراض (ومقالة) فى تصنيف الامراض (ومقالة) فى الغلظ الخارج من الطبيعه (ومقالة) فى الامتلاء (ومقالتان) فى تصنيف الحميات والامراض الباطنه وكتاب « فى أزمان الامراض » ، وكتاب « فى عسر النفس » ، وكتاب « فى البحرانات » ، وكتاب « فى نبض العروق » ، ومعرفة كل واحد من أجناس النبض والأسباب الفاعلة لأصناف النبض ، وتقدمة معرفة فى ست عشرة مقالة وكتاب « حيلة البرء » وهو كتاب بين فيه طريق شفاء جميع الامراض وأتبع ذلك فى هـــذا الفن (مقالة) فى العلل الواصلة وهى العلل القريبة التى تصل ما بين العلة البعيدة والمريض (ومقالة) فى البول من الدم فى البدن وكتاب « فى فرقة أصحاب الحيل » ، (ومقالة) فى السل (ومقالة) فى علاج صبى يرضع (ومقالة) فى تدبير أبقراط للأمرض الحادة (ومقالة) فى فصد العروق . وفسر كتب أبقراط فى فصل فصل وقول قول وبين الحال الحال فيه .

والذى تلا أبقراط من رؤساء الحكماء (سقراط) رأس الحكماء وأول من افظ بحكمته ما حفظ عنه وسمع منه ، وحكى أن طيماوس قال له أيها المعلم لم لا تدون لنا حكمتك فى المصاحف ؟ قال له ياطيماوس ما أوثقك بجلود البهائم الميتة وأشد تهمتك للجواهر الحية الخالدة وكيف وجود العلم من معدن الجهل والسبب منه من عنصر العقل فقال له أيعطبطش ـ تلميذه ـ لو أمليت على كتاباً يخلد عنك فقال الحكمة لا تحتاج الى جلود الضان ، وقال بعض تلامذته لو زودتنا كتاباً من حكمتك تسبر به عقولنا ؟ قال له سقراط لا ترغبن فى تدوين حكمة فى جلود

الشاة حتى يكون ذلك أبلغ عندك من علمك ولسانك ، فلما حضرته الوفاة سأله تلاميذه أن يزودهم حكمة يرجعون اليها فتكلم فى أخلاق النفس ثم تكلم فى الفلك وقال إنه كرى وكان قد سقى سماً فمات .

وبعده (فيثاغورس) وهو أول من نطق فى الاعداد والحساب والهندسة ووضع الألحان وعمل العود وكان فى زمن ملك يقال له (اغسطس) فهرب منه فتبعه وركب فيثاغورس البحر حتى صار الى الهيكل فى جزيزة فاحرقه الملك عليه بالنار وكان لفيثاغورس تلميذ يقال له (ارشميدس) فعمل المرايا المحرقة فأحرقت مراكب العدو فى البحر .

ومنهم (بلينوس) النجار الذى يقال له « اليتيم » وهو صاحب الطلسمات الذى جعل لكل شىء طلسما .

ومنهم (أوجانس) صاحب الهندسة والقسمة وأنواع الفلسفة وكان يقال له « ديوجانس الكلب » وقيل له لأى شىء سميت الكلب قال لأنى أهر على الأشرار وأبصبص للأخيار وآوى الاسواق .

ومنهم (افليموس) صاحب « مخانيقا » وهى الحركات التى بالمـــاء مثل الصورة تعمل فيحركها الماء من غير أن يحرك شىء منها ويخرجها من موضع ويحطها فى موضع والآلات التى تحرك بالماء من غير أن تحرك فتخرج فيبتلعها وتخرج أيضاً وترتحل محققة وله أشكال ذلك تعمل فتصح .

ومنهم (افليمون) صاحب الفراسة وكتاب بين فيه مايدل عليه الفراسة فى الخلقة والأصوات والشمائل وبرهن ذلك .

ومنهم (ديمقراطيس) وهو الذى يزعم أن العالم مركب من هباء وله كتاب فى طبائع الحيوان وما يوافق منها طبائع الإنسان .

ومنهم (افلاطون) وكان تلميذاً « لسقراط » وهو الذى تكلم فى النفس وصفاتها مثل ما تكلم به أبقراط فى الجسد وصفاته فقال إن للنفس ثلاث قوى

أحدها فى الدماغ وبه يكون الفكر والروية ، والثانى فى القلب وبه يكون الغضب والشجاعة، والثالث فى الكبد وبه يكون الشهوة والمحبة ثم اطراد الكلام فى الروح النفسانية حتى وصف الأعضاء كلها ثم ذكر ما يصلح النفس وما يفسدها فقال إن كل عيب مضاد خلاص النفس فلا ينبغى أن نعد الحياة صالحة فقط ولكن موتاً صالحاً وينبغى أن نعد الحياة والموت صالحين .

ومنهم (إقليدس) صاحب كتاب إقليدس فى الحساب وتفسير إقليدس المفتاح على ماقال بطلميوس أنه تقدمة لمعرفة الحساب ومفتاح علم كتاب المجسطى فى النجوم ومعرفـــة الأوتار التى تقع على قسى قطع الدوائر التى هى أفلاك الكواكب التى يسميها المنجمون الكردجات لتعديل مسير الكواكب فى الطول والعرض وسرعتها وابطائها واستقامتها ورجوعها وتشريقها وتغريبها ومساقط شعاعها وعلم ساعات الليل والنهار ومطالع البروج واختلاف ذلك فى أقاليم الأرض وحساب القران والاستقبال وكسوف الشمس والقمر واختلاف النظر من آفاق الأرض فى جميع نواحى السماء وكتاب « اقليدس » ثلاث عشرة مقالة ولها من الأشكال فى هذه الثلاث عشرة مقالة أربعمائة واثنان وخمسون شكلاً بالبرهان والشرح الذى إذا فهمه من يطلب علم الحساب سهل عليه كل باب من الحساب وانفتح له فيبتدىء بذكر الأسباب التى منها يزاف العلم وبمعرفتها يحاط بالمعلوم وهى الخبر والمثال والخلف والترتيب والفصل والبرهان والتمام ، فاما الخبر فهو خبر المقدم على الجملة قبل التفسير ، وأما المثال فهو صورة الاشكال المخبر عنها المدلول بصفتها على معنى الخبر ، وأمـا الخلف فهو خلاف المثال وصرف الخبر الى مالا يمكن ، وأما الترتيب فهو تأليف العمل المتفق على مراتبه فى العلم ، وأما الفضل فهو الفصل بين الخبر الممكن وغير الممكن ، وأما البرهان فهو الحجة على تحقيق الخبر وأما التمام فهو تمام العلم بالمعلوم .

(والمقالة الاولى) فى النقطة التى لاجزء لها والخط الذى هو طول بلا عرض وهو سبعة وأربعون شكلاً .

(المقالة الثانية) فى كل سطح متوازى الاضلاع قائم الزوايا يحيط به الخطان المحيطان بالزاوية القائمة وهى أربعة وأربعون شكلاً .

(المقالة الثالثة) فى الدوائر المتساوية التى أقطارها متساوية والخطوط التى تخرج من مراكزها الى الخطوط المحيطة بها والخط المماس الدائرة الذى يجوزها ولا يقطعها وهى خمسة وثلاثون شكلا .

(المقالة الرابعة) اذا كان شكل فى شكل وكانت زوايا الشكل الداخل تماس أضلاع الشكل الخارج وهى ستة عشر شكلا .

(المقالة الخامسة) فى الجزء الذى هو مقدار الاكبر من المقدار الاصغر من الاعظم إذا كان يعده وهى خمسة وعشرون شكلا .

(والمقالة السادسة) فى السطوح المتساوية التى زوايا كل سطح منها متساوية لزوايا السطح الآخر ، والاضلاع التى تكون تحيط بالزوايا المتساوية متناسبة والسطوح المتكافية الأضلاع التى تكون أضلاعها متناسبة وهى إثنان وثلاثون شكلا .

(المقالة السابعة) فى الواحد والعدد الزوج الذى ينقسم بقسمين متساويين والعدد الفرد الذى لا ينقسم بقسمين متساويين ويزيد على الزوج بواحد والعدد الذى يسمى زوج الزوج وهو الذى كل زوج يعده بعدة مرات عددها زوج والعدد الذى يسمى زوج الفرد وهو الذى كل زوج يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى فرد الفرد وهو الذى كل فرد يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى أول هو الذى يعده الواحد فقط ، والاعداد التى كل واحد منها أول عند الآخر هى التى ليس بها عدد مشترك يعدها جميعاً إلا الواحد فقط ، والعدد المركب هو الذى يعده عدد آخر ، والاعداد التى كل واحد منها

مركب عند الآخر هى التى يعدها عدد آخر مشترك لها ، والعدد المضروب فى عدد آخر هو الذى يضاعف بعدة مافى المضروب فيه من الآحاد ويكون ما اجتمع عدداً آخر ، والعددالمربع هوالمجتمع من ضرب عدد فى نفسه ويحيط به عددان متساويان ، والعدد المكعب هوالمجتمع من ضرب عدد فى نفسه ثم فى نفسه ويحيط به ثلاثة أعداد متساوية ، والعدد المسطح هو الذى يحيط به عددان والعدد المصمت هو الذى يحيط به ثلاثة أعداد ، والعدد التام هو المساوى لجميع أجزائه ، والاعداد المناسبة هى التى تكون فى الاول منها من أضعاف الثانى مثل مافى الثالث من أضعاف الرابع ، والاعداد المسطحة والمصمتة المتشابهة هى التى أضلاعها متناسبة ، وهذه المقالة تسعة وثلاثون شكلا .

(والمقالة الثامنة) فى الاعداد التى تلى بعضها بعضاً والطرفين اللذين كل واحد منهما أول عند الآخر وهى خمسة وعشرون شكلا .

(والمقالة التاسعة) فى ضرب الاعداد المسطحة المتشابهة وما يكون من ضرب العدد فى العدد المربع والاعداد التى يعد بعضها بعضاً فى العدد المكعب وما يكون من ضرب المكعب فى عدد غير مكعب ومايكون من الاعداد المؤلفة على نسب يتلو بعضها بعضاً من المربع وكيف يكون المكعب وما يكون من الاعداد المتناسبات من المصمت المكعب والمسطح ، والاعداد التى يعد بعضها بعضاً وكيف ينتقص الأزواج من الازواج والافراد من الافراد والازواج من الأفراد والافراد من الازواج وهى ثمانية وثلاثون شكلا .

(المقالة العاشرة) فى الخطوط التى يكون لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً يقال لها المتقادرات والخطوط المتباينات التى ليس لهامقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً والخطوط المتقادرات التى يكون لمربعاتها سطح واحد يكون مقداراً لها يقدرها وهى مائة وأربعة أشكال .

(المقالة الحادية عشرة) فى المصمت الذى له طول وسمك وسطح وهى أحد وأربعون شكلا .

(المقالة الثانية عشرة) فى السطح الكثير الزوايا المتشابهة التى قدر بعضها عند بعض فى الدوائر كعدد المربعات التى تكون من أقطار الدوائر وهى خمسة عشر شكلا .

(المقالة الثالثة عشرة) وهى آخر مقالات اقليدس فى خط يقسم على ذات وسط وطرفين وهى واحد وعشرون شكلا .

ولإقليدس هذا كتاب فى المناظر واختلافها من مخارج العيون والشعاع يقول فيه إن الشعاع تخرج من العين على خطوط مستقيمة وتحدث بعد سموت لانهاية لكثرتها فان الأشياء التى يقع عليها الشعاع تبصر والتى لا يقع عليها الشعاع لا تبصر ويمثل فى ذلك أشكالا مختلفة يبين بها مخرج النظر وكيف يختلف عدة الأشكال التى يبين بها ذلك أربعة وستون شكلا .

ومنهم (نيقوماخس) الحكيم الفيثاغورى وهو الذى يسمى القاهر عند المفاضلة وهو أبو أرسطاطاليس وله كتاب (الارثماطيقى) الذى قصد فيه لابانة الأعداد وذكر ما تقدمت به الفلاسفة ، فقال نيقوماخس إن القدماء الأولين الذين أظهروا العلم ونفذوا فيه وكان أولهم فيثاغورس حدوا بان قالوا : إن الفلسفة معناها الحكمة وإن اسمها مشتق منها فقالوا الحكمة حقيقة العلم بالأشياء الدائمة وافتن فى صدر الكتاب فى ذكر الحكمة وفضلها وما قالته الحكماء فى فضيلة العلم ثم افتتح كتابه فقال إن جميع ما فى الدنيا من الأشياء المحكم فى الطبيعة تقديرها إنما هى بالعدد وقد يحقق القياس قولنا إن العدد بمنزلة المثال الذى يحتذى عليه وهو كله بكماله معقول وهذه الأشياء التى تلحقها الكلمة الكمية وهى أشياء مختلفة فمن الاضطرار أن يكون هذا العدد اللازم بهذه الاشياء مؤلفاً مقدراً على حدته لا من أجل غيره فان كل مؤلف إنما هو من أشياء مختلفة لا محالة ومن أشياء

موجودة فان التى ليست بموجودة لا يقدر على تأليفها وما كان منها موجوداً إلا أنها غير متشا كلة يمكن تأليفها والاشياء المؤتلفة إنما تألفت من أشياء موجودة مختلفة متشا كلة لانه إن لم يكن مختلفاً فهو واحد لا يحتاج إلى إيتلاف فان لم يكن متشا كلا فليس بمتجانس وان ليس متجانساً فانما هو متضاد لا يقع به إيتلاف والعدد هو من هذه الاشياء فان فيه نوعين مختلفين متشا كلين متجانسين وهو الزوج والفرد فان إيتلافهما على حسب اختلافهما تألفاً مشتبكاً لا انقضاء له .

(فالقول الاول) من الارثماطيقى فى أبواب أحدها حدود العدد وهو ينقسم قسمين يقال لاحدهما الفرد والآخر الزوج ، فالفرد ينقسم ثلاثة أقسام منه أول غير مركب وهو الذى لا يعده عدد مثل سبعة واحد عشر ومنه ثانى مركب وهو الذى له عدد مثل تسعة وخمسة عشر ومنه ثالث مركب بطبعه وعند الاضافة الى مركب آخر أول وهما اللذان لكل واحد منهما عدد يعده وليس لهما عند المقايسة عدد مشترك مثل تسعة الى خمسة وعشرين ، والزوج ينقسم ثلاثة أقسام منه زوج الزوج وهو المنقسم أزواجاً الى الوحدانية مثل أربعة وستين ومنه زوج الفرد وهو المنقسم مرة واحدة بنصفين ثم يقف مثل أربع عشرة وثمانى عشرة ومنه زوج الزوج والفرد وهو الذى لا ينقسم نصفين اكثر من مرة ولا ينتهى الى الوحدانية ، وتكلم فى هذا بكلام مشروح .

(والقول الثانى) فى الكمية المفردة وهو العدد الزائد والعدد المعتدل والناقص فاما الزائد فهو الذى تزيد جملة أجزائه على جملته اذا اجتمعت الاجزاء مثل اثنى عشر وأربعة وعشرين فان الاثنى عشر لها نصف وثلث وربع وسدس وجزء من اثنى عشر فاذا جمعتها زاد العدد ، والمعتدل الذى تعادل جملة أجزائه جملته مثل ستة وثمانية وعشرين فان لستة نصفاً وثلثاً وسدساً فيكون مبلغه اذا جمع ستة سواء والناقص الذى تنقص جملة أجزائه من جملته مثل ثمانية وأربعة

وعشرين فان الثمانية لها نصف وربع وثمن فاذا اجتمع كان سبعة ونقص واحداً وجعل فى ذلك أشكالا وأصح القول .

(القول الثالث) فى الكمية المضافة وهى تنقسم قسمين أحدهما المعادلة لما أضيف اليها مثل المائة المعادلة للمائة والعشرة المعادلة للعشرة ومنه الخروج عن الاعتدال وينقسم قسمين : أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير ينقسم خمسة أقسام ، فمنه المتضاعف مثل اثنين من أربعة وأربعة من ثمانية ، ومنه الزائد جزء مثل ثلاثة عند أربعة فان الاربعة مثلها ومثل ثلثها ، ومنه الزائد جزءين مثل ثلاثة وهى أول الافراد الى الخمسة وهى الثانية من الافراد فحدث زيادة جزءين ثم على هذا الترتيب تحدث زيادة أجزاء ، ومنه المضاعف الزائد جزء وهو يظهر بين عددين أحدهما مثل الآخر ومثل جزء منه كالخمسة اذا أضيفت الى الاثنين فانه مثل مضاعف الاثنين وزيادة جزء ، ومنه المضاعف الزائدجزءين مثل أربعة عند واحد ، والصغير ينقسم على خمسة أقسام منه تحت المضاعف ومنه تحت الزائد جزء ومنه تحت الزائد أجزاء ومنه تحت المضاعف أجزاء ، ثم يقول فى الاعداد الثلاثة التى أحدها كبير والآخر وسط والثالث صغيرفاذا طلب اعتدالها ألقى من الاوسط مثل الاصغر ومن الاعظم مثل ما بقى من الاوسط ومثل الاصغر فاذا تعادلت الاعداد فقد تمت إضافتها ، ثم يقول فيما يزيد من الاعداد وينقص فى المضاعفات ويجعل لذلك شكلا مثلثاً بركنين وفى الشكل واحد وعشرون بيتاً ، فالاول ستة أبيات وأوله واحد ثم يضعفه الى اثنين وثلاثين والثانى خمسة أبيات وأوله ثلاثة ثم يضعفه الى ثمانية وأربعين ، والثالث أربعة أبيات وأوله تسعة ثم يضعفه الى اثنين وسبعين ، والرابع ثلاثة أبيات وأوله سبعة وعشرون ثم يضعفه الى مائة وثمانية ، والخامس بيتان أوله واحد وثمانون ويضعفه فيصير مائة واثنين وستين ، والسادس بيت وهو آخر مائتان وثلاثة وأربعون ، ثم يقول فى العــــدد المربع الذى يزيد عليه ضعفه ، ثم يتكلم فى

السطوح والخطوط والنقط ويصف السطوح المثلثة والمربعة والمسدسة والاضلاع التى يقوم بها السطوح ومساحها .

(ثم يقول) فى العدد المخمس ذى الاضلاع المعتدلة المخمسة وكيف نماها ثم المسدسة ثم المسبعة ثم المثمنة ثم يصف كيف تركيبهاويضرب لها جدولا خمسة فى تسعة ويتكلم فى أجزاء من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات مما له جرم بلا سطح وما له جرم وسطح .

(ثم يقول) فى تركيب الاشياء التى تركب من اخلاط شتى .

(ثم يقول) فى الوسائط التى هى ثلاثة أنواع واحد للحساب والثانى للمساحة والثالث لتأليف اللحون .

(ويقول) إن بعض الأولين جعلوها عشراً وبين وسائط الحساب ووسائط المساحة ووسائط اللحون . ويتكلم فى كل نوع منها بكلام مشروح وبرهان بين .

ومنهم (أراطس) الذى عمل صورة الفلك كهيئة البيضة فحكى بها الفلك وصور فيها البروج .

ومنهم (أرسطاطاليس) بن نيقماخس الجهراسينى وكان تلميذاً لافلاطون فتكلم فى العالم العلوى والسفلى فى صلاح العالم وفساده وفى أخلاق النفس وفى حقيقة المنطق ووضع أصول الحكمة وانقسامها وتشعبها فاول كتبه : (كتاب المدخل) الى علم الفلسفة وهو الذى يسمى باليونانية « ايساغوجى » فاوله ذكر الحد وما قوام الحد ومن أين اشتق اسم الحد وما فضيلة الحد وما فيه فساد الحد والفرقة بين الحد والمحدود (والثانى) ذكر الفلسفة وكيف اشتقت (والثالث) كتاب قوى النفس التى هى بالفكر والغضب والشهوة فما خرج عن هذا الاعتدال كان فاسداً (والكتاب الرابع) فى المنطق الذى هو أصل الفلسفة (والكتاب الخامس) يذكر فيه انقسام الاشياء ضربين ما لا بد منه كالغذاء

وما منه بد كتنظيف الثوب (والكتاب السادس) فى الأمور وهى ثلاثة واجبة كقولك النار حارة وممكنة كقولك زيد كاتب وممتنعة كقولك النار باردة (والكتاب السابع) فى الجنس وهو ثلاثة أقسام جنس العادة وجنس الطبيعة (. . . . .) (والكتاب الثامن) يذكر فيه ما لا يتجزأ وهو ينقسم على أربعة إما لأنه لا أجزاء له كالنقطة وإما لصغره كحبة الخردل وإما لصلابته كالحجر وإما أنه لا على أجزاء (والكتاب التاسع) فى المناسبة وهو على أربعة إما طبيعة كمناسبة الأب لابنه وإما مهنة كمناسبة التلميذ معلمه وإما مشيئة كمناسبة الصديق صديقه وإما عرضيه كمناسبة العبد سيده ؛ ثم كتبه بعد ذلك فى أربعة أنواع : أحدها المنطقيات ، والثانى فى الطبائع ، والثالث فيما يوجد مع الأجسام ويواصلها ؛ والرابع فيما لا يوجد مع الاجسام ولا يواصلها .

وكتبه فى المنطق ثمانية : فالأول سمى (بقاطيغورياس) وغرضه فيه القول على المقولات المفردة العشرة ورسمها بما يميز به كل واحد منها من غيره وبما يعمها ويعم العدة منها ومايخص كل واحد منهافتحد الاشياء التى تقدمها فى الوصف والشبه منها أن جوهراً محمولا وجوهراً حاملا ليس بجوهرى فيه بل عرضى وأن عرضاً حاملا وعرضاً محمولا عليه أى منقولا عليه (. . . . .) ليبين أن جواهر محسوسة وأعراضاً ثوانى غير محسوسة مقولة على المحسوسة ويبين عن العشرة باعيانها وبرسومها وعوامها وخواصها ، وهذه العشرة : الجوهر ثم الكمية ثم الكيفية ثم المضاف ثم الأين ثم المتى ثم الفاعل ثم المفعول ثم الوضع ثم الجدة وانما سمى كتاب المقولات لأن هذه الأسماء أجناس وهى مقولة من الأنواع والواحد بمنزلة الجوهر فانه مقول على الجسم والجسم مقول على المتنفس وغير المتنفس والمتنفس مقول على الحيوان والنبات والحيوان مقول على الإنسان والفرس والأسد والإنسان مقول على زيد وعمرو وخالد التى هى غير متجزئة والفرس على هذا الفرس بالاشارة وذلك الفرس بالشبه والكمية مقولة على المتصلة والمنفصلة

وسائر أجزائها وكذلك سائر جميع الاجناس (والثانى) هو المسمى بـ « كتاب التفسير » وغرضه فيه القول على التفسير للقضايا المقدمات للمقاييس العلمية أعنى الجوامع التى هى أخبار موجبة أو سالبة أو (. . . . .) مافى أوله فبين عما منه يكون القضايا من الاسم والحرف والقول والتصريف والمخبر عن القول وعن القضايا المؤلفة من اسم وحرف وثالث ورابع كقولنا « النار هى حارة » ومايعرض فى ذلك وفى الفحص عن أى القضايا أشد تناسباً الموجبة لسالبتها أم الموجبة للموجبة المضادة لها ؛ وإنما سماه كتاب التفسير لأنه أراد المقالة على الجزم والبسيط المقول الذى ليس فيه اشتراك اسم وأراد أن يفصل بينه وبين القول الذى ليس بجازم الذى يكذب ولا يصدق وهو تسعة ، الاستخبار كقولك « من أين جئت » ، والدعاء كقولك « يا فلان اقبل » ، والراغب كقولك فى الامر (إنى أطلب اليك أن تفعل كذا وكذا) والتعجب كقولك فى الأمر « ما الذى يكون من هذا » (. . . . .) كقولك « أقسمت بالله لتذهبن » ، والشك كقولك « لعل الامر على ما قيل » ، والوضع كقولك « تكون هذه الضيعة وقفاً على المساكين » ، والمجازى كقولك « إن فعلت كذا وكذا أجزتك بكذا » ، والمقالة قد تلقب القاباً شتى فى جهات مختلفة فاذا كان القول يوجب شيئاً لشىء سمى « موجبة » ، واذا كان يفلت شيئاً سمى « سالبة » ، فاما اذا كان مقدماً ليستخرج منه شىء سمى « مقدمة » ، فاذا كان مستخرجاً من مقدمات قبله سمى « نتيجة » ، واذا كانت مقدمات ونتيجتها معها سمى « صيغة » ، (والثالث) المسمى (انو ليطيقا) ومعناه النقائض ؛ وغرضه فيه الابانة عن الجوامع المرسلة أعنى ما هى وكيف هى ولمَ هى ، وغرضه النوع الجامع المعانى الثلاثة وما قيل على الجامعة المرسلة ووجود الجامعة وكيف تركيب الجوامع وكم نوع يكون وما الذى يظهر من صوادقها بذاته وما الذى يظهر من الحركة (والكتاب الرابع) المسمى « أبود قطيقا » ومعناه الاصلاح ؛ وغرضه فيه الابانة عن الامور المتضحة البرهانية

وكيف هى وما ذا ينبغى أن يؤلف . ويسمى هذا الكتاب «البيان والبرهان» لأنه يصف فيه التمييز الذى يميز به الحق من الباطل والصدق من الكذب ، فيقول ان المقدمات على جهة المقدمة المجتمعة عليها المعروفة عند العامة المركبة من الجزءين السابقين فى العلم بمنزلة قول القائل «كل انسان حى» والثانية الموجبة المجادلة فانها وان كانت صحيحة فى نفسها فانها مجهولة عند العامة وهى تحتاج الى وساطة يعرف بها صحتها بمنزلة قولنا «كل انسان جوهر» (فأما كتابه) الخامس المسمى (طوبيقا) فغرضه فيه الابانة عن الاسماء الخمسة التى هى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض عن الحد فتعرف مائية الجنس ومائية النوع لئلا يذهب عن أحدها الجنس والنوع فانما يعرف هذا بالفصل الذى يفصل بين النوع والجنس وما خاصية كل واحد منهما أوما الاعراض من الجواهر (وأما كتابه) السادس وهو المسمى (سوفسطيقا) فغرضه فيه القول على المغالطة ويقول كم نوع يكون المغالطة ويخبر كيف الاحتراس من قبول تلك الاغاليط ؛ وهو الذى ردّ فيه على السوفسطائية (وأما كتابه) السابع وهو المسمى (ريطوريقا) ومعناه البلاغة فى الانواع الثلاثة فى الحكومة وفى المشورة وفى الحمد وفى الذم والجامع لها التقريظ «وأما كتابه» الثامن وهو المسمى «فوايطيقا» فغرضه فيه القول على صناعة الشعر وما يجوز فيه الشعر وما يستعمل من الاوزان وكل نوع « . . . . . . » فهذه اغراضه فى كتبه المنطقيات الاربعة المقدمة والاربعة التالية .

فأما كتبه الطبيعية «كتاب» سمع الكيان » ، وهو الخبر الطبيعى انه بين فيه عن الاشياء الطبيعية وهى الخمسة المشتملة على الطبائع كلها التى لا وجود لشىء من الطبائع دونها وهى العنصر والصور والمكان والحركة والزمان فانه لا وجود لزمان إلا بحركة ولا وجود لحركة إلا بمكان ولا وجود لمكان إلا بصورة ولا وجود لصورة إلا بعنصر وهذه الخمسة منها اثنان جوهران وهما العنصر والصورة وثلاثة أعراض جوهرية .

« والثانى » هو المسمى « كتاب السماء والعالم » وغرضه فيه الابانة عن الاشياء الفلكية غير ذوات الفساد وهى صنفان : (أحدهما) صنف مستدير الصنعة وحركته الاستدارة وهو الفلك المحيط بالاشياء وهو ركن خامس لا يلزمه الكون ولا الفساد .

(والصنف الثانى) الفلكى المستدير بالتكوين وإن لم يكن مستديراً بالحركة وهى الأربعة الاركان : (النار ، والهواء ، والأرض ، والماء) فان هذه ليست بمستديرة الحركة بل مستقيمة الحركة مستديرة بالكون ، والمستديرة الكون هى التى يكون بعضها من بعض بالانقلاب بمنزلة الشيء الذى يستدير وينقلب بمنزلة النار التى تستدير وتنقلب فتكون من الهواء والهواء من الماء والماء من الآرض وكل واحد من هذه الاركان يستدير بالكون بعضه على بعض فالنار والهواء الى فوق والماء والأرض الى أسفل .

(وكتابه الثالث) وهو المسمى « كتاب الكون والفساد » وغرضه فيه الابانة عن مائية الكون والفساد ككون الماء هواءً والهواء ماءً وكيف يكون وكيف يفسد بالطبيعة .

(والكتاب الرابع) فى الشرائع وهو « كتاب المنطق فى الآثار العلوية » وغرضه فيه الابانة عن عرض الكون والفساد وكون كل كائن وفساده مما بين نهاية فلك القمر الى مركز الأرض فيما بين الجو وما على الارض وما فى بطنها وعن الآثار العارضة فيها كالسحاب والضباب والرعد والبرق والريح والثلج والمطر وغير ذلك .

(وكتاب) فى المعادن وهو « الخامس » وغرضه فيه الابانة عن كون الاجرام المتكونة فى باطن الارض وكيفياتها وخواصها وعوامها والمواضع الخاصة بها .

(والكتاب السادس) فى الابانة عن علل النبات وكيفياته وخواصه

وعوامـــه وعلل أعضائه والمواضع الخاصة به وحركاته ؛ فهذه أغراضه فى كتبه الطبيعية .

فاما كتبه النفسانية فهما كتابان فكتابه (الأول) منهما كتاب النفس وغرضه فيه الابانة عن مائية النفس وقوامها وفصولها وتفصيل الحس وتعديد أنواعه وفضائل النفس وعاداتها والامور المحمودة منها والامور المذمومة منها فالمحمودة المنطق والعدل والحكمة والحكم والحلم والشجاعة والقوة والجرءة وشرف النفس والتحرج ؛ والامور المذمومة منها الجور والفسق والنفاق والغشم والكذب والنميمة والخيانة .

(والكتاب الثانى) فى الحس والمحسوس والابانة عن علل الحس للمحسوس وغرضه فيه أن يخبر ما الحس والمحسوس وكيف يقبل الحس الاشياء المحسوسة وكيف يكون الحس والمحسوس شيئاً واحداً وهما مختلفان فى الادوات وهل الاشياء بذواتها وأجرامها أم بذواتها دون أجرامها « ثم كتابه » فى الكلام الروحانى ، وغرضه فيه ذكر الصورة المجردة من الهيولى التى فى العالم الأعلى والقوى الروحانية ومعرفة اتصال قوى تلك الصور بالقوى الطبيعية وهل هى بحركة أو بلا حركة وكيف يدبر تلك القوى هذه القوى وإن كل واحد من القوى الجرمية الغليظة جزء من تلك الاشياء الشريفة ، وبين ما العقل وما المعقول وما النفس الكلية وما هبوطها وطلوعها « ثم كتابه » فى التوحيد فقال إن العلية الثانية علة العلل والدهر تحتها وهى مبدعة الاشياء والابداع لها ، وقال فى هذا قولا بين فيه التوحيد .

فاما كتبه فى الخلق (. . . .) والابانة عن أخلاق النفس والسعادة فى النفس والبدن وتدبير العامة والخاصة وتدبير الرجل امرأته والسياسة وتدبير المدن وقصص أهل التدبير للمدن ، فهذه أغراض كتب (أرسطاطاليس) الحكيم المذكورة الشريفة وما بعدها من الكتب فتبع لها .

ومن حكماء اليونانيين (بطلميوس) وهو الذى وضع كتاب المجسطى وكتاب ذات الحلق وذات الصفائح وهى الاسطرلاب والقانون فأما كتاب (المجسطى) ففى علم النجوم والحركات وتفسير المجسطى الكتاب الاكبر ، وهو ثلاث عشرة مقالة فابتدأ .

(المقالة الاولى) من المجسطى بذكر الشمس لانها الاس لا يوصل الى علم شىء من حركات الفلك إلا بها ، فقال فى (الباب الاول) إن الشمس فلك خارج المركز عن مركز العالم قد سميت ناحية منه مصعدة نحو ما يحاذى بها من فلك البروج متباعدة عن مركز الارض ودنت الناحية الاخرى منه منحدرة نحو الارض متباعدة عما يحاذى بها من فلك البروج ، فموضع السمو هو الموضع الذى فيه تبطىء الشمس وموضع الدنو هو الذى فيه تسرع ، ثم تكلم فى ذلك بقول واضح (والباب الثانى) فى قدر كلية الارض عند كلية السماء (. . . . .) ووضعت وضع الفلك المائل ومواضع عمران الأرض ومقادير ساعاتها فيما بين خط الاستواء الى القطب الشمالى واختلاف ما بين هاذين الموضعين وقدر ذلك الاختلاف فى نواحى الأفق من قبل اختلاف مواضع أهل الأرض وحركة الشمس والقمر (والباب الثالث) فى الكرة المستقيمة مع قسى فلك البروج المفروضة .

والمقالة الثانية ، ثلاثة عشر باباً :

(الباب الأول) فى المواضع المسكونة من الأرض (والباب الثانى) فى معرفة مقدار ما بين الفلك المستقيم وبين مطالع الفلك المائل من تقويس دائرة أفق المطالع ومقادير النهار فى كل يوم فى طوله وقصره .

(الباب الثالث) فى معرفة ارتفاع القطب وانخفاض الأخرى التى هى مقابلته وهو عرض الاقليم من الصفة والرسوم قبل ارتفاع القطب وما بقى الى منتهى سمت الرؤوس التى فى تدوير وسط السماء .

(الباب الرابع) فى معرفة مر الشمس فى سمت رؤوس أهل البلاد اين

يكون ذلك ومتى يكون وفى أى موضع من أجزاء البروج تكون الشمس يومئذ فوق رؤوسهم .

(الباب الخامس) فى مقدار الظل نصف النهار فى برجى الاستواء وبرجى التغير

(الباب السادس) فى خواص المواضع من طريق ما بين المشرق والمغرب والخطوط التى يوازى بعضها بعضاً فى ما بينها من العرض .

(الباب السابع) فى اختلاط مطالع الفلك المائل عن طلوع الفلك المستقيم.

(الباب الثامن) فى جدولة مطالع خطوط أقاليم الأرض ومطلع طريقة خط خط .

(الباب التاسع) فى معرفة طول الليل والنهار من أزمان ساعات الأقاليم ومعرفة مطالع أجزاء البروج والجزء الطالع والجزء المتوسط من السماء .

(الباب العاشر) فى الزوايا التى تقع فيما بين الفلك المائل وبين تدوير منتصف النهار الذى فى وسط السماء .

(الباب الحادى عشر) فى الزوايا التى تقع بين الفلك المائل وتدوير أفق المطلع الى حد الجنوب من ربع الدوائر فى كل اقليم من الأقاليم .

(الباب الثانى عشر) فى الزوايا والتقاويس التى تكون فى دائرة الأفق التى تدور على قطب دائرة الأفق فى مواضع الأقاليم .

(الباب الثالث عشر) فى وضع جداول القسى والزوايا التى فى أقاليم الأرض ، فهذه ابواب المقالة الثانية .

والمقالة الثالثة ، من المجسطى عشرة أبواب :

(فالباب الأول) فى معرفة مقدار طول السنة وعدد أيامها .

(والباب الثانى) فى وضع الجداول لحركة الشمس الوسطى .

(الباب الثالث) فى معرفة جهات الحركة المستديرة المتفقة .

(والباب الرابع) فى معرفة مايظهر من اختلاف حركة الشمس فى المنظر والرؤية .

(والباب الخامس) فى الابحاث الجزوية عن الاختلاف .

(الباب السادس) فى صنعة فصول جداول القطع الجزوية الاختلاف.

(الباب السابع) فى وضع جداول اختلاف حركة الشمس .

(الباب الثامن) فى معرفة موضع الشمس فى مسيرها الاوسط .

(الباب التاسع) فى حساب الشمس ومعرفه حقيقه موضعها .

(الباب العاشر) فى معرفه اختلاف الايام ما بين نهار يوم وليلته وبين نهار يوم آخر و ليلته .

المقالة الرابعة ، من المجسطى أحد عشر باباً :

(فالباب الاول) من أى الارصاد ينبغى أن يكون البحث عن القمر .

(الباب الثانى) فى معرفه أزمان أدوار القمر .

(الباب الثالث) فى معرفه تقسيم حركات القمر الوسطى .

(الباب الرابع) فى وضع جداول تكون فيها حركات القمر الوسطى .

(الباب الخامس) فى أن الجهتين جهه مركز الخارج وجهه فلك التدوير فى حركات القمر يدلان على أمر واحد .

(الباب السادس) فى برهان اختلاف حركة القمر الأولى المفردة .

(الباب السابع) فى تقويم مسير القمر فى الطول والاختلاف .

(الباب الثامن) فى معرفه موضع حركات القمر الوسطى فى الطول والاختلاف

(الباب التاسع) فى تقويم مسير القمر الاوسط فى العرض وفى ابتدائه

(الباب العاشر) فى وضع جداول اختلاف القمر المفرد .

(الباب الحادى عشر) فى أى مقدار يكون اختلاف القمر ، فهذه الاربع مقالات تجزى عن جميع مايحتاج اليه من كتاب المجسطى وتسع مقالات

بعدها فى صفة المراكز وتقديم حركة التدوير وصنعة جداول الحركة وجداول طول الكواكب .

وكتاب فى ذات الحلق فانه ابتدأ بذكر عمل ذات الحلق وهى تسع حلقات بعضها فى جوف بعض « إحداهن » ذات علاقة « والثانية » المعترضة فيها من المشرق والمغرب (والثالثة) الحلقة التى تدور بهاتين الحلقتين على ما بين أسفلها الى أعلاها (والرابعة) الجارية تحت الحلقة ذات العلاقة (والخامسة) حاملة نطاق البروج وفيها تركيب المحور (والسادسة) حاملة نطاق البروج الاثنى عشر (والسابعة) تحت حلقتى الفلك وهى حلقة مركبة فى المحور ليؤخذ بها عرض الكواكب الثابتة الجارية فيما بين أرباع الفلك ، والحلقة « الثامنة » جارية فى حجرى المحور والحلقة « التاسعة » مركبة فى الحلقة الثانية لمجرى الفلك المستقيم « . . . . . . » يحط فى الجنوب ويرفع السماء على قدر إسقالة (١) الفلك المستقيم ، ويذكر فيه كيف يبتدأ بعملها وكيف يكتب عليها وكيف تركب كل واحدة فى الأخرى وكيف تجزأ وتخطط وتسمر حتى لا تزول وكيف تنصب ، ثم يذكر العمل بها فى تسعة وثلاثين باباً . فالباب « الاول » من أبواب مواضع العمل فى ذات الحلق والتداوير التى فيها . والباب « الثانى » فى امتحانها ، والباب « الثالث » فى أخذ ظل الشمس بها ، والباب « الرابع » إذا أردت أن نأخذ بها عرض اقليم أو مدينة أو موضع ، والباب « الخامس » إذا أردت أن تأخذ بها عرض كل إقليم ما هو ، والباب « السادس » إذا أردت أن تعرف النهار كيف يقصر ويطول فى السرطان ، والباب « السابع » إذا أردت معرفة مقدار كل يوم من أيام السنة ، والباب « الثامن » إذا أردت معرفة استواء الليل والنهار فى الاقليم الأول ، والباب « التاسع » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع

---

(١) الاسقالة : بالكسر مايربط المهندسون من الأخشاب والحبال ليتوصلوا بها الى المحال المرتفعة ، الجمع : أساقيل « عامية » (تاج العروس) .

البروج فى الأقاليم باقل من ثلاثين جزء أو اكثر ، الباب « العاشر » علم رد أجزاء البروج الى جزء الفلك المستقيم ، الباب « الحادى عشر » فى معرفة كل برج وكيف يغيب بمطالع نظيره ويطلع بمغيبه فى الأجزاء ، الباب « الثانى عشر » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج وسط السماء على اختلاف من اجزائها ، الباب « الثالث عشر » إذا أردت معرفة كل برج منها ، الباب « الرابع عشر » إذا أردت معرفة الطالع والأوتاد الأربعة بالنهار من قبل الشمس ، الباب « الخامس عشر » إذا أردت معرفة الطالع بالليل من القمر والكواكب ، الباب « السادس عشر » إذا أردت أن تعلم كم ساعة مضت من النهار « الباب « السابع عشر » إذا أردت أن تعلم أى ساعة يظهر القمر أو كوكب من الكواكب الثابتة ، الباب « الثامن عشر » إذا أردت أن تعلم ساعات القرانات ، الباب « التاسع عشر » إذا أردت أن تعرف مقدار المشرقين والمغربين فى كل بلد ، الباب « العشرون » إذا أردت أن تعلم لكل برج مقدار مطالعه من المشرق ومغربه من المغرب . الباب « الحادى والعشرون » إذا أردت أن تعلم الكواكب التى تغيب فى كل بلد ، الباب « الثانى والعشرون » إذا أردت أن تعلم الطرائق الخمس التى ذكرها الحكماء فى الفلك فى كل بلد ، الباب « الثالث والعشرون » إذا أردت أن تعرف الاقاليم السبعة ، الباب « الرابع والعشرون » إذا أردت معرفة كل إقليم منها ، الباب « الخامس والعشرون » إذا أردت أن تعرف كيف يكون النهار الأقصر إذا صارت الشمس فى الجدى فى الموضع الذى يكون عرضه ثلاثة وستين جزء وذلك أقصى ما يسكن من ناحية الشمال ويكون النهار أربع ساعات ونحوها و ليلة عشرين ساعة ويكون النهار الأطول فيه عشرين ساعة وليله أربع ساعات وهى جزيرة يقال لها جزيرة تولى من ارض أوربا وهى شمالى أرض الروم الباب « السادس والعشرون » إذا أردت أن تعرف المواضع التى تغيب عنها الشمس ستة أشهر فيكون ظلمة راتبة وتطلع

عليه الشمس ستة أشهر فيكون ضوءاً راتباً وهو الموضع الذى يحاذى محور الشمال ، الباب « السابع والعشرون » إذا أردت أن تعلم كل كوكب من الكواكب الثابتة من أى جزء من أجزاء البروج التى تطلع فى كل موضع تريد من الأرض ، الباب (الثامن والعشرون) إذا أردت أن تعلم كم جزء بين رأس الحمل والطالع من أجزاء المطالع فى كل بلد ، الباب (التاسع والعشرون) إذا أردت أن تعلم لكل مدينة وبلد من أى الأقاليم هى ، الباب (الثلاثون) إذا أردت أن تعلم عرض القمر او كوكب من الكواكب ، الباب (الحادى والثلاثون) إذا أردت أن تقوم خط وسط السماء فى موضعه من سمت كل بلد ، الباب (الثانى والثلاثون) إذا أردت أن تعرف طول الكواكب وعرضها بعد معرفتك بجرى وسط السماء ، الباب (الثالث والثلاثون) إذا أردت أن تعرف موضع رأس التنين وذنبه وهل تلتقى بفلكى الشمس والقمر ، الباب (الرابع والثلاثون) إذا أردت أن تعرف المطالع من قبل ساعات الماء ، الباب (الخامس والثلاثون) إذا أردت أن تعرف مجرى الفلك الذى فيه الكواكب الثابتة ، الباب (السادس والثلاثون) إذا أردت أن تعرف تشريق الكواكب وتغريبها ، الباب « السابع والثلاثون » اذا أردت أن تعرف طول مدينة من المدن ، الباب (الثامن والثلاثون) فى معرفة أجزاء طول المدن ، الباب « التاسع والثلاثون » فى استخراج القوس من حساب الجبر ، فهذه ابواب ذات الحلق .

وكتاب فى ذات الصفائح ، وهى « اصطرلاب » فانه يبتدىء بذكر عملها وكيف تعمل وحدودها ومقاديرها وتركيب حجرها وصفائحها وعنكبوتها وعضادتها وكيف تجزأ وتقسم وتحفظ على قسمة أجزائها ومقنطراتها وميلها ، ويشرح ذلك ويصفه صفيحة إقليم إقليم وطول كل إقليم وعرضه ومواضع الكواكب والساعات فيها والطالع والغارب والمائل والجنوبى والشمالى ورأس الجدى ورأس السرطان ورأس الحمل ورأس الميزان » ثم يذكر العمل بها ،

فالباب (الأول) إمتحانها حتى تصح، والباب « الثانى » فى امتحان طرفى العضادة ، الباب (الثالث) فى علم ما مضى من النهار من ساعة وأى برج ودرجة الطالع ، الباب (الرابع) فى علم ما مضى من ساعات الليل وما الطالع من البروج والدرج، الباب (الخامس) فى معرفة موضع الشمس من البروج والدرج ، الباب (السادس) فى علم مواضع القمر فى أى برج ودرجة هو وأين الكواكب السبعة ، الباب (السابع) فى علم عرض القمر ، الباب (الثامن) فى علم مطالع البروج الاثنى عشر فى الأقاليم السبعة ومعرفة كل برج منها ، الباب (التاسع) فى قطع المطالع للفلك المستقيم وما يصيب كل درجة من درج السواء ، الباب (العاشر) فى علم ساعات الليل والنهار كم تكون فى كل زمان فى كل إقليم ، الباب (الحادى عشر) فى علم مقدار نهار كل كوكب من الكواكب الثابتة وما يجرى فى الفلك من حين طلوع الكواكب الى حين غروبها الباب (الثانى عشر) فى معرفة طول الكواكب وعرضها ، الباب (الثالث عشر) فى معرفة زوال الكواكب الثابتة فانها تزول فى كل سنة من سنى القمر درجة ، الباب (الرابع عشر) فى معرفة ميل البروج عن خط الاستواء الذى هو مدار الحمل والميزان ، الباب (الخامس عشر) فى معرفة المدائن أيها أقرب الى الشمال والى الجنوب ، الباب (السادس عشر) فى معرفة أقرب المدائن من المشرق وأقربها الى المغرب ، الباب (السابع عشر) فى معرفة عرض كل إقليم ، الباب (الثامن عشر) فى علم أى إقليم أنت فيه ، الباب (التاسع عشر) فى علم عرض الاقليم وأى المدائن أردت الباب « العشرون » فى علم تقدير الطرائق وهى خمس وكيف مجاريها ، ويشرح فى كل باب من هذه الأبواب شرحاً طويلا بين فيه ما يحتاج اليه والى معرفته . فهذه أغراضه فى ذات الصفائح .

وأما كتابه (القانون) فى علم النجوم وحسابها وقسمة أجزائها وتعديلها

فمن أتم كتب النجوم وأوضحها ، وكان أول ما ابتدأ به فى ذكر دور السماء التى تدور فيها هذه الكواكب .

(باب) فى علم مسير الكواكب فى كل يوم ، فيقول إن مسير الشمس فى كل يوم يكون تسعاً وخمسين دقيقة ومسير أوج القمر سبع دقائق ومسير رأس التنين وهو الجوزهر ثلاث دقائق ومسير زحل دقيقتان ومسير المشترى خمس دقائق ومسير المريخ إحدى وثلاثون دقيقة ومسير الزهرة درجة وست وثلاثون دقيقة ومسير عطارد أربع درج وخمس دقائق ومسير قلب الأسد ست ثوانى .

(وباب) فى علم أوساط الكواكب وتقويمها وتعديلها اذا كانت لا يمكن أن تقوم إلا باوساطها .

(وباب) فى تحريك أرباع الفلك على ما ذكر أصحاب الطلسمات أن أرباع الفلك تتحرك ثمانية أجزاء مقبلة وثمانية أجزاء مدبرة والجزء درجة فتقبل فى كل ثمانين سنة وتدبر على كل ثمانين سنة جزءً .

(وباب) فى ميل الشمس وعرض الكواكب الستة وتباعدها من خط الاستواء الى الشمال والى الجنوب ، ووضع لكل كوكب منها فى ذلك جدولا أما ميل الشمس فميلها عن خط الاستواء وأما ميل عرض الكواكب فتباعدها من مسير الشمس .

(وباب) فى مقام الكواكب السبعة ورجوعها وكيف يلتمس على ذلك من زحل والمشترى والمريخ اذا كان بين كل واحد منها وبين الشمس مائة وعشرون أو مائتان وأربعون درجة ومن الزهرة وعطارد اذاتباعدامن الشمس تباعدهما الأكبر فكان بين الزهرة وبينها ست وأربعون درجة وبين عطارد ثلاث وعشرون درجة .

(وباب) فى طلوع الكواكب السبعة من تحت شعاع الشمس ومغيبها من بين يديها ومن خلفها .

(وباب) فى تقويم الساعات وتعديلها وإخراجها من الساعات المعوجة الى الساعات المستوية .

(وباب) فى علم عرض المدائن وطولها ، وقسم مدائن العالم بين الأقاليم السبعة فجعل لكل مدينة طولا وعرضاً وجعلها فى جدول سماه جدول المدائن ووضعه على ثلاثة أبواب : فالباب «الأول» فيه تسمية المدائن ، والباب «الثانى» طول كل مدينة ، والباب «الثالث» عرض كل مدينة وهو انحرافها عن حد رأس الجدى والميزان الى الشمال ، ووضع لكل إقليم عرضه وهو انحراف وسطه عن رأس الحمل والميزان الى الشمال . وأثبته على رأس جدول مطالعه ، فاذا أردت عرض مدينة من مدائن العالم وكانت مما قد أثبته فى تسمية المدائن وإلا نظر الى عرض أى إقليم هو أقرب فاى إقليم وجد عرض تلك المدينة أقرب الى عرضه فتلك المدينة من ذلك الاقليم .

(وباب) فيه عرض كل اقليم . فقال «الأول» ست عشرة درجة ودقيقة «والثانى» ثلاث وعشرون درجة واحدى عشرة دقيقة «والثالث» ثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة «والرابع» ست وثلاثون درجة «والخامس» أربعون درجة وست وخمسون دقيقة «والسادس» خمس وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة «والسابع» ثمان وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة .

(وباب) ذكر فيه انحراف القمر وهو الذى يسمى (البرا كفيس) وأخبر أنه رؤية القمر وذلك أن للقمر موضعين مختلفين أحدهما موضع رؤيته والآخر منزلته المعتدلة .

(وباب) فى اجتماع الشمس والقمر والاستقبال وكيف يحسب لذلك حتى يصح .

(وباب) فى كسوف القمر ونواحيه .

(وباب) فى كسوف الشمس وكيف يحسب فى وقت الاجتماع .

(وباب) فى تعديل ما يوجد بجداول الكواكب والطالع وغير ذلك .

(وباب) من التعديل فى استخراج الطالع وفيه مائة وثمانون جدولا وبين كل قول بالأشكال .

وتسمية ملوك اليونانيين والروم وما ملك كل ملك على ما بينا من أسمائهم آخر هذا الفصل .

ملوك اليونان والروم

وكان أول ملوك اليونانيين - وهم أولاد يونان بن يافث بن نوح ، وهو أول من سماه بطلميوس فى القانون من ملوكهم - « فيلفوس » وكان جباراً عاتياً وكان ملكه سبع سنين . ثم ملك ابنه «الاسكندر» وهو الذى يقال له ذو القرنين واسم أمه المفيدا ، وكان معلمه (ارسطاطاليس) الحكيم فجل قدر الاسكندر وعظم ملكه واشتد سلطانه وأعانته الحكمة والعقل والمعرفة ؛ وكان معه نجدة وبأس وهمة عالية دعته الى أن كتب الى ملوك الأقاليم والآفاق يدعوهم الى طاعته ومن كان قبله من ملوك اليونانيين يؤدى الى ملوك أرض بابل من الفرس خرجاً لجلالة تلك المملكة وعظم قدرها وصغر الممالك فى جنبها ، فلما كتب الى ملك فارس يدعوه الى طاعته عظم عليه فسار الاسكندر حتى أتى أرض بابل وملك الفرس يومئذ (دارا بن دار) فحاربه حتى قتله وحوى خزائن ملكه وتزوج ابنته ثم صار الى أرض فارس وقتل من بها من المرازبة والرؤساء وافتتح البلاد ثم صار الى أرض الهند فزحف اليه (فور) ملك الهند فحاربه حتى قتله ثم صير الاسكندر على الهند ملكاً من قبله من أهل الهند يقال له « كيهن » وانصرف فشرق وغرب ثم رجع الى أرض بابل بعد أن دوخ الأرض فلما صار فى أدانى العراق مما يلى الجزيرة اعتل فاشتدت علته فلما يئس من نفسه وعلم أن الموت

قد نزل به كتب الى أمه كتاباً يعزيها عن نفسه وقال لها فى آخره: إصنعى طعاماً واجمعى من قدرت عليه من نساء أهل المملكة ولا يأكل من طعامك من أصيب بمصيبة قط ، فعملت طعاماً وجمعت الناس ثم أمرتهم أن لا يأكل من أصيب بمصيبة قط فلم يأكل أحد فعلمت ما أراد ، ومات الاسكندر بموضعه الذى كاتب منه فاجتمع أصحابه فكفنوه وحنطوه وصيروه فى تابوت من ذهب ثم وقف عليه عظيم من الفلاسفة فقال : هذا يوم عظيم كشف الملك عنه وأقبل من شره ما كان مدبراً وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكياً على ملك فعلى هذا الملك فليبك ومن كان متعجباً من حادث فمن هذا الحادث فليتعجب . ثم أقبل على من حضره من الفلاسفة فقال : يا معاشر الحكماء ليقل كل امرىء منكم قولا يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً ، فقام كل واحد من تلامذة أرسطاطاليس فضرب بيده على التابوت (ثم قال) أيها المنطيق ما أخرسك أيها العزيز ما أذلك أيها القانص أنى وقعت موضع الصيد فى الشرك من هذا الذى يقنصك .

(ثم قام آخر) فقال : هذا القوى الذى أصبح اليوم ضعيفاً والعزيز الذى أصبح اليوم ذليلا .

(وقام آخر) فقال : قد كانت سيوفك لا تجف ونقماتك لا تؤمن وكانت مدائنك لاترام وكانت عطاياك لا تبرح وكان ضياؤك لا يكسف فاصبح ضوؤك قد خمد ونقماتك لاتخشى واصبحت عطاياك لاترجى وأصبحت سيوفك لاتنتضى وأصبحت مدائنك لا تمنع .

(ثم قام آخر) فقال : هذا الذى كان للملوك قاهراً فقد أصبح اليوم للسوقة مقهوراً .

(وقام آخر) فقال : قد كان صوتك مرهوباً وكان ملكك غالباً فاصبح الصوت قد انقطع والملك قد اتضع .

(وقام آخر) فقال : ألا امتنعت من الموت إذ كنت من الملوك ممتنعاً وهلا ملكت عليه اذ كنت عليهم ملكاً .

« وقام آخر » فقال : حركنا الاسكندر بسكونه وأنطقنا بصموته .

« وتكلموا » بنحو هذا الكلام ثم أطبق التابوت وحمل الى الاسكندرية فتلقته أمه بعظماء أهل المملكة فلما رأته قالت : يا ذا الذى بلغت السماء حكمته وحاز أقطار الأرض ملكه ودانت الملوك عنوة له مالك اليوم نائماً لا تستيقظ وساكتاً لا تتكلم من يبلغك عنى بانك وعظتنى فاتعظت وعزيتنى فتعزيت فعليك السلام حياً وهالكاً فنعم الحى كنت ونعم الهالك أنت ؛ ثم أمرت به فدفن وكان ملك الاسكندر مع ما نال من الدنيا اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعد ذى القرنين «بطلميوس» خليفة الاسكندر وكان حكيما عالماً وكان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك « فيلفوس » وكان جباراً فاشتد سلطانه وعتا فى ملكه وفى أيامه عملت الطلسمات . وكان ملكه ثمانى وثلاثين سنة ؛ ثم ملك « هورحيطوب » الأول خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك « فيلوبطور » سبع عشر سنة ، ثم ملك « فيفانس » أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك « فيلوبطور » الثانى خمساً وعشرين سنة ؛ ثم ملك « هورحيطوب » الثانى سبعاً وعشرين سنة .

ملوك الروم

ثم صار الملك من بعد اليونانيين ـ أولاد يونان بن يافث بن نوح ـ الى الروم وهم ولد روم بن سماحير بن هوبا بن علقا بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام فغلبوا على البلد وتكلموا بلغة القوم وانتسبوا الى الرومية ودرست اليونانية إلا ما بقى فى أيدى هؤلاء من فضل حكمهم ، وكان أول من ملك من الروم بعد اليونانيين «فهاساطق» وهو جاليوس الأصغر بن روم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ؛ ثم ملك « أغسطس » فلما أتى لملكه سنة ولد المسيح عليه السلام واتصل ملك

أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة، ثم ملك « طباريس » اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك « جايس » أربع سنين ، ثم ملك « قلوديس » أربع عشرة سنة ، . . . . (١) . .
. . ثم ملك « اسفسيانوس » عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الآله ووجه ابناً له يقال له «طوس» الى بيت المقدس لحصرها أربعة أشهر وكان قد اجتمع اليها في عيد من أعياد اليهود خلق عظيم فاشتد عليهم الحصار حتى أكلوا الصبيان ومات أكثرهم من الجوع ثم افتتحها فقتل وسبى وأحرق الهيكل بالنار ، ثم ملك « طوس » ثلاث سنين وانشق في زمانه جبل يقال له أبرمور وخرجت منه نار أحرقت مدناً كثيرة . ثم ملك « دومطيانوس » خمس عشر سنة وفي زمانه ظهر « أبو لوس » صاحب الطلسمات من أهل طوانة ووثب بدو ميطانوس أهل مملكته فقتلوه ، ثم ملك «نهودس» (٢) سنة واحدة ؛ ثم ملك «طريانوس» تسع عشرة سنة ، ثم ملك « ادريانوس » إحدى وعشرين سنة ووثب به يهود بيت المقدس فامتنعوا أن يؤدوا اليه الخراج فوجه اليهم من قتلهم وأمر بقتل من بقي منهم ببيت المقدس ، ثم ملك (هيلوس انطونينوس) ثلاثاً وثلاثين سنة ثم ملك (مرقس انطونينوس) خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك (الاسكندر) بن ماميا ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك (مكسيميانوس) ثلاث سنين ، ثم ملك (جورد

---

(١) - بياض في الأصل ، وذكر المسعودي في التنبيه والاشراف المطبوع: أنه ملك بعده ابنه « نيرون » بن قلوديس ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ملك (غلباس) سبعة أشهر ثم ملك (اوثون) ثلاثة أشهر ، ثم ملك (بيطاليس) ثمانية أشهر ، ثم ملك بعده (اسفسيانوس) المذكور ، ولكنه في كتابه مروج الذهب يقول إن الذى ملك بعد نيرون اسفسيانوس وابنه طوس مشتركين في الملك ثلاث عشر سنة .

(٢) - كذا في الاصل ، وفي التنبيه والاشراف سماه (نرواس قيصر) وقال: إنه ملك سنة وخمسة أشهر وفي مروج الذهب سماه (بيونوس) وقال انه ملك سنة .

(م ٠ ص)

يانوس) ثلاث سنين ، ثم ملك (فيلفوس) سنتين ، ثم ملك (ديقيوس) سنة واحدة ، ثم ملك (جالوس) ثلاث سنين ، ثم ملك (ولريانوس) ست سنين . . . (١) . . . ثم ملك (قروس) سبع سنين ، ثم ملك (دقليطيانوس) عشرين سنة ، ثم ملك (قسطنطين ومكنيوس) عشر سنين .

وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة فطائفة منهم على دين الصابئين وكانوا يسمون الحنفاء وهم الذين يقرون ويعترفون بخالق ويزعمون أن لهم نبياً مثل (اوراني وعابيديمون وهرمس) وهو المثلث بالحكمة ، ويقال إنه ادريس النبي وهو أول من خط بالقلم وعلم علم النجوم ، ويقولون فى الخالق جل وعز على قول هرمس إما أن يعقل الله فعسرا وأن ينطق به فلا يمكن وان الله علة العلل المكون للعالم جملة واحدة ، وطائفة منهم أصحاب(زينون) وهم السوفسطائية وتفسير هذا الاسم باليونانية المغالطة وبالعربية التناقضية ، يقولون لا علم ولا معلوم (واحتجوا) باختلاف الناس وانتصاف بعضهم من بعض ، وقالوا ، نظرنا فى أقوال النـاس المختلفين فوجدناها مختلفة غير متفقة وأصبناهم فى اختلافهم مجتمعين على أن الحق مؤتلف غير مختلف وأن الباطل مختلف غير مؤتلف ، وكان فى اجتماعهم شاهد لهم أنهم لم يعلموا بالصواب فلما أقروا بهذا لم يبق للحق موضع يطمع فى اصابته الا فى الخاصة منهم فعلمنا أن ذلك لا يوجد الا باحد وجهين اما بالتسليم للمدعى واما بالكشف لدعواه فنظرنا فى الدعوى فأصبنا بما يعمهم فلم نجز تصديقهم لخلتين احداهما أن يكذب بعضهم بعضاً والأخرى اجماعهم على أنهم لم يعلموا بالصواب فلم يبق الا كشف

---

(١) بياض فى الأصل ، وفى (التنبيه والاشراف) أنه ملك بعد ولريانوس (طاقطوس) وعاضده على الملك أخوه (فوروس) ملكا تسعة أشهر ، ثم ملك (بروبس) تسع سنين ثم ملك (قروس) المذكور ، ومثل ذلك فى (تاريخ الكامل) لابن الأثير (ج ١) ويختلف ما ذكراه مع مافى (مروج الذهب) فراجع . (م . ص)

الدعوى ففعلنا فأصبناهم أهل تكافؤ وتجار بدور الغلبة عليهم جميعاً بالاستواء بينهم تقوى هذه مرة ومخالفتها أخرى فلم نصب عند طائفة منهم فضلاً ولا تشارك فيه ولا حاجة ولا تساوى بها ولا تجارى فيها فلما أعوز وجود الحق فى عامتها وخاصتها بالدعوى بالمناظرة لم يبق للعلم موضع يوجد فيه ولا للحق مذهب يصاب منه فقضينا أنه لا علم ولا معرفة لان الشيء اذا كان ثابتاً لا محالة فلا بد من الاحاطة فى الاتفاق أو فى الاختلاف فلا يذكر ذاكر وهو غائب فقال فلان غائب فأصابه ، فلو قال : هو أو غيره فلان حاضر وليس بحاضر فخرج من الصدق ثم خالفه مخالف فقال بل هو غائب فكان أحدهما صادقاً لا محالة لانه لا يعدو اذا كان الشيء ثابتاً حقاً أن يكون حاضراً أو غائباً فاذا لم يكن شيئاً فكلاهما كاذب فيما قال من أنه حاضر أو غائب لأن الحاظر شيء والغائب شيء فان لم يكن شيئاً فليس بحاضر ولا غائب ، واحتجوا بنحو هذا (. . . . .) آخر فقالوا إن كانت الأشياء كلها تدرك بالعلم والعلم بالعلم فالى نهاية أو إلى لا نهاية فان تناهى فالى غير معلوم وما لم يكن معلوماً فهو مجهول فأنى تعلم الأشياء بمجهول فان لم تتناه ولم تكن لذلك غاية فلا إحاطة به وما لم يحط به فمجهول أيضاً فكان الوجهان فى هذا القياس مجهولين غير معلومين فأنى يعلم شيء بمجهول دون أن يعلم جميع الأشياء وذلك أبعد ، وشققوا فى هاذين النوعين وكثر سعيهم وعظمت مؤنتهم (وقالت طائفة) تسمى الدهرية لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء بخير ولا بشر ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء له ولا حدوث ولا عطب وانما حدوث ما سمى حدثاً تركيبه بعد الافتراق وعطبه تفريقه بعد الاجتماع وجميع الوجهين فى الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر . وانما سميت الدهرية لزعمها أن الانسان لم يزل ولن يزول وأن الدهر دائر لا اول له ولا آخر (واحتجوا) فيما ادعوا بان قالوا انما يعرف فى وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لها حال الشيء فيها موجود فانى يحدث

ما قد كان ووجد وحال لا شيء فيها فأنى يكون الشيء فى حال لا تشبيه لها وذلك أبعد ، وكذلك القول فى المدعى من العطب لا يعرف غير حالين ، حال الشيء فيها قائم فمحال قول من ادعى العطب للشيء فى حال كونه وقيامه ، وحال لا شيء فيها فأنى يكون العطب الأدنى وذلك محال فان أقر مخالفونا بصدقنا دخلوا فى قولنا ونقضوا قولهم فان أنكروا قولنا ادعوا حالا ثالثة لا عدم فيها ولا وجود فذلك اقبح الثلاثة حالة (وقالت فرقة) منهم إن أصل الأشياء فى الأزلية حبة كانت فانفلقت فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه فى ألوانه وإحساسه (وزعم بعضهم) أنه غير مختلف فى معانيه وإنما تختلف معانيه من جهة احساسه (وأنكر بعضهم) ذلك واثبتوا له أختلافاً فى معانيه وتحقيقه ، وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف الأشياء انما تختلف باختلاف الاحساس لها وانه لا حقيقة لشيء منها تبين بها دون غيرها (وادعوا) من الدلالات فى ذلك أن أهل المرض الحادث من الصفراء مثل أصحاب اليرقان اذا ذاق أحد منهم العسل وجده مراً وأهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلواً فان الخفاش يغشيه ضوء النهار ويذكى بصره الليل ، فان كان النور يزيد الأبصار نوراً والظلمة مغشية لها وجب أن يكون نور النهار الظلمة للخفاش وغيرها تغشى بصره النار وقد يوجد ذلك فى بعض الناس وغيرهم من الحيوان والطير وغيره ، وان الليل اذا كان مذكياً للأبصار على ما وصفنا فليلها نور كما أن النهار نور لمن خالفها والليل ظلمة لها (فان قلتم) ان ذلك لآفة دخلت على هذه الأصناف (قلنا لكم) عند من خالفهم أو عند من وافقهم (فان قلتم) عند من خالفهم « قلنا » بل الآفة دخلت على من وافقهم « فان قلتم » عند من وافقهم (قلنا) بل الآفة دخلت على من خالفهم عندهم فلا فضل لأحد الصنفين على أحد (وقالوا) ألا ترون الكاتب يكتب الكتاب عدلا مستقيما فيراه كذلك من قبل وجهه فان نظر اليه من خلفه رآه بخلاف ما كان يعرف وان ازور عنه معوجاً أو خالفه رآه مخالفاً

كما تكتب الألف فى صورة تميز من جميع الحروف فاذا استقبلتها رأيتها ألفاً واذا استدبرتها رأيتها كالباء واذا انحرفت عنها رأيتها كالنون أو كالبا ، وان الغائب عن موضعه حاضر موضعاً آخر ، وكذلك القول فى الالوان والأصوت والطعوم والأعيان والملابس كما ترى الشخص من قرب كبيراً وصغيراً من بعد كلما قرب لدانى منه ازداد كبراً وكلما بعد منه ازدادصغراً فى عينه ، وكذلك الصوت يسمع من قريب قوياً ومن بعيد خفياً وكذلك الطعم تذوق الشيء قليلا فتجده قليل الحلاوة فاذا زدت منه طعمه .. (١) .. وكذلك اللمس تحس الشيء قليلا فتجده فاتراً وتلمسه شديداً فتجده حاراً ، وترى الصورة من قريب ثابتة مختلفة فيزداد الرائى لها بعداً فيرى أنها مستوية غير مختلفة (وزعموا) أن جميع الأشياء تدور على التكافؤ والتجارى وكادوا أن يحفلوا بالسوفسطائية (وقالت طائفة اخرى) ان الاشياء فروع لأصول أربعة لم تزل ولا تزول فولدت وظهر العالم منها وهى الأفراد السوادج الحر والبرد والرطوبة واليبس تنبت بانفسها لا باعتماد ولا ارادة ولا مشيئة ، وقالت طائفة أخرى ، ان الأصول أربعة وهى أمهات ما فى العالم ومعها خامس لم يزل ولا يزول يدبرها ويؤلف بينها بارادة ومشيئة وحكمة ويؤلف بين زوجاتها ويتولد نتائجها عنه لا يمنع أضدادها من القرب بعضها من بعض وهو العلم ، وقالت طائفة ، وهم أصحاب الجوهر وهم الأرسطاطاليسية ان الأشياء شيئان جوهر وعرض والجوهر ينقسم قسمين حى ولا حى وحده القائم بنفسه وافتراقه فى الخاصة لافى الحد ، والعرض تسعة فمنها الكمية وهو العدد وصورها أربع الكيل والمساحة والوزن والقول ، ثم الكيفية وصورها ثمان الكون والفساد والهيئة والحيلة والقوة والضعف والألف والمألوف ، ثم الاضافة وصورها أربع طبيعى وصناعى واستحسان ومودة ثم متى وهى الواقعة على الوقت يعنى بالوقت الزمان وصور

(١) - بياض فى الأصل . ولعل الساقط قوله « وجدته كثير الحلاوة » (م . ص)

الزمان ثلاثة الماضى والمستقبل والدائم ؛ ثم أنى وهى الواقعة على المكان الست جهات يعنى أمام وخلف وأعلى وأسفل ويمين ويسار ؛ ثم الجدة وهى الملك وصورة الملك قسمان اما خارج واما داخل فمعنى خارج مثل المملوك والدار والأثاث ونحوه ومعنى داخل مثل العلم والحكمة ؛ ثم النصبة ومعنى النصبة هيئة الشيء كقول القائل فلان قائم وفلان قاعد وفلان ذاهب وفلان جاء ؛ ثم الفاعل فهو قسمان اما أن يفعل بالاختيار واما أن يفعل بالطبع فالمختار مثل الحى الباقى الآكل الشارب ؛ والفاعل بالطبع كحركة العناصر الأربعة مثل النار تسمو من الوسط الى العلو تكرر وان كانت دون الأرض ، وكالأرض من العلو الى الوسط الى مركزها الأخص بها ؛ والماء من العلو الى دون الأرض ؛ ثم المنفعل وهو القابل للتأثير الفاعل فيه حال طينته المحتملة لأن يديرها ويربعها فى جميع الأشكال ؛ فهذه مقالات اليونانيين ومن تلاهم من الروم ومذاهب متكلميهم وفلاسفتهم وحكمائهم وأهل النظر منهم .

ملوك الروم المتنصرة

وكان أول من ملك من ملوك الروم فخرج من مقالة اليونانية الى النصرانية (قسطنطين) وكان سبب ذلك أنه كان يحارب قوماً فرأى فى منامه كأن رماحاً نزل بها من السماء عليها صلبان فلما أصبح حمل على رماحه الصلبان ثم حارب فظفر ، وكان ذلك سبب تنصره فقام بدين النصرانية وبنى الكنائس وجمع الأساقفة من كل بلد لاقامة دين النصرانية فكان أول اجتماع لهم فاجتمعوا بنيقية ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وأربع بطارخة بطرخ الاسكندرية وبطرخ رومية وبطرخ أنطاكية وبطرخ القسطنطينية ، وكان سبب جمع قسطنطين هؤلاء أنه لما تنصر وحلت النصرانية بقلبه أراد أن يستقصى علمها فأحصى مقالات أهلها فوجد ثلاث عشرة مقالة ، فمنها ، قول من قال ان المسيح وأمه

كانا آلهين ، ومنها ، قول من قال انه من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم ينقص الأولى انفصال الثانية ، ومنها ، مقالة من قال بتألهه ، ومنها ، مقالة من قال بتعبيده ، ومنها ، مقالة من قال ان جسده كان خيالا مثل متى وأصحابه ، ومنها ، مقالة من قال هو الكلمة ، ومنها ، مقالة من قال هو الابن ، ومنها ، مقالة من قال هو روح قديمة ، ومنها ، مقالة من قال هو ابن يوسف (ومنها) مقالة من قال هو نبي من الأنبياء (ومنها) مقالة من قال هو لا هوتى وناسوتى ، فجمع قسطنطين ثلاث مائة وثمانية عشر أسقفاً وأربعة بطارخة ولم يكن فى ذلك العصر غيرهم وكان بطرخ الاسكندرية يقول إن المسيح مألوه مخلوق فلما اجتمعوا ناظروه فى ذلك فاجمع مقالة القوم جميعاً أن قالوا أن المسيح ولد من الأب قبل كون الخلائق وهو من طبيعة الأب ولم يذكروا روح القدس ولا أثبتوه خالقاً ولا مخلوقاً ولكن وقفوا على أن الأب الآله والابن آله منه وخرجوا من نيقية ، وكان ملك قسطنطين خمساً وخمسين سنة .

ثم ملك (يوليانوس) سنة واحدة ، ثم ملك (دسيوس) سنة واحدة وفى أيامه ظهر أصحاب الكهف بعد أن كانوا قد ماتوا بعد دهر طويل وكانوا عدة نفر وراع ومعهم كلب الراعى واسماؤهم (١) مكسلمينا ، ومراطوس ، وشاه بوسوس وبطربوس ، ودواس ، وبوالس ، وكنيفرطو ، وسوطر ، والراعى مليخا وهو صاحب الكلب واسم الكلب ، قطمير ، فخرجوا بعد مائة سنة ويقال ثلاث مائة سنة وتسع سنين وبعثوا بعضهم ومعه دراهم يمتارلهم طعاماً فانكرت السوقة ضرب دراهمه ثم اتبعوه حتى صاروا الى المغارة فعمى أمرهم على القوم وبنى على المغارة مسجد يصلى فيه .

ثم ملك (والنبطيانوس) أربع سنين ثم ملك (تيدوسوس) الأكبر

---

(١) - إختلف فى ضبط أسمائهم على خمسة أقوال ، وقد ذكرها صاحب تاج العروس شارح القاموس فى مادة (تكهف) ولها ذكر أيضاً فى كتب التفاسير (م . ص)

وكان فى عصره الاجتماع الثانى للنصرانية فاجتمع له بالقسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً وثلاثة بطارخة ولم يحضرها بطرخ رومية فوضعوا صحيفة الامانة وأثبتوا روح القدس وكانت صحيفة الأمانة التى وضعوها ، أومن بالله الواحد الأب ملك كل شىء خالق السماوات والأرض وما يرى وما لا يرى وبالرب المسيح ابن الله الذى ولد قبل الدهر نور من نور آله حق من آله حق مولود ليس بمخلوق ومن سوس الأب به كان كل شىء من أجلنا البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بروح القدس ومن مريم العذراء فصار بشراً وصلب من أجلنا على عهد بلاطس النبطى وأصيب وقبر وقام لثلاثة أيام كما هو فى الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الأب الذى ليس لملكه فناء وبروح القدس الرب الذى من الأب اشتق الذى تكلم فيه الأنبياء وبواحدة القدسية الكنيسة السليحية للحواريين أومن بعمودية واحدة بمغفرة الخطايا وقيام الاموات ، وحرموا من قال بعد هذا شيئا وافترقوا من القسطنطينية، وكان ملك تيدوسوس سبع عشرة سنة.

ثم ملك بعده ابن أخيه (تيدوسوس) الأصغر (ووالنطيانوس) وكان الجمع الثالث للنصرانية فاجتمع بافسس وحضر مائتا أسقف وخالف نسطور على القوم جميعا وقال إن المسيح جوهران وكيانان آله تام بجوهره وكيانه فالأب ولد الآله ولم يلد إنسانا والأم ولدت إنسانا ولم تلد الآله فقال له قريلس إن كان الأمر كما قلت فمن عبد المسيح فهو مسىء لأنه قد يكون عبد قديما ومحدثا ومن ترك عبادته فقد كفر لانه يكون قد ترك عبادة القديم كما ترك عبادة المحدث ومن عبد الآله دون الإنسان فلم يعبد المسيح إذ كان لا يستحق أن يقال مسيحا من إحدى جهتيه دون الاخرى فاوجب ذلك على من حضر ، وخالفه بطرخ أنطاكية فقال نسطور بطرخ أنطاكية يقول بمثل قولى وهرب نسطور الى أرض العراق فصارت النسطورية بالعراق وصير وا رئيسهم مكان البطرخ جاثليق فافترقوا على هذا ، وكان ملك تيدوسوس الأصغر سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك (مرقيانوس) وكان فى عهده الاجتماع الرابع وكان سبب ذلك أن الطرسيوس صاحب اليعقوبية قال إن المسيح جوهر واحد وطبيعة واحدة فانكرته النصارى فاجتمع ستمائة وثلاثون أسقفا بالقسطنطينية وناظروا طرسيوس فقالوا له : إن كان المسيح كما زعمت طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هى الطبيعة المحدثة ، وإن كان القديم من المحدث فالذى لم يزل هو الذى لم يكن فلم يرجع عن مقالته فحرموه فصار الى أرض مصر والاسكندرية وكان طبيبا فاقام بها ، وكان ملك مرقيانوس خمس سنين .

ثم ملك بعده (اليون واسمون) (١) سبع عشرة سنة ثم ملك (زينون) ثمانى عشرة سنة ، ثم ملك (انسطاسيوس) وكان الجمع الخامس للنصرانية فى عصره وذلك ان قوما من رؤساء النصارى قالوا ان جسد المسيح كان خيالا على غير حقيقة فاجتمعوا لذلك وقالوا ان كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا على غير حقيقه وهذا بقول السوفسطائيه أشبه منه بقول النصارى ولعن أولئك الذين قالوا هذا وبرئت النصارى منهم ، وكان ملك انسطسيوس سبعا وعشرين سنه . . (٢) . . ثم ملك (يوسطوس) الثانى تسعا وعشرين سنه وفى عصره ولد محمد رسول الله ﷺ .

ثم ملك (يوسطوس) الثالث عشرين سنه ، ثم ملك (طيبريوس) أربع سنين . . (٣) . . وكان فى أيامه الجمع السادس للنصرانيه ، وذلك أن قورس

(١) ـ كذا فى الأصل ، وفى تاريخ الكامل لابن الأثير (ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة) ومثله ما فى مروج الذهب للمسعودى وكذا فى التنبيه والاشراف له غير أنه سماهما لاوون الكبير ولاوون الصغير .

(٢) ـ بياض فى الأصل ، وفى التنبيه والاشراف أن الذى ملك بعد انسطسيوس هو (يوسطين) وقد ملك تسع سنين (وهو يوسطوس الأول) ثم ملك يوسطوس الثانى المذكور .

(٣) ـ بياض فى الأصل ، وفى التنبيه والأشراف للمسعودى وكذا فى تاريخ ـ

الاسكندرانى زعم أن المسيح مشيئة واحد وفعل واحد فقال وهذا شبيه بقول اليعقوبيه" فاجتمعوا لذلك ورضوا ببطرخ روميه" وكتب كتاباً ولم يحضر ولم يكن للنصرانيه" جمع بعدها ، وكان ملك « هرقل وقسطنطين » ابنه اثنتين وثلاثين سنه" .

ثم ملك « قسطنطينوس » ثمانى عشرة سنه" ، ثم ملك « بطرخ » روميه" ثلاث سنين ، ثم ملك فلسمررنى (١) أربع سنين ، ثم ملك « اليون وقسطنطين» ابنه تسعاً وعشرين سنة .

وكانت شهور الروم التى يجرون عليها حسابهم وتأريخاتهم اثنى عشر شهراً أولها كانون الآخر وهو الشهر الذى يسمونه بالرومية « ينوارس » وهو رأس السنة عندهم وهذه أسماء شهورهم ينوارس وهو كانون الآخر ، ونلياس وهو شباط ، ونرلس وهو آذار ، وابرلس وهو نيسان ، ومايس وهو أيار ، ويولس وهو حزيران ، وأغسطس وهو تموز ، وستنبرس وهو آب ، واقطبرس وهو ايلول ، ونونبرس وهو تشرين الأول ، واكبرس وهو تشرين الآخر ، ومورس وهو كانون الأول .

وكانت مملكتهم من حد الفرات الى حد الاسكندرية مما صار فى أرض الاسلام سوى ما بارض الروم مما هو فى أيديهم الى هذه الغاية ، وكانت أعظم

ـ الكامل لابن الاثير أن الذى ملك بعد طيبريوس هو (موريق) ملك عشرين سنة وأربعة أشهر ثم ملك (فوقاس) ثمانى سنين وأربعة أشهر ثم ملك هرقل المذكور ومثلهما مافى مروج الذهب (ج ٢) .

(١) ـ هكذا فى الأصل ، وفى التنبيه والاشراف وكامل ابن الاثير أن الذى ملك قبل اليون هو (تيدوس) المعروف بالأرمنى وكان ملكه فى السنة التى بويع فيها سليمان بن عبد الملك وهى سنة ٩٦ ، وقد ذكر المسعودى مايخالف ذلك كله فى مروج الذهب (ج ٣). (م . ص)

مدائنهم الرها من أرض الجزيرة وهى من ديار مضر ، ثم أنطاكية وبها كرسى بطرس وكف يحي ابن زكرياء فى كنيسة القسيان وهى الكرسى الرابع والبطرك الكبير فما كان فى مملكة الروم وصار فى الاسلام أرض الجزيرة من حران والرها وسائر كورها وبالس وسميساط وملطية وأذنة وطرسوس وجند قنسرين والعواصم وسائر كورها وجند حمص ، ومدينة حمص إحدى المدن المعدودة فى مملكة الروم ، ثم اللاذقية وهى من حمص ايضاً وجند دمشق ، وكان عمال ملك الروم بها آل جفنة من غسان ، وجند الأردن وكانت اليهم أيضاً وعمالها من قبل الروم من آل جفنة الغسانيين ، وجند فلسطين بكوره وتنيس ودمياط والاسكندرية ، فهذه مملكة الروم الخاصة مما صارت فى أرض الاسلام ثم لهم ما خلف الدرب الى بلاد الصقالبة والألآن والافرنج ، ومن المدن التى فى بلاد الروم المشهورة المعروفة مثل رومية ونيقية وقسطنطينية وأماسية وخرشنة وقرة وعمورية وصملة والقلمية وسلندوا وهرقلة وصقلية وقلطنة وأنطاكية المحترقة ودهيرناطه وملوية وسلوقية وامربه وقونية وجبوس وبلوس وبراوعس وسلنيقه .

ملوك فارس

فارس تدعى لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها من الزيادة فى الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون ويكون للاخر وجه من نحاس ويكون على كتفى آخر حيتان تطعم أدمغة الرجال وطول المدة فى العمر ودفع الموت عن الناس وأشباه ذلك مما يدفعه العقول ويجرى فيه مجرى اللعبات والهزل ومما لا حقيقة له . ولم يزل أهل العقول والمعرفة من العجم ومن له شرف والبيت الرفيع من أبناء ملوكهم ودهاقينهم وذوى الرواية والأدب لا يحققون هذا ولا يصححونه ولا يقولونه ووجدناهم إنما يحسبون ملك فارس

من لدن (أردشير بابكان) فمن كان عندهم من أول ملوكهم والمملكة الأولى قبل اردشير (شيومرث) سبعين سنة (أوشهنج فيشداد) اربعين سنة (طهمورث) ثلاثين سنة (جم شاد) سبعمائة سنة (الضحاك) الف سنة (افريدون)خمسمائة سنة (منوجهر) مائة وعشرين سنة (افراسياب) ملك الترك مائة وعشرين سنة (زوطهماسب) خمس سنين (كيقباذ) مائة سنة (كى كاوس) مائة وعشرين سنة (كى خسروا) ستين سنة (كى لهراسب) مائة وعشرين سنة (كى بشتاسب) مائة واثنى عشرة سنة (كى اردشير) مائة واثنى عشر سنة (خمانى) بنت جهرزاد ثلاثين سنة (دارا) بن جهرزاد اثنى عشرة سنة ، ثم قتله الاسكندر الذى يقال له ذو القرنين فافترق ملك فارس وملك ملوك يسمون ملوك الطوائف ، وهؤلاء كان ملكهم ببلخ ، ويزعم النسابون أنهم من ولد عامور ابن يافث بن نوح ، وكانوا على دين الصابئين يعظمون الشمس والقمر والنار والنجوم السبعة ولم يكونوا مجوساً ولكنهم كانوا على شرائع الصابئين .

وكان كلامهم السريانى ، به يتكلمون وبه يكتبون ، وهذا رسم الخط السريانى (١) ولهم أخبار قد أثبتت رأينا اكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع .

المملكة الثابتة من أردشير بابكان

وملك (اردشير) وهو أول ملوك الفرس المتمجسة ، وكان ملكه باصطخر وامتنع عليه بعض كور فارس فحاربهم حتى فتحها ثم صار إلى اصبهان ثم الى الأهواز ، ثم إلى ميسان ، ثم رجع الى فارس فحارب ملكاً يقال له (اردوان) فقتله وسمى أردشير شاهنشاه وبنى بيت نار باردشير خره ، ثم صار إلى الجزيرة وأرمينيا وآذربيجان ، ثم صار الى سواد العراق فسكنه

(١) - لم يوجد فى الأصل المطبوع فى ليدن رسم خط السريانى الذى أشار اليه. (م.ص)

وصار الى خراسان فافتتح كوراً منها ولما دوخ البلاد عقد لابنه سابور الملك بعده وتوجه وسماه الملك ، وتوفى أردشير وكان ملكه أربع عشرة سنة .

وملك « سابور » بن أردشير فغزا بلاد الروم وفتح منها عدة بلدان وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينه جنديسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التى على نهر تستر وعرضه الف ذراع ، وفى أيام سابور ابن أردشير ظهر « مانى » ابن حماد الزنديق فدعا سابور الى الثنوية وعاب مذهبه فمال سابور اليه وقال « مانى » إن مدبر العالم إثنان وهما شيئان قديمان نور وظلمه خالقان لخالق خير وخالق شر فالظلمه والنور كل واحد منهما فى نفسه اسم لخمسة معان : اللون والطعم والرائحة والمحسه والصوت وإنهما سميعان بصيران عالمان وإنه ما كان خير ومنفعه فهو من قبل النور وما كان من ضرر وبلاء فهو من قبل الظلمه وإنهما كانا غير ممتزجين ثم امتزجا ، والدليل على ذلك أنه لم تكن صورة ثم حدثت وأن الظلمه هى بدأت للنور بالممازجه وأنهما كانا متماسين على مثال الظل والشمس ؛ والدليل على ذلك استحالة كون شيء لا من شيء وأن الظلمه بدأت للنور بالممازجه وأنه لما كان مخالطه الظلام للنور مفسدة له كان محالا ان يكون النور بدأها لأن النور من شأنه الخير . والدليل على أنهما إثنان قديمان خير وشر أنه لما وجدوا المادة الواحدة لايكون منها فعلان مختلفان مثل النار الحارة المحرقه لايكون منها التبريد والذى يكون منه التبريد لا يكون منه التسخين فذلك الذى يكون منه الخير لايكون منه الشر والذى يكون منه الشر لا يكون منه الخير ، والدليل على أنهما حيان فاعلان ان الخير تثبت له فعلا والشر تثبت له فعلا ، فاجابه سابور الى هذه المقالة وأخذ بها أهل مملكته فعظم ذلك عليهم فاجتمع حكماء أهل مملكته ليصدوه عن ذلك فلم يفعل ووضع (مانى) كتبا يثبت بها الاثنين ، ومما وضع كتابه الذى يسميه « كنز الأحياء » يصف مافى النفس من الخلاص النورى والفساد الظلمى وينسب الافعال الردية الى الظلمة

وكتاب يسميه «الشابرقان» يصف فيه النفس الخالصة والمختلطة بالشياطين والعلل ويجعل الفلك مسطوحاً » ويقول « إن العلم على جبل مائل يدور عليه الفلك العلوى ، وكتاب يسميه «كتاب الهدى والتدبير » وإثنا عشر إنجيلا يسمى كل انجيل منها بحرف من الحروف ، ويذكر الصلاة وما ينبغى أن يستعمل لخلاص الروح و «كتاب سفر الأسرار » الذى يطعن فيه على آيات الأنبياء ، و «كتاب سفر الجبابرة » وله كتب كثيرة ورسائل ، فاقام سابور على هذه المقالة بضع عشرة سنة ثم أتاه (الموبذ) فقال ان هـــذا قد أفسد عليك دينك فاجمع بينى وبينه لأناظره فجمع بينهما فظهر عليه الموبذ بالحجة فرجع سابور عن الثنوية الى المجوسية وهمّ بقتل (مانى) فهرب فاتى الى بلاد الهند فاقام بها حتى مات سابور .

ثم ملك بعد سابور (هرمز) بن سابور وكان رجلا شجاعاً وهو الذى بنى مدينة « رامهرمز » ولم تطل أيامه وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك (بهرام) بن هرمز وكان مشغوفاً بالعبيد والملاهى وكتب تلاميذ « مانى » اليه أن قد ملك ملك حدث السن كثير التشاغل فقدم الى أرض فارس واشتهر أمره وظهر موضعه فاحضره بهرام فسأله عن أمره فذكر له حاله فجمع بينه وبين الموبذ فناظره ثم قال له الموبذ يذاب لى ولك رصاص يصب على معدتى ومعدتك فاينا لم يضره ذلك فهو على الحق فقال هـذا فعل الظلمة فأمر به بهرام فحبس وقال له إذا أصبحت دعوت بك فقتلتك قتلة ماقتل بها أحد قبلك فلم يزل (مانى) ليلة سلخ حتى خرجت نفسه وأصبح بهرام فدعا به فوجدوه قد مات فأمر بحز رأسه وحشا جسده بالتبن وتتبع أصحابه فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وكان ملك بهرام بن هرمز ثلاث سنين .

ثم ملك (بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه (بهرام ابن بهرام بن بهرام) فكان ملكه أربع سنين ، ثم ملك أخوه (نرسى) ابن بهرام تسع سنين ، ثم ملك (هرمز) بن نرسى تسع سنين وولد له ابن سماه

(سابور) وعقد له الملك ، ومات هرمز وسابور صبى فى المهد فأقام أهل مملكته متلومين عليه حتى ترعرع وشب ثم ظهر منه عتو وجبرية فغزا بلاد العرب وعوّر عليهم المياه وغزاه ملك الروم وهو (اليانوس) فاعانته العرب من جميع القبائل ثم تسرعت قبائل العرب الى سابور فاوقعت به فى دار ملكه حتى هرب وخلا ملكه فانتهب مدينته وخزائنه ثم جاء سهم غرب فقتل اليانوس ملك الروم فملكت الروم (يوبنيانوس) فصالح سابور وأقام سابور على معاداة العرب لا يظفر باحد منهم إلا خلع كتفه فلذلك سمى سابور ذا الاكتاف وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة .

ثم ملك (أردشير) بن هرمز أخو سابور فساءت سيرته وقتل الاشراف والعظماء منهم فخلع بعد أن ملك أربع سنين ، وملكت الفرس (سابور بن سابور) فخضع له أردشير المخلوع ومنحه الطاعة وسقط على سابور فسطاط فقتله ، وكان ملكه خمس سنين .

وملك بعد سابور (بهرام) بن سابور وكتب الى الآفاق يعدهم العدل والنصفة والاحسان وأقام على ملكه احدى عشرة سنة ثم ثار عليه قوم فقتلوه .

ثم ملك (يزدجرد) بن سابور وكان فظاً غليظاً مستطيلا سيء السيرة قليل الخير كثير الشر فسامهم سوء العذاب ثم رمحه فرسه فقتله ، وكان ملكه احدى وعشرين سنة .

ثم ملك (بهرام جور) بن يزدجرد وكان قد نشأ بارض العرب وكان أبوه قد دفعه الى النعمان فارضعته نساء العرب ونشأ على أخلاق جميلة ، وقد كان لما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولى ابناً له لسوء مذهبه وقالوا بهرام ابنه قد نشأ بارض العرب لا علم له بالملك وأجمعوا على أن يملكوا رجلا غيره فسار بهرام فى العرب فلما لقى الفرس هابته فأخذوا تاج الملك والزينة التى تلبسها الملوك فوضعوها بين أسدين وقالوا لبهرام ولكسرى أيكما أخذ التاج والزينة من بين

هاذين الأسدين فهو الملك ؟ فقالوا ابهرام فأخذ جرزاً وتقدّم فضرب الأسدين حتى قتلهما وأخذ التاج والزينة فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك ويعلمهم ماهو عليه من العدل وتوخى عمارة البلاد ، وقدم المنذر بن النعمان عليه فرفع منزلته وكان بهرام رجلا مؤثراً للهو متشاغلا عن الرعية ثم صار لطلب الصيد واللهو واستخلف أخاه نرسى على فبلغ المملكة فلما بلغ (خاقان) ملك الترك حال بهرام طمع فيه فأراد أن يسير نحوه بهرام ذلك فسار اليه حتى قتله وكتب الى رعيته بالفتح ثم خرج يوماً يتصيد فامعن فى طلب عير ثم طرحه فرسه فى موضع حمأة فمات ، فكان ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك (يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان ليزدجرد هذا ابنان يقول لأحدهما « هرمز » وللآخر « فيروز » فغلب هرمز على الملك بعد أبيه فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة وأخبر ملكها بقصته وبمذاهب أخيه وجوره فأمده بجيش فأقبل بهم وقاتل أخاه فقتله وشتت جمعه وملك (فيروز) فنال الناس فى أيامه جدب وقحط ومجاعة شديدة وغاضت الأنهار والعيون فلم يزل على تلك حالهم ثلاث سنين ثم خصبت البلاد وسار فيروز الى بلاد الترك ليحارب ملكها وقد كان الصلح وقع بين الفرس والترك فلما قرب من البلاد أرسل اليه ملك الترك يسأله الرجوع ويعظم عليه ترك الوفاء فلم يقبل فحفر له خندقاً عميقاً ثم عماه فلما قرب منه عبأ عسكره واقتحمه فسقط وجميع جنده فى ذلك الخندق فمات وحوى ملك الترك أمواله وأخذ أختاً له ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة فلما بلغ الفرس مقتل فيروز أعظموه فسار رئيس من رؤسائهم يقال له (سوخرا) فى جمع وعدّة حتى لقى ملك الترك فحاربه ونال منه فدعاه ملك الترك الى الصلح على أن يدفع اليه كلما حواه من خزائن فيروز ويرد أخته ومن فى يده من أصحابه ففعل ذلك وانصرف عنه .

وملك (بلاش) بن فيروز وكانت مدته أربع سنين ، ثم ملك أخوه

(قباذ) ابن فيروز وكان صغير السن فترك اسوخرا تدبير المملكة فلما بلغ وصار في حد الرجال لم يرض بتدبير سوخرا فقتله وقدم مهران . ثم إن الفرس ازالت قباذ عن ملكه وحبسته وملكت أخاه (جاماسب) بن فيروز فاقام قباذ في الحبس وأخوه الملك ، ثم إن أختاً لقباذ دخلت الحبس فتعرض لها صاحب الحبس وأطمعته في نفسها وقالت إنها طامث ثم دخلت فاقامت عند قباذ يوماً ثم لفته في بساط وأخرجته على عنق غلام جلد فهرب قباذ يريد ملك الهياطلة فلما صار بابر شهر نزل برجل فاقام عنده ثم سأله أن يطلب له امرأة فاتاه بجارية فوقع عليها وأعجبه حسنها وجمالها ، ثم مضى الى ملك الهياطلة فاقام عنده سنة ثم بعث معه جيشاً فلما رجع بابر شهر فقال للرجل الذى نزل عنده مافعلت تلك الجارية فأتى بها وقد ولدت صبياً كأحسن ما يكون من الصبيان فسماه كسرى انوشروان وزحف قباذ الى بلاده فغلب على الملك وقوى أمره وأشتدت شوكته وغزا بلاد الروم وكوّر الكور والطساسيج وعقد لابنه انوشروان الملك ودعاه فاوصاه باحسن الوصية وعرّفه كلما يحتاج اليه ، وكان ملك قباذ ثلاثاً وأربعين سنة

ثم ملك (انوشروان) بن قباذ فكتب الى أهل مملكته يذكرهم وفاة قباذ ويعدهم من نفسه خيراً ويأمرهم بما لهم فيه الحظ ويوعز اليهم فى الطاعة والمناصحة وعفا عن قوم كانوا يتحملون عليه وقتل (مزدق) الذى كان أمر الناس بان يتساووا فى الأموال والحرم . وقتل (زراذشت) بن خركان لما ابتدع فى المجوسية . وقتل أصحابهما وقدّم أهل المملكة والشرف وغزا بلداناً عدة مما لم يكن فى مملكة الفرس فضمها الى ملكه ، وجرى بينه وبين يخطيانوس ملك الروم . . . (١) . . . فغزا أنوشروان بلاد الروم فقتل وسبي وغلب على مدن

(١) - بياض فى الأصل ، وقد ذكر المؤرخون - منهم ابن الأثير فى الجزء الأول من تاريخه الكامل - ما جرى بين يخطيانوس ملك الروم وبين أنوشروان مما سبب غزو أنوشروان بلاد الروم . (م . ص)

كثيرة من الجزيرة والشام منها الرها ومنبج وقنسرين والعواصم وحلب وأنطاكية وأفامية وحمص وغيرها . وأعجبته أنطاكية فبنى مدينة مثلها لم يخرم منها شيئاً ثم جاء بسبي أنطاكية فارسلهم فيها فلم ينكروا شيئاً ومسح أنوشروان البلاد ووضع عليها الخراج وألزم كل جريب من الغلات بقدر احتماله فلم تزل السنة جارية على ذلك والبلاد عامرة ورتب لديوان المقاتلة رجلا رضى حزمه وعزمه وأخذ مقاتلته مما يحتاج اليه من السلاح ، وجعل ديوان العطاء ودفاتر الاسماء والحلى وسمات الدواب وديوان العرض على مثل ذلك .

وكان أنوشيروان نبيلا كريماً ظاهر العدل لا يسأله إنسان شيئاً إلا يحرى إجابته فسار اليه (سيف بن ذى يزن) فأعلمه أن الحبشة قدمت بلاد اليمن وغلبت عليها وأنه صار الى « هرقل » ملك الروم فلم يجد عنده ما يحب فبعث معه باهل السجون فى البحر وقود عليهم رجلا من مشيخة قواده شجاعاً مجرباً يقال له (وهرز) فصار الى بلاد اليمن حتى قتل الحبشه وأفناهم ورمى ملكهم (أبرهة) فقتله وأقام فى البلد وملك سيف بن ذى يزن ، وعقد أنوشيروان لابنه (هرمز) الملك من بعده ، وكانت أم هرمز بنت خاقان ملك الترك ، وكتب له فى ذلك كتاباً بالعهد وأمره فيه بما يأمر به مثله وأوصاه أحسن الوصايا وامتحنه فوجده بحيث يحب وأجابه على كل ما قال له بجواب سديد وتنكر ، ولا يأتيه إلا بقول حسن لطيف ، وهلك أنوشروان وكان ملكه ثمانى واربعين سنة .

ثم ملك (هرمز) بن أنوشروان فقرأ على الناس كتاباً عاما يعد فيه بالعدل والانصاف والعفو والاحسان ويأمرهم بما فيه مصالح ونال ظفراً وعزاً ففتح عدة مدائن ثم اجترءوا أعاديه عليه وغزوا بلاده وكان أغلظ الأعداء عليه (شابه) ملك الترك فانه زحف فى خلق عظيم حتى دخل بلاد خراسان وكاد أن يحتوى عليها وأقبل ملك الخزر فى جموع حتى نزل آذربيجان فعظم ذلك

عليه وخاف أن لا يكون له طاقة بصاحب الترك فأتاه رجل من قواده يقال له (بهزاد) فاعلمه أن عنده رجلا يقال له (مهران ستاد) عالماً (.....) وإن خاتون امرأته سألت عما قبلهم فاخبرها أن ابنتها تلد من ملك الفرس ابناً يلى الملك بعد أبيه وأنه يزحف اليه ملك الترك فى خلق عظيم فيوجه اليه بإنسان ليس بالنبيه يقال له (بهرام شوبين) فى شرذمة من الجند ويقتل ذلك ملك ويصطلم ملكه، فلما سمع هرمز ذلك سره ثم طلب بهرام شوبين فقيل له ما نعرف هذا إلا رجلا من أهل الرى هو بآذربيجان فوجه اليه فأقدمه ثم وجهه الى «شابه» ملك الترك فى اثنى عشر الف مقاتل فقال (موبذان موبذ) لهرمز ما أخلقه أن ينال ظفراً غير أن فى قرنة حاجبه دايلا على ثلمة يثلمها فى ملكك وقال له زاجر كان له مثل ذلك، فكتب هرمز الى بهرام أن يرجع فلم يرجع ووافاه بهرام بهراة (وشابه) مغتر، وكان عند «شابه» رجل وجه به هرمز من يخدعه يقال له (هرمز جرابزين) حتى فرّ منه ثم ارتحل عنه فارسل (شابه) من عرف خبر بهرام فانصرف اليه فأعلمه حاله فارسل اليه «شابه» فى الرجوع فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد ثم لقيه وقد عبأ جنده، وقد كان مع «شابه» قوم عرافون وسحرة وكانوا يلبسون على أصحاب بهرام ثم التحمت الحرب فاستحر القتل فى أصحاب «شابه» حتى قتل منهم خلق عظيم فولوا منهزمين وقتل بهرام منهم مقتلة عظيمة ولحق «شابه» فرماه بحربة طويلة فقتله وأخذ ساحراً كان مع صاحب الترك فاراد بهرام أن يستبقيه فيكون عدة له فى حروبه ثم رأى أن قتله أصلح فكتب بالفتح الى هرمز فسر به وكتب به الى الآفاق ثم خرج «برموذه» بن شابه فلقى بهرام فحاربه وبايته وكانت بينهما حرب شديدة ثم بايته بهرام فهزمه ولحقه فحصره فى حصن فطلب «برموذه» بن شابه الأمان على أن يكون ذلك من هرمز الملك فكتب بهرام الى هرمز فاجابه وكتب له كتاب أمان وكتب الى بهرام أن يسرحه اليه فخرج «برموذه» بن شابه من

الحصن وكان هرمز قد وجه ناسا إلى بهرام شوبين فصار «برموذه» الى هرمز فاكرمه هرمز وبرّه وأجلسه معه على السرير وأخبره (برموذه) بما صار الى بهرام من الأموال العظام والكنوز وأنه قد كتم ذلك عن أمنائه وأخبر أمناؤه بمثل ذلك وأن الذى بعث به قليل من كثير فكتب هرمز الى بهرام يأمره أن يحمل اليه مافى يده من الأموال فغلظ ذلك على بهرام وأخبر به جنده فذكروا هرمز أقبح ذكر وخلعه هو وجميع جنده. فلما بلغ ذلك هرمز إغتم له وكتب الى بهرام يعتذر اليه والى جنده من مثل ذلك فلم يقبل بهرام ولا جنده قول هرمز وبعث بهرام الى هرمز بسفط فيه سكاكين معوجة الرؤوس فلما رآها هرمز علم أنه قد عصى فقطع أطراف السكاكين وردها اليه فعلم بهرام ما أراد فارسل الى «خاقان» ملك الترك يطلب صلحه على أن يرد عليه كل أرض حازها من بلاده وسار بهرام حتى صار الى الرى ثم دبر أن يوقـــع بين هرمز وبين ابنه كسرى أبرويز شراً وكان هرمز متهما لابنه وكان قد بلغه أن قوماً قد حملوه على أن يثب بابيه فضرب دراهم كثيرة وصير عليها اسم كسرى أبرويز وبعث بها الى مدينة هرمز فكثرت فى أيدى الناس، ولما بلغ هرمز خبرها اشتد غمه فاراد أن يحبس ابنه كسرى أبرويز فلما بلغ أبرويز الخبر هرب الى آذربيجان فاجتمع اليه من بها من مرازبتها ورؤسائها وعاقدوه وبايعوه ووجه هرمز الى بهرام بجيش مع رجل يقال له «آذينجشنس» فلما صار فى بعض الطريق قتله رجل حوارى كان آذينجشنس أخرجه من الحبس وضمه الى نفسه وافترق أصحابه فلما قتل آذينجشنس ضعف أمر هرمز واجترأ عليه جنده وكانوا متغضبين له كارهين لولايته فكتبوا الى ابنه أبرويز فقدم بجيش من آذربيجان فخلعوا هرمز وملكوا أبرويز وأخذ هرمز فحبس وسملت عيناه فاقام فى الحبس أياماً ثم دخل اليه ابنه فكلمه فقال له هرمز أقتل من صنع بى هذا وكان قد احتوى على تدبير الملك بندى وبسطام خالا ابرويز وكان ملك هرمز اثنتى عشرة سنة.

فلما استقام أمر ابرويز و بلغه مسير بهرام شوبين اليه خرج فى جيشه ومعه بندى وبسطام حتى وقف على بهرام بالنهروان وكلمه وعظم عليه الأمر فاجابه بهرام بجواب غليظ شديد وكان «كردويه» أخو بهرام مع كسرى أبرويز وألحقه بهرام وانكشف عن كسرى جنده وأسلمه أصحابه فمر هارباً فلما كان فى بعض الطريق رجع بندى وبسطام خالاه فقتلا هرمز أباه ولحقاه فى بعض الطريق واستمر به الهرب حتى ساءت حالته واشتد بؤسه وجزعه فطلب طعاماً فلم يجد إلا خبز شعير ولحقته خيل بهرام فاحتال له خاله بندى حتى نجاه فمضى حتى صار الى الرها فأخذ بندى فأتى به بهرام فحبسه ثم أفلت من الحبس فصار الى آذربيجان وصار كسرى الى الرها يريد «مورق» ملك الروم فحبسه صاحب الرها وكتب الى مورق ملك الروم يخبره أنه أتاه لينصره فاستشار ملك الروم أصحابه فى أمره فاشار بعضهم بأن لا يجاب وأشار بعضهم بان يجاب فاجابه ملك الروم وزوجه ابنته ووجه معه بجيش عظيم وشرط عليه الشروط اذا تم له نصره ووجه اليه كسرى بثلاثة نفر من أصحابه فشرط عليهم كلما أراد ووجه بابنته وبالجيش عليهم أخ له يقال له «ثيادوس» ومعه رجل يجرى مجرى الف رجل فسار كسرى بجيشه بعد ابتنائه بابنة ملك الروم الى ناحية آذربيجان وكان بندى خاله قد صار اليها فلما علم بمكانه لقيه فى جيش عظيم ولما علم بهرام شوبين بما اجتمع لكسرى كتب الى وجوه أصحابه يخبرهم بسوء مذهب آل ساسان ويصف سيرة ملك ملك ويدعوهم لنفسه ووقعت الكتب فى يد كسرى قبل أن تصل الى القوم فكتب اليه باغلظ الجواب عن القوم ورد اليه الرسول فزحف اليهم بهرام حتى صار الى آذربيجان فحاربه محاربة شديدة وأخذت الحرب من الفريقين وخرج الرومى الذى كان يجرى مجرى الف رجل فقال لكسرى أين عبدك هذا الذى غصبك ملكك حتى أقتله ؟ فقال هو صاحب الابلق فحمل عليه وتراجع بهرام الى ورائه ثم تراجع عليه فضربه بسيفه فقده بنصفين فضحك كسرى وقال زه فغضب أخو

ملك الروم وقال سررت أن قتل رجلنا وصاحبنا؟ فقال لا ولكن صاحبكم قال لى أنى العبد الذى غصبك وغلبك ملكك فأردت أن تعلم أن العبد يضرب فى كل يوم عدة ضربات كل مثل هذا واشتدت الحرب حتى انهزم كسرى وصعد فى جبل فكاد يهلك ثم ثاب جند كسرى وانهزم بهرام شوبين فمضى منصرفاً لا يلوى على شيء متوجهاً الى ملك الترك واستقام الأمر لكسرى أبرويز فكتب الى صاحب الروم بذلك وأهدى له ملك الروم ثوبين فيهما الصليب فلبسهما فقال الفرس قد تنصر، ثم كتب فى النصارى أن يكرموا ويقدموا ويبرزوا ويخبر بما قد جرى بينه وبين الرومى من العصمة واللحمة والموادعة وأنه لم يقل هذا ملك من الملوك قبله ووثب بندى خال كسرى بثيادوس أخى ملك الروم فصمه (١) فوقع الشر وقال أخو ملك الروم إما أن تدفع إلى بندى وإما أن يعود الشر فسكنه كسرى وورد بهرام شوبين بلاد الترك فأكرمه خاقان وبرّه وكان لخاقان أخ يقال له (بفارس) يداريه خاقان فرآه بهرام فقال لخاقان كيف اجترأ هذا عليك هذه الجرأة فسمع أخو خاقان الكلام فتواعده فقال بهرام متى شئت فابرز؟ فدفع خاقان ملك الترك الى أخيه نشابة والى بهرام نشابة ثم أخرجهما الى الصحراء فرمى أخو خاقان بهرام فأصابه فشك سلاحه ورماه بهرام فقتله فسر خاقان بقتل أخيه لمعاندته له ولما كان يخافه منه وكان كسرى يرهب مكان بهرام شوبين مع خاقان ولا يأمن أن يجرى عليه شراً فوجه برجل من وجوه الفرس يقال له (بهرم جرابزين) وكان كبيراً فى الفرس ووجه معه الى خاقان بهدايا ويسأله أن يبعث اليه بهرام شوبين وأمر جرابزين أن يتلطف فى أمره فقدم على خاقان بالهدايا وذكر له أمر بهرام فلم يجد عنده الذى يحب فتلطف « بخاتون » امرأة خاقان وأهدى لها جوهراً ومتاعاً وسألها فى أمر بهرام فوجهت برجل من أصحابها له

(١) - يقال صم الرجل بحجر اذا ضربه به . (م . ص)

إقدام وجرأة قلب وقالت له ادخل الى بهرام شوبين فاقتله فانطلق حتى استأذن عليه وكان نوم بهرام فلم يأذن له فقال إن الملك خاقان وجهني في أمر مهم فأذن له فلما دخل عليه قال إن الملك حملني رسالة أخبرك بها سراً من غير حضور أحد فقام من مجلسه ودنا منه كأنه يساره ووجأ بخنجر تحت أبطه وخرج التركي مسرعاً فركب دابته ، ودخل أصحاب بهرام فرأوه بتلك الحال فقالوا أيها الليث الضرغام من أقصدك ؟ وأيها الجبل المنيف من هدك ؟ فقص عليهم القصة وكتب الى خاقان يعلمه أنه لا وفاء له ولا شكر . ومات بهرام فحمل الى الناووس ولما علم جرابزين بموته ارتحل الى كسرى فأخبره فسرّ به وأظهره في مملكته وكتب به الى آفاقه ولما مات بهرام بعث ملك الترك الى كردية امرأة بهرام وأصحابه يخبرهم بغمه وأنه قد قتل كل من شرك في قتله ووجه باخيه (نطرا) اليهم وكتب الى كردية امرأة بهرام شوبين أنه يرغب فيها ويأمرها أن تتزوج نطرا فحملت كردية امرأة بهرام جند أخيها وارتحلت باصحابها ومن معها تريد بلاد الفرس فلحقها نطرا أخو خاقان فبرزت اليه في السلاح وقالت لا أتزوج إلا من كان في الشجاعة والقوة مثل بهرام فابرز إليّ فبرز اليها أخو خاقان فقتلته ومضت لوجهها ، وكان كسرى قد غضب على خاله بندى فسمل عينيه وقطع رجليه وصلبه حياً لما فعل بابيه ، فلما علم بسطام أخو بندى ما فعل كسرى باخيه خلع كسرى وصار الى الري وجمع، وبلغه أن كردية أخت بهرام وامرأته قد أقبلت من بلاد الترك فتلقاها ومن معها فذم اليها كسرى وخبرها بغدره وجوره وسألها أن تقيم عنده بمن معها وأن تزوجه نفسها ففعلت، وكتب الى أخيها كردى تعلمه ذلك وتسأله أن يأخذ لها ولمن معها أماناً من كسرى فأخبر كسرى بمصير كردية بمن معها من جند بهرام وأصحابه الى الري وتزوج بسطام خاله بها ومقامها معه فعلم ذلك كسرى ودعا كردى أخاها فسأله أن يتلطف بها حتى تقتل بسطام وتقدم فيتزوجها فوجه كردى أبرخة امرأته الى كردية أخته بما ذكر له الملك وأنفذ اليها كتب الأمانات

لها ولمن معها باوثق مايكون من العهود فقبلوا أصحابها ووثبوا على بسطام فقتلوه وقدمت كردية على كسرى فتزوجها وأحلها محلا رفيعاً فاستقامت لكسرى أموره ودانت له بلاده ، ثم وثبت الروم بمورق ملكها فقتلوه وملكوا غيره وصار اليه ابن مورق فوجه معه جيشاً ثم قتل ابن مورق وملك هرقل فغزا أصحاب كسرى فقتلهم وشردهم وزحف اليهم حتى هزم (شهربراز) صاحب كسرى ، وكان كسرى لما اشتد ملكه قد طغا وبغى وعتا وظلم وجار وأخذ أموال الناس وسفك الدم فمقته الناس لمانال منهم ولاحتقاره إياهم وأن عظماء الفرس لما رأوا ماهم فيه من الذل والبلاء والمكروه من كسرى خلعوه وجاءوا بابن له يقال له (شيرويه) فملكوه وأدخلوه المدينة ونادوا شيرويه (شاهنشاه) وأخرجوا من فى السجون ممن كان كسرى يريد قتلهم فهرب كسرى حتى دخل بستاناً له فأخذوه فحبسوه ثم قالوا لشيرويه إنه لا يستقيم الملك أن يكون (ابرويز) حياً فاقتله وإلا خلعناك فوجه شيرويه الى أبيه برسالة غليظة يعنفه فيها على فعله ويذكر له ما نال من أهل مملكته وما كان من سوء سيرته فاجابه بجواب تفنيد وتجهيل له فوجه اليه برجل كان كسرى ابرويز قطع يد أبيه بغير سبب ولا جرم إلا انه قيل له إن ابن هذا يقتلك فقطع يده وكان من خاصته فلما دخل عليه سأله عن اسمه . . . (١) . . . قال له شأنك وما أمرت به فضربه حتى قتله ، ثم إن شيرويه حمل أباه الى الناووس وقتل قاتله ، وكان ملك كسرى ابرويز ثماني وثلاثين سنة .

ولما ملك شيرويه بن ابرويز اطلق من فى المحابس وتزوج بنساء أبيه وقتل سبعة عشر أخاً ظلماً واعتداء فلم يستقم ملكه ولم يصلح حاله فاشتد سقمه ومات بعد ثمانية اشهر ، وملكت الفرس ابناً لشيرويه طفلا يقال له (اردشير) واختاروا له رجلا يقال له (مه آذرجشنس) فحضنوه إياه ليقوم بتدبير

(١) - بياض فى الأصل ، قال ابن الأثير فى تاريخه الكامل « إن الذى باشر قتل كسرى شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمرود » (م . ص)

الملك فأحسن التدبير وقام بالأمر قياماً محموداً وجرت أمور المملكة ، وكان (شهر براز) الذي كان موجهاً لحرب الروم قد عظم أمره فكره موضع مه آذرجشنس وكتب الى الفرس أن يوجهوا اليه برجال سماهم وإلا أقبل اليهم حتى يحاربهم فلم يفعلوا فاقبل شهر براز في ستة آلاف الى جانب مدينة المملكة وحاصر من فيها وقاتلهم ثم فكر فاحتال حتى دخل المدينة فاخذ عظماء الفرس فقتلهم وفضح نساءهم وقتل أردشير الملك ، وكان ملك أردشير سنة وستة أشهر .

وجلس (شهر براز) على سرير الملك ودعا نفسه ملكاً فلما رأت الفرس فعل شهر براز أعظمته وقالت مثل هذا لا يملك علينا فوثبوا به وقتلوه وجروا برجله ، ولما قتلت الفرس شهر براز طلبوا رجلا من أهل الملك فلم يجدوه فملكوا (أبوران) بنت كسرى فاحسنت السيرة وبسطت العدل والاحسان وكتبت الى آفاقها كتاباً تعد فيه بالعدل والاحسان وتأمرهم بجميل المذهب والقصد والسداد ووادعت ملك الروم ، وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثم ملكت (آزرميدخت) بنت كسرى واستقام أمرها فقال (فرخهرمزد) اصبهبذ خراسان اناالیوم قريع الناس وعماد مملكة فارس فزوجيني نفسك فقالت لا يجوز للملكة أن تزوج نفسها ولكن إذا أردت ان تصل إلى فإتني بالليل فرضي بذلك فامرت صاحب حرسها أن يرصده حتى يدخل ثم يقتله فلما كان الليل أتى فدخل وبصر به صاحب الحرس فقال من أنت ؟ فقال انا فرخهرمزد فقال وما تصنع في مثل هذا الوقت في موضع لا يدخله مثلك فضربه حتى قتله وطرحه في الرحبة ، فلما غدا الناس رأوه قتيلا فرفعوا خبره وكان ابنه رستم الذي لقي سعد بن ابي وقاص بالقادسية بخراسان فقدم فقتل آزرميدخت ، وكان ملكها ستة أشهر .

ثم ملك رجل من عقب اردشير بن بابك يقال له (كسرى) بن مهرجشنس وقد كان دعي الى الملك قبل ذلك فامتنع منه وكان مقامه بالأهواز فلما ملك لبس التاج وجلس على السرير فقتلوه بعد أيام فلم يتم له شهر فأعوز عظماء الفرس من

يملكونه من أهل بيت المملكة ثم وجدوا رجلا يقال له (فيروز) قد أولده أنوشروان من قبل أمه فملكوه ضرورة ؛ فلما أجلس ليتوج وكان ضخم الرأس قال ما أضيق هذا التاج فتطيرت عظماء الفرس من قوله فقتلوه ، وأقبل ابن لكسرى كان قد هرب الى نصيبين لما قتل شيرويه يقال له (فرخزاد خسرو) فتوج وملك وكان نبيلا فملك سنة ، ثم وجدوا (يزدجرد) بن كسرى وكانت أمه حجامة وقع عليها كسرى فجاءت بيزدجرد فتطيروا منه فغيبوه ثم اضطروا اليه فجاءوا به وأمورهم مضطربة وأهل مملكته مجترئون عليه ، ولما أتى لملكه أربع سنين قدم سعد بن أبي وقاص القادسية فبعث اليه برستم ثم صار المسلمون الى المدائن وهي مدينة الملك يوم النيروز وقد استعدت الفرس بصنوف الأطعمة واستعدت أحسن الزينة فانهزمت الفرس وهرب يزدجرد ، فلم يزل المسلمون يتبعونه حتى صاروا الى مرو فدخل طاحونة وقتله صاحب الطاحونة ، وكان ملكه الى أن قتل عشرين سنة .

وكانت الفرس تعظم النيران ولا تستنجي بالماء إنما تستنجي بالدهن ولا تتخذ لقصورها أبوابا إنما كانت ابوابها عليها الستور يحفظها الحرس من الرجال ولا تأكل إلا بزمزمة وهو الكلام الخفي وتنكح الأمهات والأخوات والبنات وتذهب الى انه صلة لهن وبر بهن وتقرب الى الله فيهن ، ولم تكن لها حمامات ولا كنف ، وكانت تعظم الماء والنار والشمس والقمر والأنوار كلها ، وكانت تعد الأزمنة على شهورها وايام اعيادها ، وكان الخريف عندهم شهريور ماه ومهر ماه وآبان ماه ، والشتاء آذر ماه ودى ماه وبهمن ماه ، والربيع اسفندار مذ ماه وفروردين ماه وارديبهشت ماه والقيظ خرداذ ماه وتير ماه ومرداذ ماه ، وكانت تزيد فى الخريف خمسة ايام تسميها ايام الأندركاه فتكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وشهورهم ثلاثين يوما ، ورأس سنتهم يوم النوروز وهو أول يوم من فروردين ويكون ذلك فى نيسان وآذار وقد مرت الشمس فى حمل وهو يوم

عيدهم المعظم عندهم ، ويوم المهرجان وهو لستة عشر يوماً يمشي من مهرماه ثم يكون بين النوروز والمهرجان مائة وخمسة وسبعون يوماً وذلك خمسة أشهر وخمسة وعشرون يوماً ، والمهرجان فى تشرين الآخر ، وكانت الفرس تسمى كل يوم من أيام شهورهم باسم وهى الروزات فاولها هرمز بهمن ارديبهشت شهريور اسفندارمذ خرداذمرداذدى بآذر آذر آبان خورماه تير جوش دى بهمر مهر سروش رشن فروردين بهرام رام باذدى بدين دين ارد اشتاذ اسمان زامياذ مار سفندا نيران .

وكان من قول الجماعة منهم - فيما يقولونه من (زراذشت) الذى يدعون أنه نبيهم - أن يكون النور قديماً لم يزل وهم يسمونه (زروان) وأنه فكر فى الشر لهفوة كانت منه علمهم منها لأن الحسن مستحيل الى قبح والطيب الريح الى نتن وأن القديم عندهم غير ممتنع من أن يلزمه التغيير والفساد فى بعضه لا فى كله فلما فكر القديم فى الشر فتنفس الصعداء فخرج ذلك الغم من جوفه فامتثل بين يديه ويسمون ذلك الغم الممتثل بين يدى القديم (أهرمن) ويسمون أيضاً زروان هرمز (قالوا) فأراد أهرمن محاربة هرمز فكره ذلك هرمز لئلا يفعل شراً فصالحه على أن يصير اليه خلق كل ضار فاسد (وزعموا) أنهما جسمان وروحان وبينهما فرجة للخنق لأنهما ليسا بملتقيين (وقالوا) إن هرمز النور الفاعل الأجرام وأزواجها وأن أهرمن إنما يفعل المضار فى هذه الجواهر كالسم فى الهوام والغيظ والغضب والضجر والشرور والتعادى والخنق والخوف فى الحيوان فان الله هو فاعل الأعيان وأعراضها الراتبة .

وكانت منازل ملوك الفرس فى أول ملك أردشير بن بابكان باصطخر من كور فارس ثم لم تزل الملوك تنتقل حتى ملك أنوشروان بن قباذ فنزل المدائن من أرض العراق فصارت دار الملك ، وأجمع العلماء من المنجمين والمتطببين أنه ليس فى المملكة بلد أصح ولا أفضل ولا أعدل من تلك البقعة وما قرب

منها من إقليم بابل ، وكانت البلاد التي تملكها الفرس ويحوز سلطانها فيها من كور خراسان نيسابور وهراة ومرو ومرو الروذ والفارياب والطالقان وبلخ وبخارا وباذغيس وباورد وغرشستان وطوس وسرخس وجرجان ، وكان على هذه الكور عامل تسميه اصبهبذ (١) خراسان ومن كور الجبل طبرستان والرى وقزوين وزنجان وقم واصبهان وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وماسبذان ومهرجانقذق وشهر زور والصامغان وآذربيجان ، وكان لهذه الكور اصبهبذ يقال له اصبهبذ آذربيجان وكرمان وفارس ، وكورها اصطخر وشيراز والرجان والنوبندجان وجور وكازرون وفسا ودار أبجرد وأردشير خره وسابور والأهواز وكورها جنديسابور والسوس ونهر تيرى ومناذر وتستر وايذج ورام هرمز ، وعلى هذه اصبهبذ يقال له اصبهبذ فارس ، وكور العراق ولها ثمانية وأربعون طسوجاً(٢) على الفرات ودجلة ، فسقى الفرات بادوريا والأنبار ونهر سير والرومقان والزاب الأعلى والزاب الأسفل والزاب الأوسط وزندورد وميسان وكوثى ونهر درقيط ونهر جوبر والفلوجة العليا والفلوجة السفلى وبابل وخطرنية والجبة والبداة والسليحين وفرات بادقلا وسورا وبربسما ونهر الملك وبار وسما ونستر ، وسقى دجلة نهر بوق ونهر بين وبزرجسابور والراذان الأعلى والراذان الأسفل والزابيين والدسكرة ونرازروز وسلسل

---

(١) الاصبهبذ هو صاحب تدبير الملك ، وقد جعل أردشير فى عهده الاصبهبذيين اربعة الأول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة .

(٢) ينقسم الرستاق الى طساسيج وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى واكثر ما تستعمل هذه اللفظة فى سواد العراق ، وتفسير الطسوج الناحية . (م ص)

ومهروذ ، وجلولاء ، والنهروان الأوسط ، والنهروان الأسفل ، وجازر والمدائن ، والبندنجين ، ورستقباذ ، وابزقباذ ، والمبارك وبادرايا ، وباكسايا .

ولهم اصبهبذ الرابع ، ويسمى أصبهبذ المغرب ، وكانت آخر مسالح (١) الفرس مما يلي الفرات الأنبار ثم تصير الى مسالح الروم . ومما يلي دجلة (. . . . . .) ثم تصير الى مسالح الروم إلا أن يتعاور القوم فيدخل الفرس بلاد الروم على المخالبة وربما دخل الروم بلاد الفرس . وكل الاسم الواقع على كل ملك للفرس « كسرى » ، وكانوا إن سموه وذكروه قالوا كسرى شاهنشاه معناه ملك الملوك ، وكانت تسمى الوزير « بزرجفرمذار » معناه متقلد الأمور وكانت تسمى العالم القيم بشرائع دينهم (موبذموبذان) ومعناه عالم العلماء ، وأول من رفع عليه منها الاسم (زرادشت) وكانت تسمى قيم النار (الهربذ) وكانت تسمى الكاتب (دبيربذ) وكانت تسمى العظيم منهم (الاصبهبذ) ومعناه الرئيس والذى دونه (الفادوسبان) ومعناه دافع الأعداء . وتسمى رئيس البلد (المرزبان) وتسمى رئيس الكور (الشهريج) وتسمى أصحاب الحروب وقواد الجيوش (الأساورة وتسمى صاحب المظالم (شاهريشبت) وتسمى صاحب الديوان (المردمارعد) .

ممالك الجربى

وكان ولد عامور بن توبل بن يافث بن نوح - لما قسم فالغ بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح - خرجوا فى يسرة المشرق فقطع قوم منهم ولد ناعوما ناحية الجربى على سمت الشمال فانتشروا فى البلاد فصاروا عدة ممالك وهم : البرجان ، والديلم ، والتبر ، والطيلسان ، وجيلان ، وفيلان

(١) - المسلحة بالفتح مثل الثغر والمرقب وجمعه المسالح وهى مواضع المخافة وفى الحديث كان ادنى مسالح فارس الى العرب العذيب . (تاج العروس)

واللان ، والخزر ، والدودانية ، والأرمن . وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية وعليها ملك يقال له « خاقان » وله خليفة يقال له « يزيد بلاش » على الران وجرزان والبسفرجان والسيسجان ، وكانت هذه الكور تسمى أرمينية الرابعة التى فتحها قباذ ملك الفرس فصارت الى انوشروان الى باب اللان مائة فرسخ وفيها ثلاثمائة وستون مدينة ، وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب وطبرسران والبلنجر ، وبنى مدينة قاليقلا ومدناً كثيرة فاسكنها قوماً من أهل فارس ثم غلبت الخزر على ما كانت فارس غلبتهم عليه فاقام فى أيديهم حيناً ثم غلبتهم الروم فملكت على أرمينية الرابعة ملكا يقال له (الموريان) وافترقوا عدة رياسات كل رئيس منهم فى قلعته وحصنه فهى لهم ممالك معروفة .

وقطع قوم من ولد عامور ما وراء النهر ثم افترقوا فى البلاد فصارت ممالك متفرقة وأمم كثيرة فمنهم : الختل ، والقواديان ، والأشروسنة ، والسغد والفرغانة ، والشاس ، والترك ، والخرلخية ، والتغزغز ، والترك الكيماكية والتبت . وفى الترك قوم أصحاب مدر ومدن وحصون وفيهم قوم فى رؤوس الجبال والصحارى كالبدو ولهم شعور طوال ومنازلهم خيام اللبود فاذا غزوا كان فى الخيمة الواحدة عشرون مقاتلا ويرمون فلا يخطئون وبيوتهم متصلة من أول كور خراسان الى جبال التبت وجبال الصين .

وأما التبت فبلد واسع أعظم من الصين ومملكتهم جليلة وهم أصحاب منعة وحكمة يضاهون صنعة الصين ، وفى بلادهم غزلان سررها المسك وهم عبدة أصنام ولهم بيوت نيران وشوكتهم شديدة فليس يحاربهم أحد .

ملوك الصين

ذكرت الرواة وأهل العلم ومن صار الى بلاد الصين فاقام بها الدهر الطويل حتى فهم أمرهم وقرأ كتبهم وعرف أخبار المتقدمين منهم ورأوه فى كتبهم وسمعوه من أخبارهم ومكتوب على أبواب مدنهم وبيوت أصنامهم ومنقور فى الحجارة قد أجرى فيه الذهب - أن أول من ملك الصين (صاين) بن باعور بن يرج بن عامور بن يافث بن نوح بن لمك فانه كان عمل فلكا حكى به فلك نوح فركب فيه ومعه جماعة من ولده وأهله حتى قطع البحر فصار الى موضع استحسنه وأقام به فسمى ذلك الموضع (الصين) باسمه فكثر ولده وتناسلت ذريته فكان ذريته على دين قومه واتصل ملكه ثلاثمائة سنة .

ومنهم (عرون) الذى شيد البنيان وعمل الصنعة واتخذ الهيا كل المذهبة وعمل فيها صورة أبيه وجعلها فى صدر الهيكل فكان اذا دخل سجد لتلك الصورة تعظيماً لصورة أبيه ، وكان لصاين اسم تفسيره بالعربية ابن السماء فمن ذلك الزمان صارت الاوثان تعبد فى بلاد الصين ، وكان ملك عرون مائة وأربعين سنة .

ومنهم (عير) الذى سار فى بلاد الصين طولا وعرضاً وبنى المدن العظام وشيد القباب من الجزلان والنحاس المذهب وعمل صورة أبيه من ذهب مكلل بالجوهر والرصاص والنحاس المزوق فاتخذها أهل مملكته جميعاً فى مدنهم وبلدانهم وقالوا ينبغى للرعية أن تعمل صورة ملك قد ملكها من السماء وعدل فيها ، واتصل ملك عير مائة وثلاثين سنة .

ومنهم (عيزان) الذى سام أهل مملكته سوء العذاب ونفاهم الى جزائر البحر فكانوا يصيرون من تلك الجزائر الى مواضع فيها الثمار ليأكلوا منها فيجدون بها الوحوش ولم يزالوا كذلك حتى أنسوا بالوحوش وأنست بهم وكانوا ينزون عليها وربما نزت تلك على نسائهم فيأتى بينهم الخلق المشوهة

وباد القرن الأول وأتى قرن بعد قرن فذهبت عنهم لغاتهم وصاروا يتكلمون ما لا يفهم ففى الجزائر التى تجتاز منها الى أرض الصين أمر عظيم من هـــذا الضرب وأمم كثيرة ، وكان يسمى عينان اسماً تفسيره بالعربية خلقه الشر . وكان ملكه مائة سنة .

ومنهم (خرابات) الذى ملك وهو حدث السن ثم احتنكت سنه فعلا أمره وحسن تدبيره ووجه بوفد من قبله الى أرض بابل وما اتصل بها من بلاد الروم يتعرفون ما فيها من الحكمة والصنعة وحمل معهم من صنعة الصين وما يعمل بها من ثياب الحرير وغيره وما يؤتى به من تلك البلاد من الآلات وغيرها وأمرهم أن يحملوا اليه كل صنعة وظريفة من أرض بابل وبلاد الروم وان يتعرفوا شرائع دين القوم فكان ذلك أول ما دخل من متاع الصين للتجارة وذلك أن الملوك استظرفت ما أتاهم من متاع الصين فعملوا المراكب وحملوا فيها التجارة فكان ذلك أول دخول التجار الى الصين وكان ملك خرابات ستين سنة .

ومنهم (توتال) وأهل الصين يقولون إنهم وجدوا مكتوباً على أبواب مدنهم أنه لم يملكهم ملك قط مثله ورضوا به رضاً لم يرضوا مثله بأحد قط ، وهو الذى سن لهـــم كل سنة هم عليها فى أديانهم وأفعالهم وصناعاتهم وشرائعهم وأحكامهم ، وكان ملكه ثمانى وسبعين سنة فلما مات أقاموا يبكون عليه زمـاناً طويلا ويحملونه على أسرة الذهب وعجل الفضة ثم جمعوا له العود والعنبر والصندل وسائر الطيب وألهبوه بالنار وطرحوه فيها وجعل خاصته يلقون أنفسهم فى تلك النار أسفاً عليه ووفاء له وصار هذا سنة فيهم وجعلوا صورته على دنانيرهم وهم يسمون الدنانير (الكونح) وعلى أبواب منازلهم الصور .

وبلاد الصين بلاد واسعة فمن أراد الصين فى البحر قطع سبعة أبحر كل بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هو فى البحر الذى يليه .

(فأولها) بحر فارس الذى يركب فيه من سيراف وآخره رأس الجمجمة وهو ضيق فيه مغائص اللؤلؤ ، والبحر (الثانى) الذى مبتدأه من رأس الجمجمة يقال له « لاروى » وهو بحر عظيم وفيه جزائر « الوقواق » وغيرهم من الزنج وفى تلك الجزائر ملوك . وإنما يسار فى هذا البحر بالنجوم وله سمك عظيم وفيه عجائب كثيرة وأمور لاتوصف ، ثم البحر (الثالث) الذى يقال له « هركند » وفيه جزيرة « سرنديب » وفيه الجوهر والياقوت وغيره ولها جزائر فيها ملوك ولهم ملك عليهم ، وفى جزائر هذا البحر الخيزران والقنا والبحر «الرابع» يقال له « كلاه بار » وهو بحر قليل الماء وفيه حيات عظام وربما ركبت الريح فيه فقطعت المراكب وفيه جزائر فيها شجر الكافور ، والبحر «الخامس» يقال له «سلاهط» وهو بحر عظيم كثير العجائب ، والبحر « السادس » يقال له « كردنج » وهو كثير الامطار ، والبحر « السابع » يقال له «بحر صنجى» ويقال له أيضاً « كنجلى » وهو بحر الصين وإنما يسار فيه بريح الجنوب حتى يصيروا الى بحر عذب عليه المسالح والعمران حتى ينتهوا الى مدينة « خانفو » .

ومن أراد الصين على البر فانه سار فى نهر بلخ وقطع بلاد السغد وفرغانة والشاش والتبت حتى يصير اليها ، والملك فى حصن له منفرد وصاحب شرطته خادم وصاحب خراجه خادم وصاحب حرسه خادم وصاحب أخباره خادم وأكثر أعوانه الخدم وهم ثقاته ، وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية لأنهم لايدعون رجلا بغير صناعة فاذا تعطل عن العمل بعلة أو هرم أنفقوا عليه من مال الملك ، وهم يعظمون أمواتهم ويطول حزنهم عليهم ، وأكثر عقوباتهم القتل فهم يقتلون على الكذب ويقتلون على السرقة ويقتلون على الزنا إلا قوماً معروفين ، ومن تظلم من عامل الأعمال فصحت مظلمته قتل ذلك العامل وإلاّ قتل المتظلم منه إن كان كاذباً مبطلا ، وحدود الصين من البر ثلاثة حدود ومن البحر حد واحد (فالحد الاول) الترك والتغزغز ولم تزل بينهم حروب

متصلة ثم اصطلحوا وتصاهروا (والحد الثانى) التبت وبين التبت والصين جبل عليه مسالح يحترسون من التبت ، ومسالح للتبت يحترسون من الصين وهم ما بين حد البلدين (والحد الثالث) الى قوم يقال لهم « المانساس » لهم مملكة منفردة وهم فى بلادواسعة (ويقال) إن سعة بلادهم طول عدة سنين فى عرض مثل ذلك لا يعرف أحد من وراءهم وهم قوم يقاربون أهل الصين ، والحد الواحد الذى يلى البحر فمنه يأتى المسلمون على ما ذكرنا من عدد البحور .

وديانتهم عبادة الأوثان والشمس والقمر ، ولهم أعياد لأصنامهم أعظمها عيد فى أول السنة يقال له (الزارار) يخرجون الى مجمع ويعدون فيه الأطعمة والأشربة ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم وعلى جميع شهواته وتمكن من كل ما يريد فيتقدم الى ذلك الصنم وقد صير على أصابع يده شيئاً يشعل بالنار ثم يحرق أصابعه بالنار ويسرجها بين يدى ذلك الصنم حتى يحترق ويقع منها ميتاً فيقطع فمن نال منه شظية أو خرقة من ثيابه فقد فاز . ثم يأتون برجل آخر يريد أن يحبس نفسه للصنم للسنة المجددة فيقف موضعه ويلبس الثياب ويضرب عليه بالصنوج ثم يفترقون فيأكلون ويشربون ويقيمون أسبوعاً وينصرفون وهذا الشهر الذى هذا العيد فيه تسميه جناح وهو أول يوم من حزيران ، وللصين حساب أيضاً وتسمى الشهور باسماء مختلفة على حساب قد فهموه فاولها جناح ورداح ورابح ومالح وكسران ونارد ونمرود وكنعان وزاغ وهرا وهرهر وباهر .

ملوك مصر من القبط وغيرهم

وكان بيصر بن حام بن نوح لما خرج من بابل بولده وأهل بيته وكانوا ثلاثين نفساً أربعة أولاد له وهم مصر وفارق وماح وياح ونساؤهم ، فسار بهم الى منف وكان بيصر قد كبر وضعف وكان مصر أكبر ولده وأحبهم اليه فاستخلفه وأوصاه باخوته واقتطع مصر لنفسه وولده مسيرة شهرين من أربعة أوجه وكان منتهى ذلك من الشجرتين بين رفح والعريش الى أسوان طولا ومن برقة الى أيلة عرضاً ، وأقام مصر متملكاً بعد أبيه دهراً وكان له أربعة اولاد وهم (قفط وأشمن وأتريب وصا) فقسم لهم شط النيل وقطع لكل واحد قطيعة يحوزها هو وولده ، ثم ملك بعد مصر قفط ابن مصر ، ثم ملك أشمن بن مصر ، ثم ملك أتريب بن مصر ؛ ثم ملك صا بن مصر ، ثم ملك تدارس بن صا ، ثم ملك ماليق بن تدارس ، ثم ملك حرايا بن ماليق (١) ثم ملك أخوه ماليا بن حرايا ، ثم ملك لوطس بن ماليا ، فلما حضرت لوطس الوفاة ملكت أبنته حوريا فلما حضرت حوريا الوفاة ملكت بنت عمها يقال لها دليقا بنت ماموم ، وكان أولاد بيصر قد كثروا وامتلأت البلاد منهم فلما ملكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشام فغزاهم ملك العمالقة وهو يومئذ الوليد بن دومع ووطىء البلاد فرضوا أن يملكوه عليهم فاقام دهراً طويلا ، ثم ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف ثم ملك آخر من العمالقة يقال له دارم بن الريان ، ثم ملك بعده كاسم بن معدان ثم ملك فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب ، فاختلف الروات فى نسبه (فقالوا) هو رجل من لخم (وقالوا) من

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى العبارة سقط لأن الذى ملك بعد حرايا بن ماليق (كلى) ابن حرايا ثم ملك اخوه ماليا بن حرايا . « م ص »

غيرها من قبائل اليمن (وقالوا) من العمالقة (وقالوا) من قبط مصر يقال له (ظلما) وهو الذى كان من أمره مع موسى ما قد قصه الله جل وعز ، فعاش عمراً طويلا وعتا وبغى حتى قال أنا ربكم الأعلى ثم غرقه الله وجنوده فى بحر القلزم فلما غرقّ الله فرعون ومن معه لم يبق فى البلد إلا الذرية والعبيد والنساء فاجتمع رأيهم على أن يملكوا امرأة يقال لها (دلوكه) فخافت أن يتخطى اليها ملوك الأرض فبنت حائطاً يحيط بارض مصر من القرى والمزارع والمدن وعملت أعمالا كثيرة ، وكان ملكها عشرين سنة ، ثم ملك دركون بن بلوطس ، ثم ملك بودس بن دركون ، ثم ملك لقاس بن بودس ، ثم ملك دنيا بن بودس ، ثم ملك نمادس بن مرينا فطغا وعتا فقتلوه ، ثم ملك بلوطس ابن منا كيل ، ثم ملك ماليس بن بلوطس ، ثم ملك نوله بن منا كيل وهو فرعون الأعرج الذى سبي ملك بيت المقدس وصنع ببنى اسرائيل ما لم يصنعه أحد وعتا وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد قبله بعد فرعون فصرعته دابته فدقت عنقه ، ثم ملك مرينوس ، ثم ملك نقاس بن مرينوس ، ثم ملك قومس بن نقاس ، ثم ملك منا كيل (١) اددامه الأعرج وهو (لحسابر سر) الذى غزاه بخت نصر فهزمه وخرب مصر وسبى أهلها فاقاموا بعد ذلك يملكهم الروم فتنصروا فى ذلك الوقت ، ثم غلبت فارس على الشام فى أيام أنوشروان فملكوهم عشرين سنين ، ثم ظهرت الروم فكان أهل مصر يؤدون الى الروم خراجاً ، والى فارس خراجاً يدفعون شر الفريقين ؛ ثم خرجت فارس عن الشام وصار أمرهم الى الروم فدانوا بدين النصرانية ، وكان حكيم القبط هرمس القبطى وهم أصحاب البرابى الذين يكتبون بخط البرابى وهوذا الخط الموجود (. . . . .) وفى دهرنا قد عدم الناس معرفة قراءته والسبب فى ذلك أنه لم يكن يكتب به منهم إلا الخواص وكانوا يمنعون العوام والذين يقومون به منهم حكماؤهم وكهانهم وكانت فيه أسرار دينهم

(١) كذا فى الأصل ، وقد سماه المسعودى فى مروج الذهب (كاميل) (م ص)

وأصول مقالاتهم التى لا يطلعون عليها إلا كهانهم ولا يعلمون بها أحداً إلا أن يأمر الملك بتعليمه فلما قهرتهم الروم وملكتهم بسطوة شديدة وسلطان أبطلوا ما كانوا يقومون به من سعيهم وأعمالهم وحملوهم فى بدء أمورهم على شرائع اليونانيين حتى فسدت لغتهم ومازج كلامهم كلام الروم . ثم تنصرت الروم فحملوهم على التنصر فدرس جميع ما كانوا فيه من أمر دينهم وسنتهم وقتل الروم كهانهم وعلماءهم فهلك من كان يفهم ذلك الكتاب ومنع من بقى منهم من تعليمه والنظر فيه فلذلك ليس يوجد أحد يقرأه منهم ولا غيره ، وكانت ديانتهم عبادة الكواكب والقول بانها مدبرة مختارة وهم أصحاب القضايا بالنجوم وأنها تسعد وتنحس لانهم زعموا أنها آلهتهم التى تحييهم وتميتهم وترزقهم وتسقيهم . وكان من قولهم إن الارواح قديمة كانت فى الفردوس الأعلى وأنه فى كل ستة وثلاثين الف سنة يفنى جميع ما فى العالم إما من تراب - يريدون الأرض وزلزلتها وخسوفها - او من نار وإحراق وسموم مهلك وإما من ريح هواء ردى فاسد غليظ عام يسد الأنفاس لغلظه فيهلك الحيوان ويتلف الحرث والنسل ثم يحيي الطبيعة من كل جنس من أجناس الحرث والنسل ويرجع العالم بعد فساده وكانت عندهم أن هذه الارواح آلهة تنزل فتصير فى الاصنام فتتكلم الأصنام لذلك ، وإنما كانوا يخدعون عوامهم بذلك ويسترون العلة التى بها كانت تتكلم أصنامهم وهى بصنعة ، كان كهانهم يصنعونها وعقاقير يستعملونها وحيل يحتالونها حتى تصفر وتصيح بصنعة يحكون بها من حلقة الصنم كخلقة الطير أو البهيمة فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان ثم يترجم كهانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون القضاء به مما قد اتفقوا به من حساب النجوم وعلم الفراسة ، ويخبرون أن الأرواح اذا خرجت صارت الى هذه الآلهة التى هى الكواكب فتغسلها وتطهرها إن كانت لها ذنوب ثم تصعد الى الفردوس وحيث كانت ، ويقولون إن أنبياء هم كانوا يكلمونهم الكواكب ويعلمونهم

بأن الأرواح تنزل الى الأصنام فتسكن فيها وتخبر بالحادث قبل أن يحدث وكانت لهم فطنة عجيبة دقيقة يوهمون بها العوام أنهم يكلمون الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث ولم يكن ذلك إلا لجودة علمهم بالأسرار التى للطوالع وصحة الفراسة فلم يكونوا يخطئون إلا القليل ، وادعوا علم ذلك عن الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث وهذا باطل غير معقول ؛ ثم ملكهم اليونانيون فدخلوا فى ملتهم ثم ملكهم الروم فتنصروا .

وكانت مملكة القبط أرض مصر ، فمن كور الصعيد منف ووسيم والشرقية والقيس والبهنسا وأهناس ودلاص والفيوم وأشمون وطحا وأبشاية وهو وقفط والاقصر وأرمنت ؛ ومن كور أسفل الأرض أتريب وعين شمس وتنوا وتمى وبنا وبوصير وسمنود ونوسا والأوسية والبجوم وبسطة وطرابية وقربيط وصان وإبليل وسخا وتيدة والأفراحون ونقيزة والبشرود وطوة ومنوف العليا ومنوف السفلى ودمسيس وصا وشباس والبذقون وإخنا ورشيد وقرطسا وخربتا وترنوط ومصيل ومليدش .

والقبط تحسب سنيها على ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشهورها اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً ولها خمسة أيام تسميها النسيء ؛ فاول شهور القبط الذى يجعلونه رأس سنتهم « توت » ويسمون أول يوم منه « نيروز » وتقول إن فيه ابتداء عمارة الأرض ، وهذه اسماء شهورهم (توت بابه هتور كيهك طوبه امشير برمهات برموذه بشنش بونة ابيب مسرى) وكانت الخمسة الأيام التى ينسئونها بين مسرى وتوت . والخط الذى تكتب به القبط بين اليونانى والرومى وهو على هذا الرسم (١) .

---

(١) ـ لم يذكر فى الأصل رسم الخط القبطى . (م . ص)

ممالك البربر والأفارقة

وكانت البربر والأفارقة ـ وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح ـ لما ملك إخوتهم بارض مصر فاخذوا من العريش الى أسوان طولا ومن أيلة الى برقة عرضاً ـ خرجوا نحو المغرب فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بارض المغرب فاول من يملك منهم (لواته) فى أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة ، وملكت (مزانه) فى أرض يقال لها ودان فنسب هؤلاء القوم الى أبيهم ، وجاز قوم منهم الى بلد يقال لها تورغة فملكوا هناك وهم هواره . وسار آخرون الى بلاد ارميك وهم بذرعة وسار قوم الى طرابلس يقال لهم المصالين ، وجاز قوم الى غربى طرابلس يقال لهم وهيله . ثم استطالت بهم الطريق فاخذ قوم الى القيروان يقال لهم برقشانه وأخذ آخرون ذات الشمال فصاروا الى تاهرت وهم الذين يقال لهم كتامه وعجيسه ، وأخذ قوم آخرون الى سجلماسة وهم الذين يقال لهم نفوسة ولمايه وأخذ قوم الى جبال هكان وهم الذين يقال لهم لمطه ويسمون العيالات وهم فى بادية فى غير مساكن ، وأخذ قوم الى طنجة يقال لهم مكناسة ، وأخذ قوم الى السوس الأقصى وهم الذين يقال لهم مداسه ، وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة بانهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار ، وقال آخرون إنهم من جذام ولخم وكانت مساكنهم فلسطين فأخرجهم بعض الملوك ، ولما صاروا الى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل ثم غربوا فانتشروا فى البلاد ، وقال آخرون إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن الى أقاصى المغرب ، وكل قوم ينصرون رواياتهم والله أعلم بالحق فى ذلك .

ممالك الحبشة والسودان

وكان ولد حام بن نوح قصدوا عند تفرق ولد نوح من أرض بابل الى المغرب فجازوا من عبر الفرات الى مسقط الشمس ، وافترق ولد كوش بن حام - وهم الحبشة والسودان لما عبروا نيل مصر - فرقتين فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والحبشة والزنج ، وقصدت فرقة المغرب وهم زغاوة والحبس والقاقو والمريون ومرندة والكوكو وغانه ، فاما النوبة لما صارت فى الجانب الغربى من النيل وتجاوزت مملكة القبط - وهم ولد بيصر بن حام بن نوح - تملكوا هناك فصارت النوبة مملكتين (فاحداهما) مملكة الذين يقال لهم (مقرة) وهم فى شرق النيل وغربه ومدينة مملكتهم « دنقلة » وهم الذين سالموا المسلمين وأدوا اليهم البقط (١) وبلادهم بلاد نخل وكرم وزرع واتساع المملكة شبيه بشهرين (والمملكة الثانية) من النوبة الذين يقال لهم (علوة) أعظم خطراً من مقرّة ، ومدينة مملكتهم يقال لها « سوبة » ولهم بلاد واسعة شبيهة بثلاثة أشهر والنيل متشعب عندهم فى عدة خلجان .

مملكة البجة

وهم بين النيل والبحر ولهم عدة ممالك فى كل بلد ملك منفرد (فأول مملكة) البجة من حد « أسوان » وهى آخر عمل المسلمين من التيمن بين المشرق والمغرب الي حد « بركات » وهم الجنس الذى يقال لهم « نقيس » ومدينة المملكة يقال لها

(١) - البقط بفتح الباء الموحدة وسكون القاف المعجمة ثم الطاء المهملة أن تعطي الرجل البستان على الثلث أو الربع . (م . ص)

(هجر) ولهم قبائل وبطون كما تكون للعرب فمنهم (الحدرات وحجاب والعماعر وكور ومناسه ورسمه وعرريعه والزنافج) وفى بلادهم المعادن من التبر والجوهر والزمرد ، وهم مسالمون المسلمين ، والمسلمون يعملون فى بلادهم فى المعادن (والمملكة الثانية) من البجة مملكة يقال لها (بقلين) كثيرة المدن واسعة يضارعون فى دينهم المجوس والثنوية فيسمون الله عز وجل (الزسجير الأعلى) ويسمون الشيطان (صحى حراقه) وهم الذين ينتفون لحاهم ويقلعون ثناياهم ويختتنون وبلادهم بلاد مطر . ثم (المملكة الثالثة) يقال لها (بازين) وهم يتاخمون مملكة علوة من النوبة ويتاخمون بقلين من البجة ويحاربون هؤلاء وزرعهم الذى يأ كلونه (. . . . . .) وهو طعامهم واللبن (المملكة الرابعة) يقال لها (جارين) ولهم ملك خطير ومملكة ما بين بلد يقال له (باضع) وهو ساحل البحر الأعظم الى حد بركات من مملكة بقلين الى موضع يقال له (حل الدجاج) وهم قوم يقلعون ثناياهم من فوق وأسفل ويقولون لا يكون لنا أسنان كأسنان الحمير وينتفون لحاهم (والمملكة الخامسة) يقال لها (قطعة) وهى آخر ممالك البجة ومملكتهم واسعة من حد موضع يقال له باضع الى موضع يقال له فيكون . ولهم حد شديد وشوكة صعبة ولهم دار مقاتلة يقال لها (دار السوا) فيها أحداث شباب جلد مستعدون للحرب والقتال ، ثم (المملكة السادسة) وهى مملكة النجاشى وهو بلد واسع عظيم الشأن . ومدينة المملكة (كعبر) ولم تزل العرب تأتى اليها للتجارات ولهم مدن عظام وساحلهم (دهلك) ومن فى بلاد الحبشة من الملوك فهم من تحت يد الملك الأعظم يعطونه الطاعة ويؤدون اليه الخراج ، والنجاشى على دين النصرانية اليعقوبية ، وآخر مملكة الحبشة الزنج وهم يتصلون بالسند وما ضارع هذه البلدان ويتصل أيضاً بما دون الزنج مما يتاخم السند والكرك ، وهم قوم لهم حساب واجتماع قلوب .

وأما السودان الذين غرّبوا وسلكوا نحو المغرب وأنهم قطعوا البلاد

فصارت لهم عدة ممالك (فأول) ممالكهم (الزغاوة) وهم النازلون بالموضع الذي يقال له (كانم) ومنازلهم أخصاص القصب وليسوا بأصحاب مدن ويسمى ملكهم (كاكره) ومن الزغاوة صنف يقال لهم (الحوضين) ولهم ملك هو من الزغاوة (ثم مملكة) أخرى يقال لهم (ملل) وهم يبادون صاحب كانم ويسمى ملكهم ميوسى (ثم مملكة) الحبشة ، ولهم مدينة يقال لها (ثبير) ويسمى ملك هذه المدينة (مرح) ويتصل بهم القاقو إلا أنهم معوابن وملكهم ملك ثبير (ثم مملكة) الكوكو وهى أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً وكل الممالك يعطى لملكها الطاعة ، والكوكو اسم المدينة ، ودون هـــذا عدة ممالك يعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم فمنهم (مملكة المرو) وهى مملكة واسعة وللملك مدينة يقال لها الحياء ومملكة مردبه ، ومملكة الهربر ، ومملكة صنهاجة ، ومملكة نذكرر ، ومملكة الزيانير ، ومملكة ارور ومملكة تماروت ، فهذه كلها تنسب الى مملكة الكوكو ، ثم مملكة ، غانه وملكها أيضاً عظيم الشأن وفى بلاده معادن الذهب وتحت يده عدة ملوك فمنهم مملكة عام ومملكة سامه ، وفى هذه البلاد كلها الذهب .

ملوك اليمن

ذكرت الرواة ومن يدعى العلم بالأخبار وأحوال الأمم والقبائل أن أول من ملك من ولد قحطان — بن هود النبى ابن عابر بن شالح بن ارنخشد بن سام بن نوح — (سبا) بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبا عبد شمس لأنه كان أول من ملك من ملوك العرب وسار فى الأرض وسبى السبايا ، وكان يعرب بن قحطان أول من حيى بأنعم صباحاً أبيت اللعن .

ثم ملك بعد سبا (حمير) بن سبا واسم حمير زيد . وكان أول ملك لبس التاج من الذهب مفصصاً بالياقوت الأحمر .

ثم ملك بعد حمير أخوه (كهلان) بن سبا فطال عمره حتى هرم .

ثم ملك بعد كهلان (ابو مالك) بن عمیکرب بن سبا فدام ملكه ثلاثمائةسنة .

ثم ملك بعد ابى مالك (حنادة) بن غالب بن زيدبن كهلان ، وكان أول من صنع السيوف المشرفية وكان يصنع الطعام للجن بالليل ، وملك مائة وعشرين سنة .

وملك بعد حنادة (الحارث) بن مالك بن افريقيس بن صيفى بن يشجب بن سبا مائة وأربعين سنة .

ثم ملك بعد الحارث بن مالك (الرائش) وهو الحارث بن شداد بن ملطاط ابن عمرو بن ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبا ، وهو أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم من غيرها فسمى الرائش فغلب اسمه ، وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة .

ثم ملك بعد الرائش ابنه (أبرهة) بن الرائش وهو أبرهة ذو منار وذلك أنه صار الى ناحية المغرب وكان إذا غلب على بلد ضرب عليها النار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .

ثم ملك بعد أبرهة ابنه (افريقيس) بن أبرهة فسلك سبيل أبيه ، وكان ملكه مائة وأربعا وستين سنة .

ثم ملك بعد افريقيس أخوه (العبد) بن أبرهة وكان يسمى ذا الاذعار لأنه ذعر العدو، وكان يأتى بقوم عجيبة خلقهم ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة .

ثم ملك بعد ذى الاذعار (الهدهاد) بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك بعد الهدهاد (زيد) وهو تبع الأول بن نيكف فطال عمره وطغا

وبغى وعتا (فيزعم الرواة) أنه ملك أربعمائة سنة ثم قتلته بلقيس .

وملكت (بلقيس) بنت الهدهاد بن شرحبيل فكان ملكها مائة وعشرين سنة ثم كان من أمرها مع سليمان ما كان فصار ملك اليمن له (سليمان بن داود) ثلاثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك (رحبعم) بن سليمان بن داود عشر سنين ثم رجع الامر الى حمير فملك (ياسر ينعم) (١) بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل واشتد سلطانه فكان ملكه خمساً وثمانين سنة .

ثم ملك (شمر) بن افريقيس بن أبرهة ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم ملك (تبع) الاقرن بن شمر بن عميد فغزا الهند وأراد أن يغزوا الصين وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة .

ثم ملك (ملكيكرب) بن تبع فغزا البلاد ففرق قومه فى أقاصى الارض ونقلهم الى سجستان وخراسان واجتمعوا عليه فقتلوه ، وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك (حسان) بن تبع فاقام زماناً لا يغزوا ، ثم وقع بين طسم وجديس ما وقع فسار اليهم تبع فلما قرب منهم قال له رجل من طسم كان معه إن معهم أمرأة يقال لها « اليمامة » تنظر فلا تخطىء فاخاف أن تنذرهم فامر أصحابه فقطعوا من شجر الزيتون وقال ليحمل كل واحد منكم غصناً عظيماً من الزيتون خلفه فحمل كل غصناً عظيما فلما نظرت قالت أرى شجراً يمشى قالوا وهل تمشى الشجر ؟ قالت نعم ورب كل حجر ومدر ، وإنها لخلف رجال حمير ، فكذبوها وصبحهم حسان فقتلهم .

وملَّه قومه وثقلت عليهم وطأته فواطئوا أخاه عمرو بن تبع على قتله

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب وغيره اسماه (ناشر النعم) وقال إنه ابن يعفر بن عمروا . (م . ص)

خلاذى رعين فانه نهى عن ذلك فقتله ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك (عمرو) بن تبع بعد أن قتل أخاه فذهب عنه النوم وتنغص عيشه فقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى بلغ الى ذى رعين فقال قد أشرت عليك أن لا تفعل فكتبت بيتى شعرهما عندك وكان قد دفع اليه رقعة فيها :

ألا من يشترى سهراً بنوم   سعيد من يبيت قرير عين

فأما حمير غدرت وخانت   فمعذرة الإله لذى رعين

وكان ملك عمرو أربعاً وستين سنة .

ثم ملك (تبع) بن حسان بن بحيلة بن كليكرب بن تبع الاقرن ، وهو أسعد ابو كرب وهو الذى سار من اليمن الى يثرب وكان القطيون قد تملك على الأوس والخزرج فسامهم سوء العذاب فخرج مالك بن العجلان الخزرجى فشكا ذلك الى تبع فاعلمه غلبة قريظة والنضير عليهم فساق تبعاً اليهم فقتل من اليهود ، وكان تبع خلف ابناً له بين أظهرهم فقتلوه فزحف اليهم وحاربهم وكان رئيس الأنصار عمرو بن طلحة الخزرجى من بنى النجار وكانوا يحاربونه بالنهار ويقرونه بالليل فيقول إن قومنا لكرام وجمع عظماء اليهود وقال إنى مخرب هذه البلدة - يعنى المدينة - فقالت الأحبار وعظماء اليهود إنك لاتقدر على ذلك قال ولم ؟ قالوا لأنها لنبى من بنى اسماعيل يكون مخرجه من عند البيت المحرم فخرج وأخرج معه قوماً من أحبار اليهود فلما قرب من مكة أتاه نفر من هذيل فقالوا له إن هذا البيت الذى بمكة فيه أموال وكنوز وجوهر فلو أتيته فاخذت ما فيه وإنما أرادوا أن يفعل فيهلكه الله (وقيل) إنما أشار عليه قوم أن يهدمه ويحول حجارته الى اليمن فيبنى بها هناك بيتاً تعظمه العرب فدعا تبع أحبار اليهود فذكر ذلك لهم فقالوا ما نعلم لله بيتاً فى الأرض غير هذا البيت وما أراده أحد بسوء إلا أهلكه الله . واعترضته علة فى ليلته فقال له الأحبار إن كنت أضمرت لهذا البيت مكروها فارجع عنه وعظمه فرجع عما كان أضمر فاذهب الله عنه

العلة فقتل من أشار عليه بهدمه وطاف به وعظمه ونحر وحلق رأسه ورأى فى النوم أن اكسه فكساه الخصف فتجافى فرأى فى نومه أن اكسه فكساه الملاء المعضد وقال شعراً فيه :

وكسونا البيت الذى حرمّ اللـــه ملاءً معضـــداً وبرودا

ونحرنا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس نحوهن ورودا

وأمرنا أن لا نقرب للكعـ بة ميتاً ولا دماً مصفودا

ثم طفنا بالبيت سبعاً وسبعاً وسجدنا عند المقام سجودا

وأقمنا فيه من الشهر سبعاً وجعلنـــا لبابه إقليـــدا

ثم رجع إلى اليمن ومعه الأحبار من اليهود فتهود هو وقومه ، وكان ملكه ثمانى وسبعين سنة ، ثم تفرغت ملوك قحطان وملكوا أقواماً متفرقين منهم (عمرو) ابن تبع ثم نزعوه وملكوا (مرثد) بن عبد كلال أخاه تبع لأمه فاقام أربعين سنة ثم ملك (وليعة) بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة ، ثم ملك (أبرهة) ابن الصباح وكان من أحكم ملوك اليمن وأغلظهم وكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة ، ثم ملك (عمرو) بن ذى قيقان . ثم ملك (ذو الكلاع) ثم ملك (لخيعة) ذو شناتر فكان من أخبث ملوك حمير وأرداها وكان يعمل عمل قوم لوط يبعث الى الغلام من أبناء الملوك فيلعب به ثم يتطلع فى غرفة له وفى فمه السواك حتى بعث الى ذى نواس بن أسعد ليلعب به فدخل ومعه سكين فلما خلا به وثب عليه ذوالنواس وقتله وحزرأسه وصيره فى الموضع الذى يتطلع منه فلما خرج صاح به من فى الباب من الجيش يا ذا نواس لا باس ، فقال الباس على صاحب الراس، فنظروا فاذا به قد قتله فملكوا ذا نواس ، وكان ملك ذى شناتر سبعاً وعشرين سنة .

وملك (ذو نواس) بن أسعد وكان اسمه (زرعة) فمتا وهو صاحب « الأخدود » ، وذلك أنه كان على دين اليهودية وقدم اليمن رجل يقال له (عبدالله)

ابن الثامر وكان على دين المسيح فاظهر دينه باليمن وكان إذا رأى العليل والسقيم قال أدعوا الله لك يشفيك وترجع عن دين قومك فيفعل ذلك. فكثر من اتبعه وبلغ ذانواس فجعل يطلب من قال بهذا الدين ويحفر لهم فى الأرض الأخدود ويحرق بالنار ويقتل بالسيف حتى أتى عليهم . فسار رجل منهم الى النجاشي وهو على دين النصرانية فوجه النجاشي الى اليمن بجيش عليهم رجل يقال له « أرياط » وهم فى سبعين الفا ومع أرياط فى جيشه « أبرهة الأشرم » فسار اليه ذو نواس فلما التقوا انهزم ذو النواس فلما رأى ذو نواس افتراق قومه وانهزامهم ضرب فرسه واقتحم به البحر فكان آخر العهد به ، وكان ملك ذى نواس ثمانى وستين سنة . ودخل أرياط الحبشى اليمن فاقام بها عدة سنين ثم نازعه أبرهة الأشرم الأمر فافترقت الحبشة مع أرياط طائفة وخرجا للحرب وسار كل واحد الى صاحبه فلما التقوا قال أبرهة لأرياط ما نصنع يا أرياط بان نقتل الناس بينى وبينك أبرز إلى وأبرز اليك فاينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده عنه فبرز كل واحد الى صاحبه فضربه أرياط بالحربة فشرم عينيه وضربه غلام لأبرهة فقتله واجتمعت الحبشة باليمن على أبرهة فلما بلغ النجاشى غضب وحلف ليطأن أرضه برجله أو ليجزن ناصيته فحلق أبرهة رأسه وبعث بها اليه وبجراب من تراب أرضه وقال إنما أنا عبدك وأرياط عبدك اختلفنا فى أمرك وكل طاعته لك فرضى عنه ، وخرج سيف بن ذى يزن الى قيصر يستجيش على الحبشة فاقام قبله سبع سنين ثم رده وقال هم قوم على دين النصرانية لا أحاربهم فسار الى كسرى فوجه باهل السجون ووجه معهم رئيساً يقال له (وهرز) فلما قدم البلد حارب الحبشة فقتل أبرهة الحبشى وغلب على البلد ، ثم ملك سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح وسيف الذى يقول فيه أمية بن أبى الصلت :

لا يطلب الثار إلا ابن ذى يزن   أقام فى البحر للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته   فلم يجد عنده الأمر الذى قالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة من السنين لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم إذهب اليك لقد أسرعت قلقالا

وكانت ملوك اليمن يدينون بعبادة الاصنام فى صدر من ملكهم ثم دانوا بدين اليهود وتلوا التوراة وذلك أن أحباراً من اليهود صاروا اليهم فعلموهم دين اليهودية ولم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد ثم يرجعوا الى دار ملكهم .

وكور بلاد اليمن تسمى مخاليف، وهى أربعة وثمانون مخلافاً وهذه أسماؤها: (اليحصبين ، ويكلا ، وذمار ، وطمؤ ، وعيان ، وطام ، وهمل ، وقدم وخيوان ، وسنحان ، وريحان ، وجرش ، وصعدة ، والأخروج ومجيح ، وحراز ، وهوزن ، وقفاعة ، والوزيرة ، والحجر ، والمعافر وعنه ، والشوافى ، وجبلان ، ووصاب ، والسكون . وشرعب ، والجند ومسور ، والثجة ، والمزدرع ، وحيران ، ومأرب ، وحضور ، وعلقان وريشان ، وجيشان والنهم ، وبيش ، وضنكان . وقربى ، وقنونا ، ورنية وزنيف ، والعرش ، والخصوف ، والساعد . وبلجة ، والمهجم والكدراء ، والمعقر ، وزبيد ، ورمع ، والركب . وبنى مجيد ، ولحج وأبين ، والواديين ، وألهان ، وحضر موت . ومقرى . وحيس وحرض ، والحقلين . وعنس . وبنى عامر . ومأذن . وحملان . وذى جرة . وخولان . والسرو . والدثينة وكبيبة . وتبالة)

ومن السواحل (عدن) وهى ساحل (صنعاء . والمندب . وغلافقة والحردة . والشرجة . وعثر . والحمضة . والسرين . وجدة) .

هذه بلاد مملكة اليمن وبلدانها وكانوا ربما أغاروا على البلدان فيرجعون الى بلادهم واليمن قبائل كثيرة اذا دخلت فيهم قضاعة .

(فقد روى) أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أيما أكثر نزار أو قحطان

قال ما شاب قضاعة . وقضاعة فى هذا الوقت مقيمة على أنها ولد ملك بن حمير .

وهذه جماهير قبائل اليمن مع من دخل فيهم من نزار من قضاعة وجذام ولخم وبجيلة وخثعم . وكان أول من ذكر اسمه وعرف قدره (سبا) بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فمن ولده كهلان بن سبا وحمير بن سبا . فمن قبائل كهلان (طيء) بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان (والأشعر) بن أدد بن زيد (وعنس) بن قيس بن الحارث بن مرة بن أدد (وجذام ولخم وعاملة) وهم بنو عمرو بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد (ومذحج) بن أدد بن زيد ابن عريب بن كهلان . فمن قبائل مذحج سعد العشيرة (١) بن مذحج . ومراد ابن مذحج . والنخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج . وحكم وجعفى ابنا سعد العشيرة بن مذحج . وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج وزبيد بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج (وهمدان) واسمه أوسلة بن خيار ابن ربيعة ابن مالك بن زيد بن كهلان (وخثعم وبجيلة) ابنا أنمار بن نزار بن عمر وابن الحبار بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان (والأزد) بن الغوث ابن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان . فمن قبائل (الأزد) عك بن عدثان (٢) ابن الذنب ابن عبد الله بن الأزد . على أن عكا تنسب الى عدنان بن أدد والعتيك بن أسد بن عمرو بن الأزد . وغسان وهو مازن بن الأزد . فمن قبائل غسان (خزاعة) وهو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن غسان (. . . . .) بن وادعة بن عمران بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس (والأوس والخزرج) ابنا حارثة بن ثعلبة بن غسان . قال حسان بن ثابت الانصارى ونحن بنو الغوث بن نبت بن مالك ب * ن

(١) ـ سمى سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل يركبون معه فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى وقاية لهم من العين .

(٢) ـ عدثان بالثاء المثلثة قبل الألف . وقال بعض النسابين هو بالنون (م ص)

زيد بن كهلان وأهل المفاخر. ومن قبائل حمير (قضاعة) وقضاعة فيما يزعم النسابون ابن نزار بن معد بن عدنان وكان نزار يكنى أبا قضاعة . فمن قبائل قضاعة نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة . وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وسليح بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة . وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة والقين بن جسر بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان : وتنوخ وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان فهذه جماهير قضاعة .

ومن حمير بن سبا (الصدف) بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن وائل بن عبد شمس بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع ابن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، والناس فى حضر موت مختلفون (وقد ذكر قوم) أنهم من الأمم الخالية التى تقطعت مثل (طسم وجديس وعاد وثمود وعبس الاولى وأوبار وجرهم) وكان تفرق أهل اليمن فى البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم ، وكان أول ذلك — على ما حملته الرواة — أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الازد كان رئيس القوم وكان كاهناً فرأى أن بلاد اليمن تغرق فاظهر غضبه على بعض ولده وباع مرباعه وخرج هو وأهل بيته فصار الى بلاد « عك » ثم ارتحلوا الى « نجران » فحاربتهم مذحج ثم ارتحلوا عن نجران فمروا (بمكة) وبها يومئذ « جرهم » فحاربوهم حتى أخرجوهم عن البلد فصاروا الى « الجحفة » ثم ارتحلوا الى يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ولحق بهم جماعة من الأزد غير ابنى حارثة فصار بعضهم حلفاء ودخل بعضهم معهم وتفرقت الأزد بيثرب وكانت يثرب منازل اليهود فنازعتهم وغلبتهم اليهود بكثرتهم وقهروهم حتى كان الرجل من اليهود ليأتى منزل الانصارى

فلا يمكنه دفعه عن أهله وماله حتى دخل رجل منهم يقال له الفطيون الى دار مالك بن العجلان فوثب عليه فقتله ثم صار الى بعض ملوك اليمن فشكا اليه ما يلقون من اليهود فسار ذلك الملك اليهم بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة فصلحت حال الأوس والخزرج وغرس النخل وأنشأوا المنازل وسار باقى القوم يأمون الشام حتى صاروا الى أرض « السراة » فاقام أزدشنوءة بالسراة وما حولها وخرج منهم قبائل الى عمان فكان أول من صار منهم الى عمان مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازد . وتزوج مالك بامرأة من عبد القيس فولدت له عدة أولاد (فيقال) إن أصغر ولده قتله كان معه فى إبل له فقام مالك بن فهم يطوف فى الابل فرفع رأسه فتوهمه ابنه سارقاً فرماه فقتله ، وكان يقال لأمه سليمة فيقال إن مالك بن فهم قال :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

ثم لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزد ـ منهم الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم بارق وغالب ويشكر بن قيس ابن صعب ابن دهمان . وقوم من عامر وقوم من حوالة ـ بعمان فلما صاروا بعمان انتشروا بالبحرين وهجر وكان بارض تهامة من الأزد الجدرة وهم من ولد عمرو بن خزيمة ابن جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، وذلك أن عمراً بنى جدار الكعبة فسمى الجادر وسار منهم نفر إلى هراة من أرض خراسان .

وسارت غسان الى الشام حتى نزلت بارض البلقاء وكان بالشام قوم من سليح قد دخلوا ذمة الروم وتنصروا فسألتهم غسان أن تدخل معهم فى ذلك فكتبوا الى ملك الروم فاجابهم ملك الروم إلى ذلك ثم ساء مجاورتهم عامله على

دمشق فحمل عليهم صاحب الروم بجماعة من العرب من قضاعة من قبل ملك الروم ، ثم إن غسان طلبت الصلح فاجابهم ملك الروم وكان رئيس غسان يومئذ جفنة بن عليه بن عمرو بن عامر فتنصرت غسان فاقامت بالشام مملكة من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهنو بن الأزد الى موصل فنزلوها وكان أهل اليمن يرون أن بلدهم يغرق من سد مأرب فحصنوه وحرسوه فلما بعث الله عليهم سيل العرم دخل عليهم الماء من جحر لجرذ كان تحفر فى السد فغرقهم .

ملوك الشام

وكانت الشام دار ملك بنى إسرائيل فيقال إن أول ملك بدمشق (بالغ) ابن بعور ، ثم ملك (يوباب) وهو أيوب بن زارح الصدّيق وكان من خبره ما قد قصه الله عز وجل ثم ملك « ميشوس » وكانت بنو اسرائيل تحاربهم ، ثم ملك « هوسير » من أهل « لذ » ثم انقطعت الممالك فكانت ملوك بنى اسرائيل حتى انقرضوا ، وغلبت الروم على ملكها فخرج القوم عن البلاد فكانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملكوهم فكان أول الملك « لتنوخ » ابن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة فدخلوا فى دين النصرانية فملكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب فكان أول من ملك منهم (النعمان) بن عمرو ابن مالك ثم غلبت بنو سليح وهم بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأقامت بنو سليح زماناً على ذلك فلما تفرقت الأزد وصار من صار منهم الى تهامة ومن صار الى يثرب ومن صار الى عمان وغير ذلك من البلدان فصارت غسان الى الشام فقدموا أرض البلقاء فسألوا سليحاً أن يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم وأن يقيموا فى البلاد لهم مالهم وعليهم ماعليهم

فكتب رئيس سليح وهو يومئذ « دهمان بن العملق » الى ملك الروم وهو يومئذ «نوشر» وكان منزله « أنطاكية » فاجابهم الى ذلك وشرط عليهم شروطاً فاقاموا ثم جرى بينهم وبين ملك الروم مشاجرة بسبب الأتاوة التى يقبضها ملك الروم حتى أن رجلا من غسان يقال له « جذع » ضرب رجلا من أصحاب ملك الروم بسيفه فقتله فقال بعضهم «خذ من جذع ما أعطاك» فذهب مثلا فحاربهم صاحب الروم فاقاموا ملياً يحاربونه « ببصرى » من أرض دمشق ثم صاروا الى « المخفق » فلما رأى ملك الروم صبرهم على الحرب ومقاومتهم جيوشه كره أن تكون ثلمة عليهم وطلب القوم الصلح على أن لا يكون عليهم ملك من غيرهم فاجابهم ملك الروم الى ذلك فملك عليهم « جفنة » بن علبة بن عمرو بن عامر واستقام الذى بينهم وبين الروم وصارت أمورهم واحدة ، وكان أول ملك جل قدره وعلا ذكره من غسان بعد جفنة بن علبة « الحارث » بن مالك بن الحارث بن غضب ابن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن حارثة ابن عدى بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد ، وملك بعده «الحارث» الأكبر ابن كعب بن علبة بن عمرو بن عامر ، وكعب هو جفنة وهو ابن مارية وأمه مارية بنت عاديا بن عامر ثم ملك أخوه « الحارث » الأعرج فنزل الجولان ، ثم ملك أخوه « الحارث » الأصغر ، ثم ملك « جبلة » بن المنذر ، ثم ملك « الحارث » بن جبلة (١) ثم ملك « الأيهم » بن جبلة ، ثم «جبلة » بن الأيهم ، وكان الحارث

(١) ـ كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم وكانوا يهابون سطوته ويعجبون بشجاعته وقد بالغوا فى تقريبه وترقيته والخلع عليه حتى سموه ملكا وبطريقاً ، وبلغ من شهرته فى الشجاعة وشدة البأس حتى كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه فاذا بكى أو تمرد قالت له أمه (اسكت وإلا انيتك بالحارث بن جبلة) وهو الذى وقعت بينه وبين المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء اللخمى المعركة الهائلة التى يسميها العرب (يوم ذات الخيار) او (عين اباغ) فكان من جرائها قتل المنذر ودخول قنسرين —

ابن أبي شمر بن الايهم ملكا بالأردن وكان منزل جبلة دمشق ، وفى جبلة بن الأيهم وأهله يقول حسان بن ثابت :

لله دُر عصـــابة نادمتهم ❊ يوماً (بجلق) فى الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ❊ شم الأنوف من الطراز الاول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ❊ قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ❊ لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم ❊ بردى يصفق بالرحيق السلسل

ملوك الحيرة من اليمن

قالت الرواة وأهل العلم إنه لما تفرّق أهل اليمن قدم (مالك) بن فهم ابن غنم بن دوس حتى نزل العراق فى أيام ملوك الطوائف فاصاب قوماً من العرب من معد وغيرهم بالجزيرة فملكوه عشرين سنة ثم أقبل (جذيمة) الابرش فتكهن وعمل صنمين يقال لهما « الضيزنان » ، فاستهوى أحياء من أحياء العرب حتى صار بهم الى أرض العراق ونها دار أياد بن نزار وكانت ديارهم بين أرض الجزيرة الى أرض البصرة فحاربوه حتى اذا صار الى ناحية يقال لها «بقة» على شط الفرات بالقرب من الأنبار وكانت تملك الناحية إمرأة يقال لها «الزباء» ملكت تلك الناحية وكانت شديدة الزهادة فى الرجال فلما صار جذيمة الى أرض الأنبار واجتمع له من أجناده ما اجتمع قال لأصحابه إنى قد عزمت على أن أرسل الى الزباء فاتزوجها وأجمع ملكها الى ملكى فقال غلام له يقال له قصير إن الزباء لو كانت ممن تنكح الرجال لسبقت اليها فكتب اليها وكتبت اليه أن أقبل إلى

— فى حوزة الحارث بعد ان قتل بعض ابنائه ، والمنذر هذا هو صاحب (الغريين) ويومى البؤس والنعيم ، وهى القصة المشهورة التى ذكرها ياقوت فى معجم البلدان فى مادة (الغريان) وذكرها غيره من المؤرخين . (م . ص)

أزوجك نفسي فارتحل اليها فقال له قصير لم أر رجلا يزف الى امرأة قبلك وهذه فرسك (العصا) قد صنعتها فاركبها وانج بنفسك فلم يفعل فلما دخل عليها كشفت عن فخذها فقالت : أدأب عروس ترى قال : دأب فاجرة ، بظراء غادرة فقطعته الزباء وركب قصير الفرس (العصا) ونجا ، ولما قتل جذيمة ملك مكانه ابن أخته (« عمرو » بن عدى) بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن حارث بن مالك ابن عمم (١) بن نمارة بن لخم فقال قصير لعمرو لاتعصني أنت قال قل مابدالك قال اجدع انفي واقطع أذني وخلني ففعل ذلك فصار الى الزباء وقال إني كنت من النصح لجذيمة على ما رأيت ولعمرو ابن اخته حتى ملكته فكان جزائي عنده أن فعل بي ما ترين فجئتك لأكون في خدمتك ولعل الله أن يجرى قتل عمرو على يدك ولم يزل يحتال لها حتى وجهته في تجارة فاتاها باموال كثيرة مرة بعد مرة فاعجبها ذلك فوثقت به فلما استحكمت ثقتها به صار الى عمرو فقال أقعد الرجال في الصناديق فحمل أربعة آلاف رجل على الفي جمل معهم السيوف ثم أدخلهم مدينتها وفيهم عمرو وفرق الصناديق في منازل أصحابها وأدخل عدة منها دارها فلما كان الليل خرجوا وقتلوا الزباء وخلقاً من أهل مملكتها ، وملك عمرو بن عدى خمساً وخمسين سنة ؛ ثم ملك (امرؤ القيس) ابن عمرو خمساً وثلاثين سنة ، ثم ملك أخوه (الحارث) بن عمرو سبعاً وثمانين سنة ، ثم ملك (عمرو) بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى أربعين سنة ، ثم ملك (المنذر) بن امرىء القيس وهو المحرق ، وإنما سمى محرقاً لأنه أخذ قوماً حاربوه فحرقهم فسمى لذلك محرقاً ثم ملك (النعمان) وهو الذى (٢) بنى الخورنق فبينما هو جالس ينظر

---

(١) ـ عمم : بميمين ، واسمه عدى ، وإنما اشتهر بذلك لأنه اول من اعتم .
(م ص)

(٢) ـ هذا هو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأعور السائح من اشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد —

منه الى ما بين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجنة والأشجار إذ ذكر الموت فقال وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا فتنسك واعتزل الملك وإياه عنى عدى بن زيد حيث يقول :

وتفكر ربّ الخورنق إذ أشـ ☆ ـرف يوماً وللهدى تفكير
سرّه حاله وكثرة ما يمـ ☆ ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ ☆ ـطة حى الى الممات يصير

وملك بعده (المنذر) بن النعمان ثلاثين سنة ، ثم ملك (عمرو) بن المنذر وهو الذى قتل الحارث بن ظالم عنده خالد بن جعفر بن كلاب فنذر دمه وطلبه فطلب الحارث ابنه وكان مسترضعاً فى آل سنان فقتله .

ثم ملك (عمرو) بن منذر الثانى (١) وهو ابن هند وكان يلقب (مضرط الحجارة) وكان قد جعل الدهر يومين يوماً يصيد فيه ويوماً يشرب فاذا جلس لشربه أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى يرتفع مجلس شرابه فقال طرفة بن العبد :

ــ الأول وبهرام جور وكان من أشد ملوك العرب نكاية فى أعدائه وابعدهم مغاراً غزا الشام مراراً واكثر من المصائب فى اهلها وسبي وغنم وجند الجند على نظام عرف به وكان عنده من الجيش كتيبتان احداهما مؤلفة من رجال الفرس إسمها (الشهباء) والأخرى من تنوخ اسمها « دوسر » فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ، انظر اخباره فى (العرب قبل الاسلام) لجرجى زيدان . (م . ص)

(١) هو عمرو بن المنذر بن امرىء القيس الملقب بابن ماء السماء ويسمى المحرق الثانى ويعرف باسم امه هند بنت عمة امرىء القيس الشاعر الشهير ولدت للمنذر عمراً هذا وقابوساً وكان حكمه ١٦ سنة وكان شديد السلطان وقد غزا بنى تميم فى دارهم وقتل من بنى دارم كثيرين (يوم اراة) الثانى وبالغ بالعظمة والكبرياء حتى توهم فى نفسه الفضل على الناس كلهم وخيل له أنه ليس من أمير فى العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه وكانت تلك الدعوى سبب قتله ، فقتله عمرو بن كلثوم التغلبى لقضية صدرت من أمه هند مع أم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل بن ربيعة مما هو مسطور فى التاريخ .

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثاً حول حجرتنا تخور
قسمت الدهر فى زمن رخى * كذاك الدهر يعدل أو يجور
من الزمرات أسبل قادماها * فضرتها مركنة درور
لعمرك إن قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء * تطاردهن بالخسف الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً * وقوفاً لا نحل ولا نسير

ولم يزل طرفة يهجوه ويهجو أخاه قابوساً ويذكرهما بالقبيح ويشبب باخت عمرو ويذكرها بالعظيم فكان مما قال فيه :

إن شرار الملوك قد علموا * طراً وأدناهم من الدنس
عمرو وقابوس وابن أمهما * من يأتهم للخنا بمحتبس
يأت الذى لاتخاف سبته * عمرو وقابوس قينتا عرس
يصبح عمرو على الامور وقد * خضخض ما للرجال كالفرس

وكان المتلمس (١) حليفا لطرفة فكان يساعده على هجائه فقال لهما عمرو قد طال ثواكما ولا مال قبلى ولكن قد كتبت لكما إلى عاملى بالبحرين يدفع لكل واحد منكما مائة الف درهم فاخذ كل واحد منهما صحيفة فاستراب المتلمس بامره فلما صارا عند نهر الحيرة لقيا غلاما عباديا فقال له المتلمس أتحسن أن تقرأ ؟ قال نعم . قال اقرأ هذه الصحيفة فقرأها فاذا فيها اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه فطرح الصحيفة وقال لطرفة فى صحيفتك مثل هذا ، قال

(١) المتلمس : لقب جرير بن عبد المسيح بن عبدالله بن زيد بن دوقن بن حرب ابن وهب بن بلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو الشاعر الشهير خال طرفة بن العبد ، وبصحيفته المذكورة يضرب المثل فيقال : (أشأم من صحيفة المتلمس) .

ليس يجترىء على قومى بهذا وأنا بذلك البلد أعز منه فمضى طرفة الى عامل البحرين فلما قرأ صحيفته قطع يديه ورجليه وصلبه .

ثم ملك أخوه (قابوس) بن المنذر (١) ثم ملك (المنذر) بن المنذر أربع سنين .

وكان هؤلاء الملوك من قبل الأكاسرة يؤدون اليهم الطاعة ويحملون الخراج وكانت قبائل معدّ مجتمعة عليهم وكان أشدها امتناعا غطفان وأسد ابن خزيمة وكان يأتيهم الرجل من معد على جهة الزيارة فيحيونه ويكرمونه وكان ضمن اياهم من رؤساء القبائل الربيع بن زياد العبسى والحارث بن ظالم المرى وسنان بن أبى حارثة والنابغة الذبيانى الشاعر ، وكانت الملوك تعظم الشعراء وترفع أقدارهم لما يبقون لهم من المدح والذكر فكان النابغة مقدماً عند ملوكهم ثم شبب بامرأة المنذر فى قصيدته التى يقول فيها :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

فنذر المنذر دمه فهرب الى الشام الى ملوك غسان ثم اعتذر الى المنذر بشعره الذى يقول فيه :

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى منك واسع

ويقول :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا فرار على زأر من الأسد

وكان مع منذر أهل بيت من بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وكان من أهل ذلك البيت عدى بن زيد العبادى وكان خطيباً شاعراً قد كتب العربية والفارسية وكان المنذر قد جعل عندهم ابنه « النعمان » فأرضعوه وكان فى حجورهم فكتب كسرى الى المنذر أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له

---

(١) ملك قابوس بن المنذر أربع سنين ،وكان ضعيفاً وفيه لين وسموه قتنة العرس ، وله مع بنى يربوع (يوم طخفة) المشهور . (م . ص)

فبعث بعدى ابن زيد وأخوين له فكانوا فى كتابه يترجمون له فلما مات المنذر قال كسرى لعدى بن زيد هل بقى أحد من أهل هذا البيت يصلح للملك ؟ قال نعم إن للمنذر ثلاثة عشر ولداً كلهم يصلح لما يريد الملك فبعث فأقدمهم وكانوا من أجمل أهل بيت المنذر الا ما كان من النعمان فانه كان أحمر أبرش قصيراً فكان أهل بيت عدى بن زيد الذين ربّوه وأمه سبية يقال لها (سلمى) يقال انها من كلب فأنزلهم عدى بن زيد كل واحد على حدته وكان يفضل أخوة النعمان عليه فى النزل ويريهم أنه لا يرجوه ويخلو بهم رجلاً رجلا ويقول لهم أن سألكم الملك هل تكفونى العرب فقولوا له ان نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان ان سألك الملك عن اخوتك فقل ان عجزت عنهم فأنا عن العرب أعجز وكان من بنى المنذر رجل يقال له الأسود وكانت أمه من بنى الرباب وكان من الرجال وكان يحضنه أهل بيت من الحيرة يقال لهم بنو مرينا كانوا أشرافا وكان منهم رجل يقال له عدى ابن أوس بن مرينا كان مارداً شاعراً وكان يقول للأسود بن المنذر أخى النعمان انك قد عرفت أنى لك راج وأن طلبتى اليك ورغبتى أن تخالف عدى بن زيد فانه والله ما ينصحك أبداً فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه جعل يدخلهم رجلا رجلا فكان يرى رجالا ما رأى مثلهم فاذا سألهم هل تكفونى ما كنتم تكفون قالوا ان نكفيك العرب الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا وسيما فكلمه فقال هل تستطيع أن تكفينى العرب قال نعم قال فكيف تصنع باخوتك قال ان عجزت عنهم فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه اللؤلؤ فلما خرج وقد ملك قال عدى بن أوس بن مرينا للأسود دونك قد خالفت الرأى ومضى النعمان ملكا على عدى بن مرينا فأمر قوماً من خاصة النعمان وأصحابه أن يذكروا عدى بن زيد عنده ويقولوا إنه يزعم أن الملك عامله وأنه هو ولاه ولولاه ما ولى وكلاماً نحو هذا فلم يزالوا يتكلمون بحضرة النعمان حتى أحفظوه وأغضبوه على عدى بن زيد فكتب النعمان إلى عدى عزمت عليك

إلازرتنى فاستأذن كسرى وقدم عليه فلما صار الى النعمان أمر بحبسه فى حبس لا يصل اليه فيه أحد وكان له مع كسرى أخوان يقال لأحدهما أبى وللآخر سمى وكانا عند كسرى وكان أحدهما يسره هلاكه والآخر يحب صلاحه فجعل عدى يقول الشعر فى محبسه ويستعطف النعمان ويذكر له حرمته ويعظه بذكر الملوك المتقدمين فلم ينفعه ذلك وجعل أعداؤه من آل مرينا يحملون عليه النعمان ويقولون له إن أفلت قتلك وكان سبب هلاكك فلما يئس عدى أن يجد عند النعمان خيراً كتب الى أخيه :

ألا ابلغ أُبيـاً على نأيه * وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا * د كنت به والهاً ما سلم
لدى ملك موثق بالحديـ * ـد إما بحق واما ظلم
فلا تلفين كذاك الغلا * م ان لا تجد عارماً تعترم
فأرضك أرضك ان تأتنا * تنم نومة ليس فيها حلم

وكتب الى ابنه عمرو بن عدى وكانت له ناحية من كسرى :

لمن ليل بذى حبس طويل * عظيم شقه حزن دخيل
وماظلم امرىء فى الجيد غل * وفى الساقين ذو حلق طويل
ألاهبلتك أمك عمرو بعدى * أتقعد لا أفك ولا تصول
ألم يحزنك أن أباك عان * وأنت مغيب غالتك غول
تغنيك ابنة القين بن جسر * وفى كلب فيصحبك الشمول
فلو كنت الأسير ولا تكنه * اذاً علمت معد ما أقول
وان أهلك فقد أبليت قومى * بلاء كله حسن جميل
وما قصرت فى طلب المعالى * فتقصر فى المنية أو تطول

فقام اخوه وابنه ومن معهما الى كسرى فكلماه فى أمره فكتب كسرى الى النعمان يأمره بتخلية سبيله ووجه فى ذلك رسولا فقال فسأل أُبى بن زيد الرسول

أن يبتدىء بعدى فابتدأ الرسول به فقال عدى إنك إن فارقتنى قتلت قال كلا لايجترىء النعمان على الملك فبلغ النعمان مصير رسول كسرى الى عدى فلما خرج من عنده وجه اليه النعمان من قتله ووضع على وجهه وسادة حتى مات ثم قال للرسول إن عدياً قد مات وأعطاه وأجازه وتوثق منه أن لايخبر كسرى إلا أنه وجده ميتاً وكتب الى كسرى أنه مات.

وكان عمرو بن عدى يترجم الكتب لكسرى وطلب كسرى جارية ووصف صفتها فلم توجد له فقال له عمرو بن عدى بن زيد أيها الملك عند عبدك النعمان بنات له وقرابات على أكثر مما يطلب الملك ولكنه يرغب بنفسه عن الملك ويزعم أنه خير منه فوجه كسرى الى النعمان يأمره أن يبعث اليه ابنته ليتزوجها فقال النعمان أما فى عين السواد وفارس ما بلغ الملك حاجته ولما انصرف الرسول خبر كسرى بقول النعمان فقال كسرى ومايعنى بالعين قال عمرو بن عدى بن زيد أراد البقر ذهاباً بابنته عن الملك فغضب كسرى وقال رب عبد قد صار الى أكبر من هذا ثم صار أمره الى تباب فبلغت النعمان فاستعد وأمسك عنه كسرى شهراً ثم كتب اليه بالقدوم عليه فعلم النعمان ما أراد فحمل سلاحه وما قوى عليه ولحق بجبل طيء، وكانت سعدى بنت حارثة عنده فسأل طيئاً أن يمنعوه من كسرى فقالوا لا قوة لنا به فانصرف عنهم وجعلت العرب تمنع من قبوله حتى نزل فى بطن ذى قار فى بنى شيبان فلقى هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة ابن ذهل بن شيبان فدفع اليه سلاحه وأودعه بنته وحرمته ومضى الى كسرى فنزل ببابه فامر به فقيد ثم وجه به الى خانقين فلقيه عمرو بن عدى بن زيد فقال يا نعيم (تصغيراً به) لقد شددت لك أواخى لا يقلعها إلا المهر الأرن فقال أرجو أن تكون قد قرنتها بقارح فلما مضى به الى خانقين طرح به تحت الفيلة فداسته حتى قتلته وقرب للأسود فاكلته، ووجه كسرى الى هانى بن مسعود أن ابعث الى مال عبدى الذى عندك وسلاحه وبناته فلم يفعل هانىء فوجه اليه

كسرى بجيش فاجتمعت ربيعة وكانت وقعة ذى قار فرقت العرب العجم وكان أول يوم ظفرت فيه العرب بالعجم .

(ويروى) عن رسول الله ﷺ أنه قال هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا .

حرب كندة

وكانت بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم وكانت كندة قد اجتمعت على رجلين أحدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب وكان على بنى الحارث بن معاوية عمرو بن زيد ، وشرحبيل بن الحارث على السكون ، واجتمعت حضر موت على عدة رؤساء منهم مسعر بن مستعر ، وسلامة بن حجر وشرحبيل بن مرة ، وعدة بعد هؤلاء فزال هؤلاء كلهم وطالت الحرب بينهم وفنت رجالهم ودامت حتى ضرستهم وكثر القتل فى كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلب وهو يومئذ غلام فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق فلما افترق أهل اليمن وانتشروا فى البلاد ملك كل قوم عظيمهم وصارت كندة الى أرض معد فجاورتهم ثم ملكوا رجلا منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع) بن معاوية بن ثور فملك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه (ثور) بن مرتع فلم يقم إلا يسيراً حتى مات فملك بعده (معاوية) بن ثور . ثم ملك (الحارث) بن معاوية فكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك (وهب) بن الحارث عشرين سنة ثم ملك بعده (حجر بن عمرو آكل المرار(١) ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذى حالف بين كندة وربيعة وكان تحالفهم

(١) ـ المرار بالضم شجر مر من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها . « قيل » سمى حجر آكل المرار لكثرة أكله به « وقيل » لأن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد) بن هبولة من الضجاعمة ـــ

بالذنائب (١) ثم ملك بعده (عمرو) ابن حجر أربعين سنة ، وغزا الشام ومعه ربيعة فلقيه الحارث بن أبي شمر فقتله ، فملك بعده (الحارث) بن عمرو ، وأمه ابنة عوف بن ملحم الشيباني ونزل بالحيرة وفرق ملكه على ولده . وكان له أربعة أولاد (حجر ، وشرحبيل ، وسلمة الغلفاء ومعدى كرب) فملك حجراً في أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على غنم وطيء والرباب ، وملك سلمة الغلفاء على تغلب والنمر بن قاسط ، وملك معدى كرب على قيس بن عيلان ، وكانوا يجاورون ملوك الحيرة فقتلوا الحارث وقام ولده بما كان في أيديهم وصبروا على قتال المنذر حتى كافئوه فلما رأى المنذر تغلبهم على أرض العرب نفسهم ذلك وأوقع بينهم الشرور فوجه الى سلمة الغلفاء بهدايا ثم دس الى شرحبيل من قال له إن سلمة أكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر فقطع الهدايا فاخذها ثم أغرى بينهما حتى تحاربا فقتل شرحبيل فكانت معه تميم وضبة فلما قتل خاف الناس أن يقولوا لأخيه سلمة ان أخاك قد قتل وجعل يسمع قولهم فجزع لقتل أخيه وندم على أن المنذر إنما أراد أن يقتل بعضهم بعضاً فقال :

إن جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديث نمى إلى فما تر قأ دمعي ولا أسيغ شرابي

وتنكرت بنو أسد بحجر بن عمرو وساءت سيرته فيهم وكانت عنده فاطمة

— فقالت له ابنة حجر كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار تعني كاشراً عن انيابه (وقيل) إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فاصابهم الجوع فاما هو فأكل المرار حتى شبع ونجا وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك اكثرهم ففضل عليهم بصبره على أكله المرار ، توفى حجر بن عمرو هذا سنة ٤٥٠ ميلاديه .

(١) ـ الذنائب موضع بنجد هو على يسار طريق مكة (وقيل) هو عن يسار (وجة) المصعد الى مكة وبه قبر (كليب) وفيها منازل ربيعة ثم منازل بنى وائل (قاله في تاج العروس) (م . ص)

بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل فولدت له هنداً فلما خاف على نفسه حملها فاجتمعت بنو أسد على قتله فقتلوه وادعى قبائل من بنى أسد قتل حجر ، وكان القائم بامر بنى أسد علباء ابن الحارث أحد بنى ثعلبة ، وكان أمرؤ القيس بن حجر غائباً فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد لبنى أسد فلما كان فى الليلة التى أراد ان يغير عليهم فى صبيحتها نزل بجمعه ذلك فذعر القطا فطار عن مجاثمه فمر ببنى أسد فقالت بنت علباء ما رأيت كالليلة قطاً اكثر فقال علباء (لو ترك القطا لغفا ونام) فارسلها مثلا وعرف ان جيشاً قد قرب منه فارتحل واصبح امرؤ القيس فاوقع بكنانة فأصاب فيهم وجعل يقول يا لثأرات (حجر) فقالوا والله ما نحن إلا من كنانة فقال :

ألا يا لهف نفسى بعد قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى ابيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب
وافلتهن علباء جريضاً ... ولو ادركنه صفر الوطاب

وفى هذا الوقت يقول عبيد بن الأبرص الأسدى لامرىء القيس بن حجر فى قصيدة طويلة :

يا ذا المعيرنا بقتـ ... ـل أبيه اذلالاً وحينا
أزعمت أنك قد قتلـ ... ـت سراتنا كذباً ومينا
هلا على حجر ان ابن أم ... قطام تبكى لا علينا
انا اذا عض الثقا ... ف برأس صعدتنا لوينا
نحمى حقيقتنا وبعـ ... ـض القوم يسقط بين بينا

وفى هذا يقول ايضاً عبيد فى قصيدة له طويلة :

يا أيها السائل عن مجدنا ... انك مستغبى بنا جاهل
ان كنت لم تأتك أنباؤنا ... فاسأل بنا يا أيها السائل
سائل بنا حجراً غداة الوغى ... يوم يؤتى جمعه الحافل

يوم لقوا سعداً على مأقط وحاولت من خلفه كاهل
فاوردوا سربا له ذبلا كأنهن اللهب الشاعل

ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بنى أسد ومن معهم من قيس فاقام زماناً وكان يد من مع ندامى له فأشرف يوماً فاذا براكب مقبل فسأله من أين أقبلت قال من نجد فسقاه مما كان يشرب فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته وقال :

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث كئوس الشجا حتى تعوّد بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقرافر وأعياه ثار كان يطلب فى حجر
وذاك لعمرى كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال يا أخا أهل الحجاز من قائل هذا الشعر قال عبيد ابن الأبرص قال صدقت ثم ركب واستنجد قومه فامدوه بخمسمائة من مذحج فخرج الى أرض معد فاوقع بقبائل من معد وقتل الأشقر بن عمرو وهو سيد بنى أسد وشرب فى قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس فى شعر له :

قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل
يا أيها السائل عن شأننا ليس الذى يعلم كالجاهل
حلت لى الخمر وكنت امرءاً عن شربها فى شغل شاغل

وطلب قبائل معد امرأ القيس وذهب من كان معه وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه فاراد الرجوع الى اليمن فخاف حضر موت وطلبته بنو اسد وقبائل معد فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على طلبه ولم يمكنه الرجوع سار الى سعد بن الضباب الأيادى وكان عاملا لكسرى على بعض كورها العراق فاستقر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب فلما مات سعد خرج امرؤ القيس الى جبل طىء فلقى طريف بن . . . (١) . . . الطائى فسأله

(١) بياض فى الأصل ، وطريف هذا هو ابن مالك بن جدعان الطائى .

ان يجيره فقال والله مالى من الجبلين إلا موضع نارى فنزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل ينتقل فى طيء مرة وفى جديلة مرة وفى نبهان مرة حتى صارالى تيماء فنزل بالسموءل بن عاديا فسأله أن يجيره فقال له انا لا اجير على الملوك ولا اطيق على حربهم فاودعه ادراعاً وانصرف عنه يريد ملك الروم حتى صار الى قيصرملك الروم فاستنصره فوجهمعه تسعمائة من أبناء البطارقة .وكان امرؤ القيس قد مدح قيصر فسار الطماح الأسدى الى قيصر فقال له ان امرأ القيس شتمك فى شعره وزعمانك علج اغلف فوجه قيصر الى امرىء القيس بحلة قد نضح فيها السم فلما لبسها تقطع جلده وايقن بالموت :

تأوبنى دائى القديم فغلسا ... احاذر ان يزداد دائى فأنكسا

لقد طمح الطماح من بعد ارضه ... ليلبسنى من دائه ما تلبسا

فلو انها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط انفسا

وهذه الابيات فى قصيدة له طويلة ، وقال ايضاً فى حاله تلك :

ألا ابلغ بنى حجر بن عمرو ... وابلغ ذلك الحى الحريدا

بانى قد بقيت بقاء نفس ... ولم اخلق سلاما او حديدا

ولو أنى هلكت بارض قومى ... لقلت الموت حق لا خلودا

ولكنى هلكت بارض قوم ... بعيداً من دياركم بعيدا

بارض الشام لا نسب ولا قريب ... ولا مولى فيسعف أو يجودا

ومات امرؤ القيس بانقرة من أرض الروم .

ولد اسماعيل بن ابراهيم

وإنما أخرنا خبر اسماعيل وولده وختمنا بهم أخبار الأمم لأن الله عز وجل ختم بهم النبوة والملك واتصل خبرهم بخبر رسول الله ﷺ والخلفاء (ذكرت الرواة والعلماء) أن اسماعيل بن إبراهيم أول من نطق بالعربية، وعمر بيت الله الحرام بعد أبيه ابراهيم وقام بالمناسك، وأنه كان أول من ركب الخيل العتاق وكانت قبل ذلك وحوشاً لا تركب (وقال بعضهم) إن اسماعيل أول من شق الله فاه باللسان العربى فلما شب أعطاه الله القوس العربية فرمى عنها وكان لا يرمى شيئاً إلا أصابه فلما بلغ أخرج الله من البحر مائة فرس فاقامت ترعى بمكة ما شاء الله ثم ساقها الله اليه فاصبح وهى على بابه فرسنها فركبها وأنتجها وكانت دواب الناس البراذين وركبها اسماعيل وبنوه ولده وفى إسماعيل يقول بعض شعراء معد:

أبونا الذى لم يركب الخيل قبله ولم يدر شيخ قبله كيف تركب

ويقال: إنما سميت أجياد مكة لأن الخيل كانت فيها فأوحى الله عز وجل الى اسماعيل أن يأتى الخيل فاتاها فلم يبق فرس إلا أمكنته من ناصيتها فركبها وركبها ولده، فكان اسماعيل أول من ركب الخيل، وأول من أتخذها، وأول من نفى أهل المعاصى عن الحرم فقال أعربه فسميت العربية بذلك فكان ولد جرهم ابن عامر لما صار أخوتهم من بنى قحطان بن عامر الى اليمن فملكوا صاروا هم الى أرض تهامة فجاوروا اسماعيل بن ابراهيم، فتزوج إسماعيل (الحنفاء) بنت الحارث ابن مضاض الجرهمى فولدت له اثنى عشر ذكراً وهم: (قيدار ونابت وادبيل ومبشام ومسمع ودوما ومسا وحداد وتيما ويطور ونافس وقيدما) وهذه الأسماء تختلف فى الهجاء واللغة لأنها مترجمة من العبرانية، فلما كملت لإسماعيل مائة وثلاثون سنة توفى فدفن فى الحجر، فلما توفى اسماعيل ولى البيت بعده نابت بن اسماعيل

(ويقال) وليه قيدار وبعد قيدار نابت بن اسماعيل وافترق ولد إسماعيل يطلبون السعة فى البلاد وحبس قوم أنفسهم على الحرم فقالوا لا نبرح من حرم الله، ولما توفى نابت وقد تفرق ولد اسماعيل فولى البيت (المضاض) بن عمرو الجرهمى جد ولد اسماعيل وذلك أن من بقى فى الحرم من ولد اسماعيل كانوا صغاراً فلما ولى المضاض نازعه السميدع بن هوبر ثم ظهر عليه المضاض فمضى السميدع الى الشام وهو أحد ملوك العمالقة واستقام الأمر لمضاض حتى توفى. ثم ملك بعده (الحارث) بن مضاض، ثم ملك (عمرو) بن الحارث بن مضاض ثم ملك (المعتسم) بن الظليم، ثم ملك (الحواس) بن جحش بن مضاض ثم ملك (عداد) بن صداد بن جندل بن مضاض، ثم ملك (فسحص) (١) ابن عداد ابن صداد، ثم ملك (الحارث) بن مضاض بن عمرو؛ وكان آخر من ملك من جرهم. وطغت جرهم وبغت وظلمت وفسقت فى الحرم فسلط الله عليهم «الذر» فاهلكوا به عن آخرهم، وكان ولد اسماعيل منتشرين فى البلاد يقهرون من ناواهم غير أنهم كانوا يسلمون الملك لجرهم للخؤولة وكانت جرهم تطيعهم فى أيامهم ولم يكن أحد يقوم بامر الكعبة فى أيام جرهم غير ولد اسماعيل تعظيما منهم لهم ومعرفة بقدرهم فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين ثم يشجب بن أمين ثم الهميسع ثم أدد فعظم شأنه فى قومه وجل قدره وأنكر على جرهم أفعالهم وهلكت جرهم فى عصره ثم عدنان بن أدد ثم معد بن عدنان ثم افترق ولد عدنان فى البلاد ولحق قوم منهم باليمن، منهم عك والديث والنعمان فولد لعك من بنت ارغم بن جماهير الأشعرى، ثم هلك وبقى ولده بعده فانتموا الى الأخوال والدار؛ وكان عدنان أول من وضع الانصاب وكسى الكعبة، وكان معد ابن عدنان أشرف ولد اسماعيل فى عصره وكانت أمه من جرهم ولم يبرح الحرم فكان له من الولد عشرة أولاد وهم: (نزار وقضاعة وعبيد الرماح وقنص وقناصة

(١) - كذا فى الأصل وفى الهامش «فينحاص» (م. ص)

وجنادة وعوف وأود وسلهم وجنب) وكان معد يكنى أبا قضاعة فانتسب عامة ولد معد فى اليمن اليه وكان لهم عدد كثير وانتمت قضاعة الى ملك حمير وقضاعة فيما يقال ولد على فراش معد ، وكان معد أول من وضع رحلا على جمل وناقة وأول من زمها بالنساع .

وكان نزار بن معد سيد بنى أبيه وعظيمهم ومقامه بمكة ، وأمه « ناعمة » بنت جوشم بن عدى بن دب الجرهمية ؛ وكان له من الولد أربعة « مضر وأياد وربيعة وأنمار » وأمهم « سودة » بنت عك بن عدنان .

(ويقال) إن أم مضر وأياد « حبية » بنت عك بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار « جدالة » بنت وعلان بن جوشم الجرهمى ، ولما حضرت نزارالوفاة قسم ميراثه على ولده الأربعةفاعطى مضر وأياد وربيعة وأنمار ماله ، فمضر وربيعة الصريحان من ولد اسماعيل ، فاعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة فسمى مضر الحمراء ، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها فسمى ربيعة الفرس وأعطى أياد غنمه وعصاه وكانت الغنم برقاء فسمى أياد البرقاء ويقال أياد العصا وأعطى أنمار جارية له تسمى بجيلة فسمى بها ، وأمرهم إن تخالفوا أن يتحاكموا الى الأفعى بن الأفعى الجرهمى فكان منزله بنجران فتحاكموا اليه .

فاما أنمار بن نزار فانه تزوج فى اليمن فانتسب ولده الى الخؤولة فمنهم بجيلة وخثعم لم يخرج من ولد نزار غيرهم .

وأما ربيعة بن نزار فانه فاوق اخوته فصار مما يلى بطن عرق الى بطن الفرات فولد له أولاد منهم أسد وضبيعة وأكلب وتسعة بعدهم ولا ينسبون فى اليمن ، وانتشر ولد ربيعة بن نزار وولد ولده حتى كثروا وامتلأت منهم البلاد فجماهير قبائل ربيعة « بهثة » بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة « وعنزة » بن أسد بن ربيعة « وعبد القيس » بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ربيعة « ويشكر » بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى « وحنيفة » بن

لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط « وعجل » بن الجيم بن صعب بن على بن بكر « وقيس » بن ثعلبة بن عكابة بن على بن بكر « وتيم اللات » بن ثعلبة ابن عكابة .

وكانت الحكومة والرئاسة من ربيعة فى بنى ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثم تحولت الحكومة والرئاسة فى ولد عنزة ابن أسد بن ربيعة ، ثم تحولت فى عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ثم سارت عبد القيس حتى نزلت « اليمامة » بسبب حرب كانت بينهم وبين بنى النمر ابن قاسط وكانت أياد باليمامة فاجلوهم ، ثم صارت الرئاسة فى النمر بن قاسط ، ثم تحولت من النمر بن قاسط فصارت فى بنى يشكر بن صعب ابن على بن بكر ، ثم تحولت الرئاسة من يشكر بن صعب فصارت فى بنى تغلب ثم صارت فى بنى شيبان .

وكانت لربيعة أيام مشهورة وحروب معروفة فمن مشهور أيامهم « يوم السلان » فان مذحج أقبلت تريد غزو أهل تهامة ومن بهامن أولاد معد فاجتمع ولد معد لحرب مذحج وكان اكثرهم ربيعة فرأسوا عليهم ربيعة بن الحارث ابن مرة بن زهير بن جشم بن بكر فالتقوا ومذحج بالسلان فهزموا مذحجاً وكان لهم الظفر ، وأما « يوم خزاز » فان اليمن أقبلت وعليهم سلمة بن الحارث ابن عمرو الكندى فرأست ولد معد كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة فلما رأى سلمة كثرة القوم استجار ببعض الملوك فامده فالتقوا بخزاز وعلى ولد معد كليب ففضت جموع اليمن ، وأما « يوم الكلاب » فان سلمة وشرحبيل ابنى الحارث بن عمرو الكندى تحاربا فكان مع سلمة ربيعة ومع شرحبيل قيس فكثرت ربيعة قيساً فقتلت شرحبيل بن الحارث بن عمرو وكان لهم العلو ، وأما « أيام البسوس » فانها بين بنى شيبان وتغلب بسبب قتل جساس بن مرة بن ذهل ابن شيبان كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم التغلبى فاشتبكت

الحرب واتصلت حتى افنتهم ودامت اربعين سنة . وأما (يوم ذى قار) فإنه لما قتل كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث الى هانىء بن مسعود الشيبانى أن ابعث الىّ ما كان عبدى النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع فابى هانى وقومه أن يفعلوا ، فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم فالتقوا بذى قار فاتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلى فقلدوه بامرهم فقالوا لهانىء ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهم من العرب وكان مع الفرس أياس بن قبيصة الطائى وغيره من اخوة معد وقحطان فاتى عمرو بن عدى بن زيد كسرى وأخبره الخبر فخلع كتفه فمات فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

وأما أياد بن نزار فانه نزل اليمامة فولد له أولاد انتسبوا فى القبائل فيقول النسابون إن ثقيفاً قسى بن النبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى ابن دعمى بن أياد وأنهم انتسبوا الى قيس ، وكانت ديار أياد بعد اليمامة الحيرة ومنازلهم الخورنق والسدير وبارق ثم أجلاهم كسرى عن ديارهم فانزلهم تكريت « مدينة قديمة على شط دجلة » ثم أخرجهم عن تكريت الى بلاد الروم فنزلوا بانقرة من أرض الروم ورئيسهم يومئذ كعب (١) بن مامة ثم خرجوا بعد ذلك ، فجماهير قبائل أياد أربعة (مالك وحذاقة ويقدم ونزار) فهذه بطون أياد وفيهم يقول الأسود بن يعفر التميمى :

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذى الشرفات من سنداد
الواطئون على صدور نعالهم ... يمشون فى الدفنى والأبراد
عفت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد
بلد تخيرهم لطول مقيلها ... كعب بن مامة وابن أم دؤاد

---

(١) ـ وهذا كعب يضرب به المثل فى السخاء والوفاء . (عن الهامش)

وذكر أبو دؤاد الأيادى بعض ذلك ، وكان أبو دؤاد أشعر شعرائهم وبعده لقيط بالعراق فلما بلغه أن كسرى آلى على نفسه أن ينفى أياداً من تكريت وهى من أرض الموصل كتب صحيفة بعث بها اليهم وفيها :

سلام فى الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من أياد
فان الليث يأتيكم بياتاً فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفاً يزجون الكتائب كالجراد

وأما مضر بن نزار فسيد ولد أبيه وكان كريماً حكيماً .

(ويروى) عنه أنه قال لولده من يزرع شراً يحصد ندامة ، وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدكم فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر ووقاية .

(وروى) أن رسول الله ﷺ قال لا تسبوا مضراً وربيعة فانهما كانا مسلمين .

(وفى حديث آخر) فانهما كانا على دين ابراهيم ، فولد مضر بن نزار : الياس بن مضر وعيلان بن مضر وامهما الحنفاء بنت أياد بن معد . فولدت عيلان ابن مضر قيس بن عيلان ، فانتشر ولده وكثروا وصار فيه العدد والمنعة . فجماهير قبائل قيس بن عيلان « عدوان » بن عمرو بن قيس « وفهم » بن عمرو بن قيس « ومحارب » بن خصفة بن قيس « وباهلة » بن اعصر بن سعد بن قيس « وفزارة » ابن ذبيان بن بغيص بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس « وسليم » بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس « وعامر » بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن « ومازن » بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس « وسلول » بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن « وثقيف » وهو قسى بن منبه بن بكر بن هوازن ، وثقيف ينسب الى أياد بن نزار « وكلاب » بن ربيعة بن عامر بن صعصعة « وعقيل » بن كعب بن ربيعة

ابن عامر بن صعصعة « وقشير » بن كعب بن ربيعة بن عامر « والحريش » بن كعب بن عامر « وعوف » بن عامر بن ربيعة وكانت الرئاسة والحكومة فى قيس وانتقلت فى عدوان، وكان أول حكم منهم وراس عامر بن الضرب ثم صارت فى فزارة ثم صارت فى عبس ثم صارت فى بنى عامر بن صعصعة ، ولم تزل فيهم وكانت لقيس أيام مشهورة وحروب متصلة منها: يوم البيداء . ويوم شعب جبلة . ويوم الهباءة . ويوم الرقم . ويوم فيف الريح . ويوم المليط . ويوم رحرحان . ويوم العرى . ويوم حرب داحس ، والغبراء بين عبس وفزارة .

وكان الياس بن مضر قد شرف وبان فضله ، وكان أول من انكر على بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وظهرت منه أمور جميلة حتى رضوا به رضا لم يرضوا باحد من ولد إسماعيل بعد أدد فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها ، وهو أول من أهدى البدن الى البيت ، وأول من وضع الركن بعد هلاك ابراهيم فكانت العرب تعظم الياس تعظيم أهل الحكمة وكان للياس من الولد مدركة واسمه (عامر) وطابخة واسمه (عمرو) وقمعة واسمه (عمير) وأمهم جميعاً خندف واسمها (ليلى) بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان الياس قد أصابه السل فقالت خندف امرأته لئن هلك لا أقمت ببلد مات به ، وحلفت أن لا يظلها بيت وأن تسيح فى الأرض فلما مات خرجت سائحة فى الارض حتى هلكت حزنا ، وكانت وفاته يوم الخميس فكانت تبكيه وإذا طلعت شمس ذلك اليوم بكت حتى تغيب فصارت مثلا (وقيل) لرجل من أياد هلكت امرأته ألا تبكيها فقال :

ولو أنه أغنى بكيت كخندف   على الياس حتى ملها السر تندب
اذا مونس لاحت خراطيم شمسه   بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

يعنى بقوله مونس يوم الخميس لأن العرب كانت تسمى الايام بغير أسمائها فى هذا الوقت فكانت تسمى الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء جبار

والاربعا دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار ، وكانوا يسمون أيام الشهر عشرة أسماء كل ثلاث ليال اسم فالثلاث التى أول الهلال الغرر ثم النفل ثم التسع ثم العشر ثم البيض ثم الظلم ثم الخنس ثم الحنادس ثم المحاق والآخر ليلة السرار اذا استتر الهلال وكانوا يسمون المحرّم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول خوان وربيع الآخر وبصان وجمادى الاولى حنين وجمادى الآخرة رنّى ورجب الأصم وشعبان عاذل ورمضان ناتق وشوال وعل وذا القعدة ورنة وذا الحجة برك ، وكان آخرون من العرب يسمون الثلاث ليال من أول الشهر هلال ثم ثلاث قمر حين يقمر ثم ثلاث بهر حين يضىء ويبهر لونه وثلاث نفل وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدى وليلتان محاق وليلة سرار .

وولد لطابخة بن الياس أد بن طابخة فتفرقت من ولد أد بن طابخة أربع قبائل وهى (تميم) بن مر بن أد (والرباب) وهو عبد مناة بن أد (وضبة) بن أد (ومزينة) بن أد . وكان العدد فى تميم بن مر بن أد حتى امتلأت منهم البلاد وافترقت قبائل تميم فمن جماهير قبائل تميم (كعب) بن سعد بن زيد مناة (وحنظلة) بن مالك بن زيد مناة ، وهم يسمون البراجم ، وبنو دارم ، وبنو زرارة بن عدس ، وبنو أسد ، وعمرو بن تميم ، فهؤلاء ولد أد بن طابخة بن الياس ابن مضر . وفيهم العدد والمنعة والبأس والنجدة والشعر والفصاحة . وكانت الرئاسة فى تميم وكان أول رئيس فيهم سعد بن زيد مناة بن تميم ثم حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ، وكانت لهم أيام مشهورة وحروب معروفة فمنها يوم الكلاب ، ويوم المروت ، ويوم جدود ، ويوم النسار .

وكان مدركة بن الياس سيد ولد نزار قد بان فضله وظهر مجده وخرج أخوه قمعة الى خزاعة فتزوج فيهم وصار ينسب ولده معهم وكان ولده فيهم ، وكان من ولده عمرو بن لحى بن قمعة وهو أول من غير دين ابراهيم ، وولد

مدركة بن الياس خزيمة وهذيلا وحارثة وغالباً ، وأمهم سلمى ابنة الأسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، ويقال بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وأما حارثة فدرج صغيراً ، وأما غالب فانتسبوا فى بنى خزيمة ، وأما هذيل بن مدركة فان العدد منهم فى بنى سعد بن هذيل ثم تميم بن سعد ثم فى معاوية بن تميم والحارث بن تميم وهذيل شجعان اصحاب حروب وغارات ونجدة وفصاحة وشعر .

وكان خزيمة أحد حكام العرب ومن يعدله الفضل والسؤدد، فولد خزيمة ابن مدركة كنانة ، وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد ، والهون وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مرة ، فاما أسد بن خزيمة فان ولده انتشروا فى اليمن وهم: (جذام ولخم وعاملة بنو عمرو بن أسد) وكانت مضر تدعى جذاماً خاصة ، وبنو أسد مقيمون على أنهم منهم ، يواصلونهم على ذلك ويعدونهم منهم ، قال امرؤ القيس ابن حجر الكندى :

صبرنا عن عشيرتنا فبانوا كما صبرت خزيمة عن جذام

وقال عبد المطلب بن هاشم فى شعر له :

فقل لجذام إن أتيت بلادهم وخص بنى سعد بها ثم وائل

أنيلوا وأدنوا من وسائل قومكم فيعطف منكم قبل قطع الوسائل

وقال عبيد بن الأبرص فى شعر له طويل :

أبلغ جذاماً ولخماً إن عرضت لهم والقوم ينفعهم علم إذا علموا

بانكم فى كتاب الله إخوتنا إذا تقسمت الأرحام والنسم

ويقال: إن هذا الشعر لشمعان بن هبيرة الأسدى ، فاما جذام بن عدى بن الحارث فانها مقيمة على نسبها فى اليمن فتقول جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن مالك بن كهلان، وكان لأسد بن خزيمة من الولد: (دودان وكاهل وعمرو وهند والصعب وتغلب) وكان العدد فى دودان ومنه افترقت قبائل بنى أسد . وقبائل بنى أسد: (قعين وفقعس ومنقذ ودبان ووالبة

ولاحق وحرثان ورئاب وبنو الصيداء) وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة الى تهامة ، وكانت لطيء محالفة متفقة معها ودارهما تكاد أن تكون واحدة ، وكانت محاربة لكندة حتى قتلت حجر بن الحارث بن عمرو الكندى وهرب امرؤ القيس وذلت كندة ثم حاربت بنى فزارة حتى قتلت بدر بن عمرو ثم اختلف الذى بينهما وبين طيء فتحارب الحيان أسد وطيء حتى قتلوا لام بن عمرو الطائى وأسروا زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل وأخذوا السبايا ، وقال زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياس قيس بن نوفل ... وقيس بن أهبان وقيس بن جابر
بنى أسد ردوا علينا نساءنا ... وأبناءنا واستمتعوا بالأباعر
وبالمال إن المال أهون هالك ... إذا طرقت احدى الليالى الغوابر
ولا تجعلوها سنة يقتدى بها ... بنى أسد واعفوا بايد قوادر

فأطلقوه وردوا ظعائنهم لما سمعوا هذا الشعر وبقى فرس لزيد وكان زيد يحب الخيل فقال زيد :

يا بنى الصيداء ردوا فرسى ... إنما يفعل هذا بالذليل
عودوا مهرى الذى عودته ... دلج الليل وإيطاء القتيل

فردوا عليه فرسه ، وكانت بنو أسد تقول قتلنا أربعة كلهم بنو عمرو وكل سيد قومه ، قتلنا حجر بن عمرو ملك كندة ، ولام بن عمرو الطائى . وصخر ابن عمرو السلمى ، وبدر بن عمرو الفزارى .

والهون بن خزيمة وهو القارة وإنما سموا القارة لأن بنى كنانة لما خرجت بنو أسد بن خزيمة من تهامة وخالفوا كنانة وضموا القليل الى الكثير جعلوا بنى الهون ابن خزيمة قارة بينهم لأحد دون أحد (ويقال) ان بنى الهون نزلوا أرضاً منخفضة والعرب يسمون الارض المنخفضة القارة فقيل لهم أصحاب القارة والقارة المرامى فقال بعضهم (قد أنصف القارة من راماها) ويقال ان حربا

جرت بين الهون بن خزيمة وبين بكر بن كنانة فقال رجل من بنى بكر أيما أحب اليكم المراماة أو المسابقة ؟ فقال رجل منهم :

قد علمت سلم ومن والاها   أنا نصد الخيل عن هواها

قد أنصف القارة من راماها   أما اذا ما فئة نلقاها

نردها دامية كلاها

وقبائل بنى الهون بن خزيمة (عضل وديش) ابنا يثيع بن الهون بن خزيمة فاما (الحكم) بن الهون بن خزيمة فانه صار الى اليمن فحل بلاد مذحج فولد له بها أولاد ومات فانتسب ولده الى حكم بن سعد العشيرة .

وظهر فى كنانة بن خزيمة فضائل لا يحصى شرفها وعظمته العرب (فروى) أن كنانة أتى وهو نائم فى الحجر فقيل له تخير يا با النضر بين الصهيل أو الهدر أو عمارة الجدر أو عز الدهر فقال كل هذا يا رب فأعطيه ، فولد كنانة بن خزيمة (النضر) وحدال وسعداً ومالكا وعوفاً ومخرمة) وأمهم « هالة » بنت سويد ابن الغطريف وهو حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الغوث ، وعلياً وغزوان ، وأمهما برة بنت مر ، وجرولا والحارث وامهما من أزدشنوءة ، وعبد مناة وأمه الذفراء واسمها فكيهة بنت هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فاما مخرمة فيقال إنهم بنو ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وبنو عبد مناة بن كنانة فهم عدد كنانة ، فمنهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة ، وبنو الدئل بن بكر ، وبنو ضمرة بن بكر . منهم بنو غفار بن مليك بن ضمرة ، وبنو جذيمه بن عامر بن عبد مناة الذين أصابهم خالد بن الوليد بالغميصاء ، وبنو مدلج ابن مرة بن عبد مناة ، ومن بنى مالك بن كنانة بن خزيمة بنو فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبه بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ومن بنى فقيم كان النسأة وهم القلامس كانوا ينسئون ويحلون ويحرمون ، وكان أولهم حذيفة بن عبد فقيم الذى يسمى القلمس ثم صار ذلك فى ولده فقام بعده عباد بن حذيفة ابنه ثم بعد عباد قلع بن عباد ثم

أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم جنادة بن عوف وهو أبو ثمامة ؛ ومنهم فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ؛ فهذه جماهير قبائل كنانة .

واما النضر بن كنانة فكان اول من سمى القرشى (يقال) انه سمى القرشى لتقرشه وارتفاع همته (وقيل) لتجارته ويساره (ويقال) ادابة فى البحر تسمى القرش سمته أمه قريشاً تصغير قرش ؛ فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة فليس بقرشى ، فولد النضر بن كنانة مالكا ويخلد والصلت ؛ وكان النضر أبا الصلت وأم ولد النضر عكرشة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ؛ وأما يخلد فلم يبق منهم أحد يعرف ؛ وأما ولد الصلت فصاروا فى خزاعة ؛ وكان من ولده كثير بن عبد الرحمان الشاعر وهو الذى يقول فى النسب :

أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى ... بكل هجان من بنى النضر أزهرا

وكان (مالك) بن النضر عظيم الشأن وكان له من الولد فهر والحارث وشيبان أمهم (جندلة) بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمى (ويقال) ان اسم فهر بن مالك (قريش) وانما فهر لقب والاسم قريش ؛ وظهر فى فهر بن مالك علامات فضل فى حياة أبيه فلما هلك ابوه قام مقامه ؛ وكان لفهر ابن مالك من الولد (غالب والحارث ومحارب وجندلة) أمهم (ليلى) بنت الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل ، فمن ولد الحارث بن فهر ضبة بن الحارث رهط أبى عبيدة بن الجرّاح ، ومن ولد محارب بن فهر شيبان بن محارب رهط الضحاك ابن قيس ، وكان غالب بن فهر أفضلهم وأظهرهم مجداً (فيروى) أن فهر بن مالك قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة : أى بنى إن فى الحذر انغلاق النفس ، وانما الجزع قبل المصائب فاذا وقعت مصيبة تزدجرها وانما القلق فى غليانها فاذا قامت فبرد حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى فى آثارها من محق الحياة ثم اقتصر على قليلك وان قلت منفعته فقيل ما فى يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك ان صار اليك . فلما مات

فهر شرف غالب بن فهر وعلا أمره وكان له من الولد (لوى وتيم الأدرم) أمهما (عاتكة) بنت يخلد بن النضر بن كنانة (ويعلب ووهب وكثير وحراق) هؤلاء لا بقية لهم . فأما تيم الأدرم فانه أعقب وكان (لوى) بن غالب سيداً شريفاً بين الفضل .

(يروى) أنه قال لأبيه غالب بن فهر وهو غلام حدث : يا أبه رب معروف قل اخلافه ، ونصر - يا أبه - من أخلافه أخمله ، واذا أخمل الشيء لم يذكر ، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره ، فقال له ابوه يا بنى إنى أستدل بما اسمع من قولك على فضلك ، واستدعى به الطول لك فى قومك ، فان ظفرت بطول فعد على قومك واكف غرب جهلهم بحلمك . والمم شعثهم برفقك ، فانما يفضل الرجال الرجال بافعالهم فانها على اوزانها واسقط الفضل ومن لم تعل له درجة على آخر لم يكن له فضل وللعليا ابداً على السفلى فضل ، فلما مات غالب بن فهر قام لوى بن غالب مقامه وكان للوى من الولد (كعب وعامر وسامة وخزيمة) وامهم (عائذة) (وعوف والحارث وجشم) امهم (ماوية) بنت كعب بن القين (وسعد) بن لوى امه (يسرة) بنت غالب بن الهون بن خزيمة ، فأما (سامة) بن لوى فانه هرب من اخيه (عامر) بن لوى وذلك إنه كان بينهما شر فوثب سامة على عامر ففقأ عينه فاخافه عامر فهرب منه فصار الى عمان . فيقال إنه مرّ ذات يوم على ناقة له فوضعت الناقة مشفرها فى الأرض فعلقتها افعى و نفضتها فوقعت على سامة فنهشت الأفعى سامة فقتلته . فقال فيما يزعمون حين أحس بالموت :

عين فابكى لسامة بن لوى	علقت ما بساقه العلاقه
لم يروا مثل سامة بن لوى	يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلغا عامراً وكعباً رسولا	أن نفسى اليهما مشتاقه
ان تكن فى عمان دارى فانى	ما جدقد خرجت من غير فاقه

رب كاس هرقت يا بن لوى   حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا بن لوى   ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه

فأما خزيمة بن لوى وهو (عائذة) فانه نزل فى شيبان فانتسب ولده فى ربيعة وأما (الحارث) وهو جشم وسعد فانهم نزلوا فى هزان فانتسبوا فيهم؛ وفيهم يقول جرير بن الخطفى:

بنى جشم استم لهزان فانتموا   لأعلى الروابى من لوى بن غالب

وأما (عوف) بن لوى فانه خرج فيما يزعمون فى ركب من قريش حتى اذا كان فى أرض غطفان أبطأ به بعيره فانطلق من كان معه من قومه فاتاه ثعلبة بن سعد ابن ذبيان فاحتبسه وجعله له أخاً فصار نسبه فى عوف بن سعد بن ذبيان، قال الحارث بن ظالم وهو من بنى مرة بن عوف:

وما قومى بثعلبة بن سعد   وما بفزارة الشعر الرقابا
وقومى إن سألت بنى لوى   بمكة علموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بنى بغيض   وترك الأقربين لنا انتسابا

وقال الحارث بن ظالم فى ذلك ايضاً:

إذا فارقت ثعلبة بن سعد   وأخوتهم نسبت الى لؤى
الى نسب كريم غير (.....)   وحى هم أكارم كل حى
فان يبعد بهم نسبي فنهم   قرابين الإله بنو قصى

وللحارث بن ظالم فى هذا شعر كثير، وقد كان عمر بن الخطاب دعا بنى عوف الى أن يردّهم الى نسبهم فى قريش فشاوروا على بن أبى طالب (ع) فقال لهم أنتم أشراف فى قومكم فلا تكونوا مستلحقين فى قريش، فاما عامر بن لؤى فانه كان له من الولد: (حسل بن عامر ومعيص بن عامر وعويص بن عامر) وأمهم امرأة من (قرن) وليس لعويص بن عامر بقية والبقية فى حسل ومعيص.
فأما (كعب) بن لؤى فكان أعظم ولد أبيه قدراً واعظمهم شرفاً، وكان

أول من سمى يوم الجمعة « بالجمعة » وكانت العرب تسميه (عروبة) لجمعهم فيه وكان يخطب عليهم فيقول : اسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا أن الليل ساج ، والنهار ضاح والأرض مهاد ، والسماء عماد ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأبناء ذكر ، فصلوا أرحامكم ، واحفضوا أصهاركم ؛ وثمروا أموالكم ؛ فهل رأيتم من هالك رجع ؛ أو ميت نشر ؛ الدار أمامكم والظن غير ماتقولون ؛ وحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به ، فسيأتى نبأ عظيم ؛ وسيخرج منه نبي كريم ؛ ثم يقول :

نهار وليل كل أوب بحادث ... سواء علينا ليلها ونهارها
يأوبان بالأحداث حين تأوبا ... وبالنعم الضافى علينا ستورها
صروف وأنباء تغلب أهلها ... لها عقد ما يستحل مريرها
على غفلة يأتى النبي محمد ... فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول : يا ليتنى شاهد نجوى دعوته ؛ لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل لتنصبت له تنصب الجمل . ولأرقلت ارقال الفحل . فرحاً بدعوته . جذلا بصرخته . فلما مات كعب أرخت قريش من موت كعب . وكان لكعب من الولد : مرة ؛ وهصيص وأمهما وحشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر بن مالك ، وعدى بن كعب وأمه حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس ابن عيلان . فعدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب . وولد هصيص بن كعب سهما وجمحاً .

وكان مرة بن كعب سيداً هماماً فتزوج هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة . وكان سرير أول من نسأ الشهور فولدت هند لمرة كلاباً ثم تزوج مرة . . . . . . بنت سعد بن بارق فولدت له تيما ويقظة . فتيم بن مرة رهط ابى بكر ومخزوم ابن يقظة بن مرة رهطه ايضاً . وشرف كلاب بن مرة وجل قدره واجتمع له شرف الأب والجد من قبل الأمم لأنهم كانوا يجيزون الحج

ويحرمون الشهور ويحللونها فكانوا يسمون النسأة والقلامس ؛ وكان لكلاب ابن مرة من الولد قصى وزهرة وفيهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صريحا قريش ابنا كلاب .وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل الأزدى وكان سعد بن سيل أول من حليت له السيوف بالذهب والفضة وله يقول الشاعر :

لا أرى فى الناس شخصاً واحداً فاعلموا ذاك كسعد بن سيل

فلما مات كلاب تزوجت فاطمة بنت سعد بن سيل ربيعة بن حرام العذرى فخرج بها الى بلاد قومه فحملت قصياً معها وكان اسمه « زيد » فلما بعد من دار قومه سمته « قصياً » ، فلما شب قصى وهو فى حجر ربيعة قال له رجل من بنى عذرة : الحق بقومك فانك لست منا فقال ممن انا فقال سل أمك فسألها فقالت : انت اكرم منه نفساً وولداً ونسباً انت ابن كلاب بن مرة وقومك آل الله وفى حرمه ، وكانت قريش لم تفارق مكة إلا أنهم لما كثروا قلت المياه عليهم فتفرقوا فى الشعاب فكره قصى الغربة وأحب أن يخرج الى قومه فقالت له أمه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج فى حجاج قضاعة فإنى أخاف عليك فلما دخل الشهر الحرام شخص معهم حتى قدم مكة وأقام قصى بمكة حتى شرف وعز وولد له الأولاد ، وكانت حجابة البيت الى خزاعة وذلك أن الحجابة كانت الى أياد فلما أرادوا الرحيل عن مكة حملوا الركن على جمل فلم ينهض الجمل فدفنوه وخرجوا وبصرت بهم امرأة من خزاعة حين دفنوه فلما بعدت أياد اشتد ذلك على مضر وأعظمته قريش وسائر مضر فقالت الخزاعية لقومها اشرطوا على قريش وسائر مضر أن يصيروا اليكم حجابة البيت حتى ادلكم على الركن ففعلوا ذلك فلما أظهروا الركن صيروا اليهم الحجابة فتقدم قصى بن كلاب مكة والحجابة الى خزاعة والاجازة الى صوفة وهو الغوث بن مر أخى تميم ، وكان الحج وإجازة الناس من عرفات اليه ثم صارت الى عقبه من بعده ، وبنو القيس بن كنانة ينسئون الشهور ويحلون ويحرمون فلما رأى قصى ذلك جمع اليه قومه من بنى فهر بن مالك

وحازهم اليه فلما حضر الحج حال بين صوفة وبين الاجازة وقامت معه خزاعة وبنو بكر وعلموا أن قصياً سيصنع بهم كما صنع بصفوة وأنه سيحول بينهم وبين أمر مكة وحجابة البيت وانحازوا عنه وصاروا اليه فلما رأى ذلك أجمع لحربهم وبعث الى أخيه من أمه دراج ابن ربيعة العذرى فاتاه أخوه بمن قدر عليه من قضاعة .

(وقيل) وافى دراج وقصى قد نصب لحرب القوم ودراج يريد البيت فاعان أخاه بنفسه وقومه فاقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى فى الفريقين ثم تداعوا الى الصلح وأن يحكم ما بينهم رجل من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن كنانة فقضى بينهم بان قصياً أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش ففيه الدية فودوا خمساً وعشرين بدنة وثلاثين حرجا (١) وأن يخلوا بين قصى وبين البيت ومكة فسمى يعمر « الشدّاخ » ولم يكن بمكة بيت فى الحرم إنما كانوا يكونون بها نهاراً فاذا أمسو خرجوا ، فلما جمع قصى قريشا وكان ادهى من رأى من العرب أنزل قريشا الحرم وجمعهم ليلا وأصبح بهم حول الكعبة فمشت اليه أشراف كنانة وقالوا إن هذا عظيم عند العرب ولو تركناك ماتركتك العرب فقال والله لا أخرج منه فثبت وحضر الحج فقال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب ما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيراً فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً ونحر بمكة وجعل حظيرة فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم وسقى الماء واللبن وغدا على البيت فجعل له مفتاحا وحجبة وحال بين خزاعة وبينه فثبت البيت فى يد قصى .

(١) الحرج : بفتحتين ، جمع الحرجة ، جماعة الغنم أو الابل . (م . ص)

ثم بنى داره بمكة ، وهى أول دار بنيت بمكة ، وهى دار الندوة .

(وروى بعضهم) أنه لما تزوج قصى الى حليل بن حبشية الخزاعى « حبي » ابنته وولدت له أوصى حليل عند موته بولاية البيت الى قصى وقال إنما ولدك ولدى وأنت أحق بالبيت ، وكانت حبي بنت حليل بن حبشية قد ولدت لقصى بن كلاب (عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصى) .

(وقال آخرون) دفع حليل بن حبشية المفتاح الى ابى غبشان وهو سليمان ابن عمرو بن بوى بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشتراه قصى منه وولاية البيت بزق خمر وقعود (١) فقيل (أخس من صفقة أبى غبشان) ووثبت خزاعة فقالت لا نرضى بما صنع ابو غبشان فوقعت بينهم الحرب فقال بعضهم :

ابو غبشان أظلم من قصى وأظلم من بنى فهر خزاعة

فلا تلحوا قصيا فى شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه

فولى قصى البيت وأمر مكة والحكم ، وجمع قبائل قريش فأمر لهم بابطح مكة وكان بعضهم فى الشعاب ورؤوس الجبال فقسم منازلهم بينهم فسمى مجمعا وفيهم يقول الشاعر (٢) .

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وملكه قومه عليهم فكان قصى أول من أصاب الملك من ولد كعب بن لوى فلما قسم أبطح مكة أرباعا بين قريش هابوا أن يقطعوا شجر الحرم ليبنوا منازلهم فقطعها قصى بيده ثم استمروا على ذلك ، وكان قصى أول من أعز قريشا وظهر به فخرها ومجدها وسناها وتقرشها فجمعها وأسكنها مكة وكانت قبل متفرقة الدار

(١) القعود ـ بفتح القاف ـ من الابل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة والقعود أيضاً الفصيل . وأيضاً البكر الى أن يثنى ، جمعه أقعدة وقعد وقعدان وقعايد (المنجد)

(٢) هو حذافة بن نصر بن غانم العدوى يخاطب أبا لهب .

قليلة العز ذليلة البقاع حتى جمع الله ألفتها وأكرم دارها وأعز مثواها ، وكانت قريش كلها بالأبطح خلا بنى محارب والحارث ابنى فهر وبنى تيم بن غالب وهو الأدرم وبنى عامر ابن لوى فانهم نزلوا الظواهر ، ولما حاز قصى شرف مكة كلها وقسمها بين قريش واستقامت له الأمور ونفى خزاعة هدم البيت ثم بناه بنيانا لم يبنه أحد وكان طول جدرانه تسع أذرع فجعله ثمانى عشرة ذراعا وسقفها بخشب الدوم (١) وجريد النخل وبنى دار الندوة ، وكان لا ينكح رجل من قريش ولا يتشاورون فى أمر ولا يعقدون لواءً بالحرب ولا يعذرون (٢) غلاماً إلا فى دار الندوة ، وكانت قريش فى حياته وبعد وفاته ترى أمره كالدين المتبع ، وكان أول من حفر بمكة بعد اسماعيل بن ابراهيم فحفر العجول (٣) فى أيام حياته وبعد وفاته .

(ويقال) إنها فى دار أم هانى بنت أبى طالب ، وكان قصى أول من سمى الدابة الفرس وكانت له دابة يقال لها العقاب السوداء ، وكان لقصى من الولد عبد مناف . وكان يدعى القمر وهو السيد النهر (٤) واسمه المغيرة . وعبد الدار وعبد العزى ، وعبد قصى .

(ويقال) إن قصياً قال سميت اثنين بالآهى وآخر بدارى وآخر بنفسى وقسم قصى بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتى الوادى لعبد قصى ، وقال قصى لولده من عظم لئيما

(١) - الدوم - بفتح الدال المهملة وسكون الواو شجر يشبه النخل وضخام الشجر .
(٢) - يقال عذر الغلام عذراً إذا ختنه .
(٣) العجول: بفتح العين المهملة بئر بمكة ، وقيل إن الذى حفرها عبد شمس لا قصى .

(٤) - نهر ككتف ، يقال رجل نهر صاحب نهار على النسب كما قالوا عمل وطعم قال الشاعر (لست بليلى ولكنى نهر) وهو كناية عن وضاءة وجهه .

شاركه فى لؤمه ومن استحسن مستقبحاً شركه فيه . ومن لم تصلحه كرامتكم فدلوه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء .

ومات قصى ودفن بالحجون ، ورأس عبد مناف بن قصى وجل قدره وعظم شرفه ولما كبر أمر عبد مناف بن قصى ، جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد بينهم الحلف الذى يقال له حلف الاحابيش (١) وكان مدبّر بنى كنانة الذى سأل عبد مناف عقد الحلف عمرو بن هلل بن معيص بن عامر وكان تحالف الأحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القاتل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ما بل بحر صوفة وماقام حر أوثبير وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة . فسمى حلف الأحابيش .

فولد عبد مناف بن قصى هاشماً - واسمه عمرو ، وكان يقال له عمرو العلا وسمى هاشماً لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم فى سنة شديدة نالت قريشاً - وعبد شمس والمطلب ونوفلا وأبا عمرو وحنة وتماضر وأم الأخثم وأم سفيان وهالة وقلابة ، وأمهم جميعاً - إلا نوفلا وأبا عمرو - عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، فولدت له هؤلاء ، وهى التى جرت حلف الأحابيش (. . . . . . .) وأم نوفل وأبى عمرو واقدة بنت أبى عدى وهو عامر بن عبد نهم من بنى عامر بن صعصعة .

(١) - قيل إنما سموا بالأحابيش لأنهم تحالفوا فى جبل حبشى الذى باسفل مكة على ستة أميال منها فسموا باسم الجبل ، وقال ابن اسحاق : الأحابيش هم بنو الهون وبنو الحرث من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا : أى تجمعوا فسموا بذلك ، ذكره السهيلى فى شرح « السيرة » (م . ص)

(ويقال) إن هاشماً وعبد شمس كانا توأمين فخرج هاشم وتلاه عبد شمس وعقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى .

(فقيل) ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع مالم يكن بين أحد .

وشرف هاشم بعد أبيه وجل أمره واصطلحت قريش على أن يولى هاشم ابن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة فكان إذا حضر الحج قام فى قريش خطيباً فقال: (يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام وأنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم أضياف الله واحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خيركم الله بذلك وا كرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فا كرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أعيوا وتفلوا (١) وقملوا وأرملوا فاقروهم واغنوهم) فكانت قريش ترافد على ذلك وكان هاشم يخرج مالا كثيراً ويأمر بحياض من أدم فتجعل فى موضع زمزم ثم يسقى فيها من الآبار التى بمكة فيشرب منها الحاج وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفه وجمع ، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ويحمل لهم المياه حتى يتفرق الناس الى بلادهم فسمى هاشماً، وكان أول من سن الرحلتين رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة الى النجاشى وذلك أن تجارة قريش لاتعدو مكة فكانوا فى ضيق حتى ركب هاشم الى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح فى كل يوم شاة ويضع جفنة بين يديه ويدعو من حواليه وكان من أحسن الناس وأجملهم ، فذكر لقيصر فأرسل اليه فلما رآه وسمع كلامه أعجبه وجعل يرسل اليه فقال هاشم أيها الملك لى قوم وهم تجار العرب فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجاراتهم حتى يأتوا بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ففعل قيصر ذلك وانصرف هاشم فجعل كلما مر بحى من العرب أخذ من أشرافهم

(١) ـ يقال تفل الرجل أنتن ريحة لترك الطيب والأدهان . (م . ص)

الايلاف (١) أن يأمنوا عندهم وفى أرضهم فأخذوا الايلاف من مكة والشام
قال الأسود بن شعر الكلبي كنت عسيفاً لعقيلة من عقائل الحى أركب الصعبة
والذلول لا أليق مطرحاً من البلاد أرتجى فيه ربحاً من الأموال أن لا يرغب اليه
من الشام بخرثيه (٢) وأثاثه أريد كبة (٣) العرب فعدت ودهم الموسم فدفعت
اليها مسدفاً فحبست الركاب حتى انجلى عنى قميص الليل واذا جزر تنحر وأخرى
تساق ، وأكلة وحسه على الطهاة (. . . . . .) ألا عجلوا افبهرنى ما رأيت
فتقدمت أريد عميدهم وعرف رجل شأنى فقال أمامك فدنوت فاذا رجل على
عرش سام تحته نمرقة قد كار عمامة سوداء وأخرج من ملائمها جمة فينانة (٤)
كأن الشعرى تطلع من جبينه وفى يده مخصرة وحوله مشيخة جلة منكسوا الأذقان
مامنهم أحد يفيض بكلمة ودونهم خدم مشمرون الى أنصاف واذا برجل مجهر
على نشز من الارض ينادى : يا وفد الله هلموا الى الغداء وإنسيان على طريق
من طعم يناديان يا وفد الله من تغدى فليرجع الى العشاء وقد نمى إلىّ من حبر
من أحبار اليهود أن النبي الأمى هذا أوان توكفه فقلت لأعرف ماعنده يانبي الله
فقال مه وكأن وقد له فقلت لرجل كان الى جانبي من هـذا فقال أبو نضلة هاشم
ابن عبد مناف فخرجت وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة ، ومر
مطرود بن كعب الخزاعى برجل مجاور فى بنى هاشم وبنات له وامرأة فى سنة
شديدة فخرج يحمل متاعه ورحله هو وولده وامرأته لا يأويه أحـــد فقال
مطرود الخزاعى :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو حللت بدارهم ضمنوك من جوع ومن اقراف

(١) ـ الايلاف العهد (٢) الخرثى : بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة اردأ المتاع وسقطه (٣) الكبة بفتح الكاف وتشديد الباء الموحدة الجماعة من الناس .
(٤) ـ الجمة بضم الجيم وتشديد الميم مجتمع شعر الرأس ، وفينانة طويلة حسنة (م)

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
نسبوا اليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الأصياف
الآخذون العهد فى آفاقها والراحلون لرحلة الايلاف

وخرج هاشم بتجارات عظيمة يريد الشام فجعل يمر بأشراف العرب فيحمل لهم التجارات ولا يلزمهم لها مؤنة حتى صار الى « غزة » فتوفى بها ، ولما هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش وخافت أن تغلبها العرب فخرج عبد شمس الى النجاشى ملك الحبشة فجدد بينه وبينه العهد ثم انصرف فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون وخرج نوفل الى العراق وأخذ عهداً من كسرى ثم أقبل فمات بموضع يقال له سلمان وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف .

وكان لهاشم من الولد عبد المطلب والشفاء أمهما سلمى بنت عمرو بن زيد ابن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج ، ونضلة بن هاشم أمه أميمة بنت عدى بن عبدالله ، وأسد أبو فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب عليه السلام وأمه قيلة بنت عامر بن مالك ابن المطلب وأبو صيفى انقرض نسله إلا من رقيقة بنت أبى صيفى ، وصيفى درج صغيراً ، وأمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الخزرج ، وضعيفة وخالدة وأمهما واقدة بنت أبى عدى ، وحنة بنت هاشم وأمها أم عـــدى بنت حبيب بن الحارث الثقفية .

وكان هاشم لما أراد الخروج الى الشام حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها ومعه ابنه عبد المطلب فلما توفى أقامت بالمدينة ، وكان المطلب بن عبد مناف قد قام بامر مكة بعد أخيه هاشم فلما كبر عبدالمطلب بلغ المطلب مكانه ووصف له حاله ، ومر رجل من تهامة بالمدينة فاذا غلمان يتناضلون وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال انا ابن هاشم انا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل من أنت ياغلام ؟ قال اناشيبة بن هاشم بن عبد مناف فانصرف الرجل

حتى قدم مكة فوجد المطلب بن عبد مناف جالساً فى الحجر فقال يا با الحارث علمت أنى جئت من يثرب فوجدت غلاماناً يتناظلون وقص عليه ما رأى من عبد المطلب . قال وإذا أظرف غلام ما رأيته قط قال المطلب اغفلته أما والله لا ارجع الى اهلى حتى أتيته فخرج المطلب حتى اتى المدينة عشاء ثم خرج على راحلته حتى اتى بنى عدى بن النجار فلما نظر الى ابن اخيه قال هذا ابن هاشم؟ قال القوم نعم وعرف القوم المطلب قالوا هذا ابن اخيك فان اردت اخذه الساعة لا تعلم امه فانها إن علمت حلنا بينك وبينه فأناخ راحلته ثم دعاه يا ابن اخى انا عمك فقد اردت الذهاب بك الى قومك فاركب فما كذب عبد المطلب ان جلس على عجز الراحلة وجلس المطلب على الرحل ثم بعثها فانطلقت فلما علمت امه علقت تدعو حربها (١) فأخبرت ان عمه ذهب به ودخل المطلب مكة وهو خلفه والناس فى اسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحبون به ويحيونه ويقولون من هذا معك فيقول عبدى ابتعته بيثرب ثم خرج حتى اتى الحزورة (٢) فابتاع له حلة ثم أدخله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فلما كان العشى البسه ثم جلس فى مجلس بنى عبدمناف وأخبرهم خبره وجعل بعد ذلك يخرج فى تلك الحلة فيطوف فى سكك مكة وكان أحسن الناس فتقول قريش هذا عبد المطلب فلج اسمه عبد المطلب وترك شيبة ، ولما حضر رحيل المطلب الى اليمن قال لعبد المطلب انت يا بن أخى أولى بموضع أبيك فقم بامر مكة فقام مقام عبد المطلب ، فتوفى المطلب فى سفره ذلك بردمان (٣) فقام عبد المطلب بامر مكة وشرف وساد وأطعم الطعام وسقى اللبن والعسل حتى علا اسمه وظهر فضله وأقرت له قريش بالشرف فلم يزل كذلك

(١) الحرب بفتحتين الهلاك والويل .

(٢) الحزورة بتخفيف الواو بوزن قسورة ، قال السهيلى فى (روض الأنف) هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت فى المسجد لما زيد فيه . (م . ص)

(٣) ردمان : موضع باليمن من حصون الحيمة . (مراصد الاطلاع)

قال محمد بن الحسن : لما تكامل لعبد المطلب مجده وأقرت له قريش بالفضل رأى وهو نائم فى الحجر آتياً أتاه فقال له قم يا أبا البطحاء واحفر زمزم ، حفيرة الشيخ الأعظم ، فاستيقظ فقال اللهم بين لى فى المنام مرة أخرى فرآه يقول قم فاحفر برة ، قال وما برة ؟ قال مضنة ضن بها على العالمين وأعطيتها ، ثم رأى قائلا يقول له قم يا ابا الحارث فاحفر زمزم ، لا تنزف ولا تذم ، تروى الحجيج الأعظم ، ثم رأى ثالثة قم فاحفر . قال وما أحفر ، قال احفر بين الفرث والدم ، عند مبحث الغراب الأعظم ، وقرية النمل فاذا أبصرت الماء فقل هلمّ الى الماء الروا ، أعطيته على رغم الأعدا ، فلما استيقن عبد المطلب أنه قد صدق جلس عند البيت مفكراً . وذبحت بقرة بالحزورة فافلتت وأقبلت تسعى حتى طرحت نفسها موضع زمزم فسلخت هناك وقسم لحمها وبقى الفرث والدم ، فقال عبد المطلب الله اكبر ثم سعى لينظر فاذا قرية نمل مجتمع فى الأرض فانطلق فاتى بمعول وابنه الحارث وحيده فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما هذه قال أمرنى ربى أن أحفر ما يروى الحجيج الأعظم فقالوا له أمر ربك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا . قال بذلك امرنى ربى فلم يحفر إلا قليلا حتى بدا الطى فكبر واجتمعت قريش فعلمت لما رأت الطى أنه قد صدق ، وليس له من الولد إلا الحارث فلما رأى وحدته قال اللهم إن لك على نذراً إن وهبت لى عشرة ذكور أن أنحر لك أحدهم وحفر حتى وجد سيوفا وسلاحا وغزالا من ذهب مقرطا مجزعا ذهبا وفضة فلما رأت قريش ذلك قالوا يا ابا الحارث (. . (١) .) من فوق الأرض ومن تحتها فاعطنا من هذا المال الذى أعطاك الله فانها بئر أبينا اسماعيل فأشركنا معك فقال انى لم أومر بالمال انما أمرت بالماء فامهلونى فلم يزل يحفر حتى بدا الماء فكبر ثم قال بحرها لا تنزف وبنى عليها حوضا وملأه ماء ونادى هلم الى الماء الروا ، أعطيته على رغم

---

(١) بياض فى الأصل ، وذكر المؤرخون منهم ابن الأثير فى الكامل : أنه لما رأت قريش ذلك قالت (يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق فقال لا . . .)

العدا ، وكانت قريش تفسد ذلك الحوض وتكسره فرأى فى المنام أن قم فقل ألليهم انى لا أحله لمغتسل ولكن لشارب حل . فقام عبد المطلب فقال ذلك فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد الا رمى بداء من ساعته فتركوه ، ولما استقام له الماء دعا ستة قداح فجعل لله قدحين أسودين وجعل للكعبة قدحين أبيضين وجعل لقريش قدحين أحمرين ثم أخذها بيده واستقبل الكعبة ثم أفاض وهو يقول :

يا رب انت الأحد الفرد الصمد ان شئت ألهمت الصواب والرشد
وزدت فى المال وأكثرت الولد انى مولاك على رغم معد

ثم ضرب فخرج الأسودان لله فقال قال ربكم هو مالى ثم أفاض وهو يقول :

لاهمّ أنت الملك المحمود وانت ربىّ المبدىء المعيد
من عندك الطارف والتليد ان شئت ألهمت بما تريد

فخرج الابيضان للكعبة فقال أخبرنى ربى أن المال كله له فحلى به الكعبة وجعله صفائح على باب الكعبة ، وكان أول من حلى الكعبة ، ولما رأت قريش ما أعطيه نفست ذلك عليه فقالت انا لشركاء معك لانها بئر أبينا اسماعيل فقال هذا شىء خصصت به دونكم فنافروه الى كاهنة بنى سعد فقضت له عليهم (وروى بعضهم) أن ماء عبد المطلب نفد فى الطريق ومياه القوم فخافوا الهلكة فقال عبد المطلب ليحفر كل رجل منا لنفسه حفيراً ثم ليقعد فيه حتى يأتيه الموت ففعلوا ثم قال ان القاءنا بايدينا العجز فلو ركبنا وطلبنا الماء فلما استوى على راحلته انفجرت تحت صدرها عين ماء فقال ردوا الماء فقالوا لقد قضى الله علينا ولا حاجة فى أن نناويك فانصرفوا ، ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب فمشت بنو عبد الدار الى بنى سهم فقالوا امنعونا من بنى عبد مناف فلما رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا خلا بنى عبد شمس (فان

الزبيرى قال) لم يكن ولد عبد شمس فى حلف المطيبين ولا ولد عبد مناف وإنما كان فيهم هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل .

(وقال آخرون) كانت بنو عبد شمس معهم فاخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب طيباً فى جفنة ثم وضعتها فى الحجر فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر فسموا حلف المطيبين ، فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا من ادخل يده فى دمها ولعق منه فهو منا فادخلت ايديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدى وبنو مخزوم فسموا اللعقة ، وكان تحالف المطيبين ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً وقالت اللعقة قد اعتدنا الكل قبيلة قبيلة ، وكان عبد المطلب لما حفر زمزم صار الى الطائف فاحتفر بها بئراً يقال لها (ذا الهرم) فكان يأتيه احياناً فيقيم بذلك الماء فاتى مرة فوجد به حيين من قيس عيلان وهم بنو كلاب وبنو الرباب فقال عبد المطلب الماء مائى وأنا احق به وقال القيسيون الماء ماؤنا ونحن احق به ، قال فانى أنافركم الى من شئتم يحكم بينى وبينكم فنافروه الى سطيح الغسانى وكان كاهن العرب يتنافرون اليه فتعاهد القوم وتعاقدوا على ان سطيحاً إن قضى بالماء لعبد المطلب فعلى كلاب وبنى الرباب مائة من الابل لعبد المطلب وعشر (١) لسطيح وإن سطيح قضى بالماء للحيين فعلى عبد المطلب مائة من الابل للقوم وعشرون لسطيح فانطلقوا وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش فيهم حرب بن أمية فجعل عبد المطلب لا ينزل منزلا إلا نحر جزوراً وأطعم الناس فقال القيسيون إن هذا الرجل عظيم الشأن جليل القدر شريف الفعل وإنما نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا فيقضى له بالماء فانظروا لا ترضوا بقول سطيح حتى تخبئوا خبئاً فان أخبرنا ما هو رضينا بحكمه وإلا لم نرض به فبينا عبد المطلب فى بعض الطريق إذ فنى ماؤه وماء أصحابه فاستسقى القيسيين من فضل مائهم فابوا أن يسقوهم وقالوا انتم

(١) ـ كذا فى الأصل ولعل الصحيح وعشرون لسطيح فراجع . (م ص)

الذين تخاصمونا وتنازعونا فى مائنا والله لا نسقيكم ، فقال عبد المطلب فيهلك عشرة من قريش وأنا حى لأطابن لهم الماء حتى ينقطع خيط عنقى وأبلى عذراً فركب راحلته وأخذ الفلاة فبينا هو فيها إذ بركت راحلته وبصرته القوم فقالوا هلك عبد المطلب فقال القرشيون كلا والله لهو اكرم على الله من ان يهلكه وإنما مضى لصلة الرحم فانتهوا اليه وراحلته تفحص بكركرها على ماء عذب روى قد ساح على ظهر الأرض فلما رأى القيسيون ذلك اهرقوا اسقيتهم واقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء فقال القرشيون كلا والله الستم الذين منعتمونا فضل مائكم فقال عبد المطلب خلوا القوم فان الماء لا يمنع فقال القيسيون هذا رجل شريف سيد وقد خشينا ان يقضى له علينا فلما وصلوا الى سطيح قالوا إنا قد خبأنا لك خبئاً واخذ إنسان منهم تمرة فى يده فقال فأخبرنا ماهو فقال : خبأتم لى ما طال فسمك ، ثم اينع فما هلك ، الق التمرة من يدك ، فقالوا له قاتله الله اخبئوا اله خبئاً هو اخفى منه فأخذ إنسان جرادة فقالوا له إنا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لى ما رجله كالمنشار ، قالوا إى ، قال ما طار فسطع ؛ ثم قبض فوقع ، فترك الصيد انفع ؛ قالوا ما له قاتله الله اخبئوا له خبئاً هو اخفى من هذا فاخذوا رأس جرادة فجعلوه فى خرز مزادة ثم علقوه فى عنق كلب لهم يقال له سوار ثم ضربوه حتى ذهب ثم رجع على الطريق فقالوا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لى رأس جرادة ؛ فى خرز مزادة ، بين عنق سوار والقلادة ، قالوا اقض بيننا قال قد قضيت اختصمتم أنتم وعبد المطلب فى ماء بالطائف يقال له (ذو الهرم) فالماء ماء عبد المطلب ولا حق لكم فيه فادوا الى عبد المطلب مائة من الابل والى سطيح عشرين ففعلوا وانطلق عبد المطلب ينحر ويطعم حتى دخل مكة فنادى مناديه يا معشر أهل مكة إن عبد المطلب يسألكم بالرحم لما قام كل رجل منكم حدثته نفسه أن يغنينى عن هذا الغرم فأخذ مثل ما حدثته نفسه فقاموا وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدثت

كل امرىء منهم نفسه وفضلات بعد ذلك جزائر فقال عبد المطلب لابنه أبي طالب أى بنى قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر فانحرها على أبي قبيس حتى يأ كلها الطير والسباع ففعل أبو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع قال أبو طالب :

ونطعم حتى يأ كل الطير فضلنا   إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد

قال أبو إسحاق وغيره من أهل العلم تزوج عبد المطلب النساء فولد له الأولاد ولما كمل عشرة رهط قال اللهم إنى كنت نذرت لك نحر أحدهم وإنى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فأقرع فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان أحب ولده اليه وكان ولده العشرة الحارث وبه يكنى وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب من ولد عامر بن صعصعة ، والزبير وأبو طالب وعبد الله والمقوم وهو عبد الكعبة ، أم الأربعة فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب وهو عبد العزى وأمه لبنى بنت هاجر بن مناف بن ضاطر الخزاعى والغيداق وهو حجل ، وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعى ؛ وكن بناته ستاً أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروا وأميمة ، أمهن جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ، وصفية أمهما هالة بنت أهيب .

فانطلق عبد المطلب بعبد الله ليذبحه وأخذ الشفرة واتبعه ابنه الحارث فلما سمعت ذلك قريش لحقته وقالت يا أبا الحارث إنك إن فعلت ذلك صارت سنة فى قومك ولم يزل الرجل يأتى بولده الى هاهنا ليذبحه فقال إنى عاهدت ربى وإنى موف له بما عاهدته فقال له بعضهم أفده فقام وهو يقول :

عاهدت ربى وأنا موف عهده   أخاف ربى إن تركت وعده

والله لا يحمد شىء حمده

ثم أحضر مائة من الابل فضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله فخرجت

على الابل فكبر الناس وقالوا قد رضى ربك فقال عبد المطلب :

لاهمّ رب البلد المحرم   الطيب المبارك المعظم
أنت الذى أعنتنى فى زمزم

ثم قال إنى معيد القداح فاعادها فخرجت على الابل فقال :

لاهم قد أعطيتنى سؤالى   أكثرت بعد قلة عيالى
فاجعل فداه اليوم جل مالى

ثم ضرب بالقداح ثالثة فخرجت على الابل فنحرها ونادى مناديه ألا فخذوا لحمها وانصرف عنها ووثب الناس يأخـــذونها فلذلك يقول مرة ابن خلف الفهمى :

كما قسمت نهبا ديات ابن هاشم   ببطحاء بسل حيث يعتصب البرك

وصارت الدية من الابل على ماسن عبد المطلب ، ولماقدم (أبرهة) ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة فتهاربت قريش فى رؤوس الجبال فقال عبد المطلب لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله فقالت قريش لابد لنا به فاقام عبد المطلب فى الحرم وقال لا أبرح من حرم الله ولا اعوذ بغير الله فأخذ اصحاب أبرهة ابلا لعبد المطلب وصار عبد المطلب الى ابرهة فلما استأذن عليه قيل له قد اتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس ، فلما دخل عليه اعظمه ابرهة وجل فى قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله فقال لترجمانه قل له سل ما بدالك فقال إبلا لى اخذها اصحابك فقال لقد رأيتك فاجللتك واعظمتك وقد ترانى حيث نهدم مكرمتك وشرفك فلم تسالنى الانصراف وتكلمنى فى ابلك فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت الذى زعمت تريد هدمه رب يمنعك منه فرد الابل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب فلما انصرف جمع ولده ومن معه ثم جاء الى باب الكعبة فتعلق به وقال :

لاهم إن تعف فانهم عيالك . (١) . إلا فشيء ما بدا لك

ثم انصرف وهو يقول :

لاهم إن المرء يمنـ ـع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك

ولئن فعلت فانه أمر تتم به فعالك

وأقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر ودنا وقد اجتمعت اليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه ان أمكنهم ذلك فاتى عبد الله على فرس شقراء يركض وقد جردت ركبته فقال عبدالمطلب قد جاءكم عبدالله بشيراً ونذيراً والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فاخبرهم ما صنع الله باصحاب الفيل ، وقال عبد المطلب لما كان من أصحاب الفيل ما كان :

أيها الداعي لقد أسمعتني ثم مابي عن نداكم من صمم

هل بدا لله أمر أم له سنة في القوم ليست في الامم

قلت والأشرم تردي خيله ان ذا الأشرم غر بالحرم

ان للبيت لرباً مانعاً من يرده باثام يصطلم

رامه تبع فيما قد مضى وكذا حمير والحي قدم

فانثنى عنه وفي أوداجه جارح أمسك منه بالكظم

هلكت بالبغي فيه جرهم بعد طسم وجديس وجشم

وكذا الأمر بمن كاد بحر ب فأمر الله بالأمر اللمم

---

(١) ـ كذا في الأصل وفيه من اختلال الوزن والقافية مالايخفى ، وقد أورد البيت ابن كثير الشامي في تاريخه كما يلي :

إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدا لك

وجعله من جملة الأبيات التالية ، ومثله ابن الأثير في الكامل (ج ١) ولم يوجد فيما بايدينا من المصادر رواية البيت مستقلا وبوجه صحيح . (م . ص)

نعرف الله وفينا سنة صلة الرحم وإيفاء الذمم
لم تزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم
نحن أهل الله فى بلدته لم يزل ذاك على عهد ابرهم

أديان العرب

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال الى البلدان والانتجاعات فكانت قريش وعامة ولد (معد) بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الأشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد ثعلبة بن أياد بن نزار بن معد ، فلما خرجت أياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيروا ما كان عليه الأمر فى المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد أن تطلع الشمس وخرج عمرو بن لحى - واسم لحى ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر - الى أرض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأوثان التى أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها نستنصر فننصرها ونستسقى بها فنسقى فقال ألا تعطونى منها صنما فاسير به الى أرض العرب عند بيت الله الذى تفد اليه العرب فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع بمكة ثم وضعوا به (إساف ونائلة) كل واحد منهما على ركن من أركان البيت فكان الطائف إذا طاف بدأ باساف فقبله وختم به، ونصبوا على الصفا صنما يقال له (مجاور الريح) وعلى المروة صنما يقال له (مطعم الطير) فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا الى الله زلفى ، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنما يصلون لها تقرباً الى الله فيما يقولون ، فكانت لكلب بن وبرة

وأحياء قضاعة (ودّ) منصوباً بدومة الجندل بحرش « بجرش خ ل » وكان لحمير وهمدان (نسر) منصوباً بصنعاء ، وكان لكنانة (سواع) وكان لغطفان (العزى) وكان لهندو بجيلة وخثعم (ذوالخلصة) وكان لطيء (الفلس) منصوباً بالحبس ، وكان لربيعة وأياد (ذو الكعبات) بسنداد من أرض العراق وكان لثقيف (اللات) منصوباً بالطائف ، وكان للأوس والخزرج (مناة) منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له (ذو الكفين) ولبنى بكر ابن كنانة صنم يقال له (سعد) وكان لقوم من عذرة صنم يقال له (شمس) وكان للأزد صنم يقال له (رئام) فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة ، وكانت تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك تملكه وما ملك ، وكانت تلبية كنانة : لبيك اللهم لبيك اليوم يوم التعريف يوم الدعاء والوقوف ، وكانت تلبية بنى أسد : لبيك اللهم لبيك يا رب أقبلت بنو أسد أهل التوانى والوفاء والجلد اليك ، وكانت تلبية بنى تميم : لبيك اللهم لبيك لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد اخلقت أثوابها وأثواب من وراءها وأخلصت لربها دعاءها ، وكانت تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك لبيك أنت الرحمان أتتك قيس عيلان راجلها والركبان ، وكانت تلبية ثقيف : لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك ، وكانت تلبية هذيل : لبيك عن هذيل قد أدلجوا بليل فى إبل وخيل ، وكانت تلبية ربيعة لبيك ربنا لبيك، لبيك إن قصدنا اليك (وبعضهم) يقول : لبيك عن ربيعة سامعة لربها مطيعة ، وكانت حمير وهمدان يقولون : لبيك عن حمير وهمدال والحليفيين من حاشد والهان ، وكانت تلبية الأزد : لبيك رب الأرباب تعلم فصل الخطاب لملك كل مثاب ، وكانت تلبية مذحج : لبيك رب الشعرى ورب اللات والعزى ، وكانت تلبية كندة وحضرموت لبيك لا شريك لك تملكه او تهلكه أنت حكيم فاتركه ، وكانت تلبية غسان : لبيك رب غسان

راجلها والفرسان ، وكانت تلبية بجيلة : لبيك عن بجيلة فى بارق ومخيلة ، وكانت تلبية قضاعة : لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعاًله وطاعة ، وكانت تلبية جذام : لبيك عن جذام ذوى النهى والأحلام ، وكانت تلبية عك والأشعريين :

نحج للرحمان بيتاً عجبا مستتراً مضبباً محجبا

وكانت العرب فى أديانهم على صنفين (الحمس) و (الحلة) فاما الحمس فقريش كلها ، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكانوا يشددون على أنفسهم فى دينهم فاذا نسكوا لم يسلئوا سمنا ولم يدخروا لبنا ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى تعافه ولم يجزوا شعرا ولا ظفراً ولم يدهنوا ولم يمسوا النساء ولا الطيب ولم يأكلوا لحما ولم يلبسوا فى حجهم وبرا ولا صوفا ولا شعرا ، ويلبسون جديدا ويطوفون بالبيت فى نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيما له ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا يخرجون الى عرفات ويلزمون مزدلفة ويسكنون فى حال نسكهم قباب الأدم . وكانت الحلة - وهى تميم وضبة ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الأزد - لا يحرمون الصيد فى النسك ويلبسون كل الثياب ويسلئون السمن ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ولا يأويهم ماداموا محرمين ، وكانوا يدهنون ويتطيبون ويأكلون اللحم فاذا دخلوا مكة بعد فراغهم نزعوا ثيابهم التى كانت عليهم فان قدروا على أن يلبسوا ثياب الحمس كراء أو عارية فعلوا ولا طافوا بالبيت عراة وكانوا لا يشترون فى حجهم ولا يبيعون . فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما ثم دخل قوم من العرب فى دين اليهود وفارقوا هذا الدين . ودخل آخرون فى النصرانية ، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية ، فاما من تهوّد منهم فاليمن بأسرها كان « تبع » حمل حبرين من أخبار اليهود الى اليمن فابطل الأوثان وتهود من باليمن وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة

والنضير ، وتهود قوم من بنى الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بنى أسد بن عبد العزى منهم عثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد ، ومن بنى تميم بنو أمرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب ، ومن اليمن طىء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم ، وتزندق حجر بن عمرو الكندى.

حكام العرب

وكان للعرب حكام ترجع اليها فى أمورها وتتحاكم فى منافراتها ومواريثها ومياهها ودمائها لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة، وكان أول من استقضى اليه فحكم الأفعى ابن الأفعى الجرهمى وهو الذى حكم بين بنى نزار فى ميراثهم . ثم سليمان ابن نوفل ، ثم معاوية ابن عروة ، ثم سخر بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدئل ، ثم الشداخ - وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة - وسويد بن ربيعة بن حذار بن مرة بن الحارث بن سعد ، ومخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد ابن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب فسمى ذا الأعواد ، وأكثم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن، وعامر بن الضرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس، وهرم بن قطبة بن سيار الفزارى ، وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفى ، وسنان بن أبى حارثة المرى ، والحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن الضحيان بن الضحاك بن النمر بن قاسط ، والجعد بن صبرة الشيبانى ؛ ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادى وهو صاحب الصرح بالحزورة وقس بن ساعد الأيادى ؛ وحنظلة بن نهد القضاعى ؛ وعمرو بن حممة الدوسى ، وكان فى قريش حكام منهم عبد المطلب ؛

وحرب بن أمية ، والزبير بن عبد المطلب، وعبدالله بن جدعان ، والوليد بن المغيرة المخزومى .

أزلام العرب

وكانت العرب تستقسم بالأزلام فى كل أمورها وهى « القداح » ولا يكون لها فى سفر ومقام ولا نكاح ولا معرفة حال إلا رجعت الى القداح ، وكانت القداح سبعة فواحد عليه (الله عز وجل) والآخر (لكم) والآخر (عليكم) والآخر (نعم) والآخر (منكم) والآخر (من غيركم) والآخر (الوعد) فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا الى القداح فضربوا بها ثم عملوا بما تخرج القداح لا يتعدونه ولا يجوزونه وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم ، وكانت العرب إذا كان الشتاء ونالهم القحط وقلت ألبان الابل استعملوا الميسر وهى الأزلام وتقامروا عليها وضربوا بالقداح وكان قداح الميسر عشرة : سبعة منها لها أنصب وثلاثة لا أنصب لها فالسبعة التى لها أنصب يقال لأولها (الفذ) وله جزء (والتوأم)وله جزءان « والرقيب » وله ثلاثة أجزاء « والحلس » وله أربعة أجزاء « والنافس » وله خمسة أجزاء « والمسبل» وله ستة أجزاء « والمعلى » وله سبعة أجزاء ، والثلاثه التى لا أنصب لها أغفال ليس عليها اسم يقال لها « المنيح والسفيح والوغد » فكانت الجزور تشترى بما بلغت ولا ينقد الثمن ثم يدعى الجزار فيقسمها عشرة أجزاء فاذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه وهى الرأس والأرجل وأحضرت القداح العشرة واجتمع فتيان الحى فاخذ كل فرقة على قدر حالهم ويسارهم وقدر احتمالهم فيأخذ الأول الفذ وهو الذى فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء فاذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزء وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور ويأخذ الثانى التوأم وله نصيبان من أجزاء الجزور فان خرج أخذ جزء من الجزور وإن لم يخرج غرم ثمن الجزءين

وكذلك سائر القداح على ما سمينا منها فما خرج أخذ صاحبه ما فيه وما لم يخرج غرم ما فيه من الأجزاء فاذا عرف كل رجل منهم قدحه دفعوا القداح الى رجل أخس لا ينظر اليها معروف أنه لم يأكل لحما قط بثمن ويسمى (الحرضة) ثم يؤتى بالمجول - وهو ثوب شديد البياض - فيجعل على يده ويعمد الى السلفة - وهى قطعة من جراب - فيعصب بها على كفه لئلا يجد مس قدح يكون له فى صاحبه هوى فيخرجه ، ويأتى رجل فيجلس خلف الحرضة يسمى (الرقيب) ثم يفيض الحرضة بالقداح فاذا نشز منها قدح استله الحرضة فلم ينظر اليه حتى يدفعه الى الرقيب فينظر لمن هو فيدفعه لصاحبه فيأخذ من أجزاء الجزور على نصيبه منها فان خرج من الثلاثة الأغفال شيء رد من ساعته وإن خرج أولا الفذ أخذ صاحبه نصيبه وضربوا بباقى القداح على التسعة الأجزاء الأخر فان خرج التوأم أخذ صاحبه جزءين وضربوا بباقى القداح على الثمانية الأجزاء الأخر فان خرج المعلى أخذ صاحبه نصيبه وهو السبعة الأجزاء التى بقيت وخرجوا وفقاً ووقع غرم ثمن الجزور على من خاب سهمه وهم أربعة صاحب الرقيب والحلس والنافس والمسبل ؛ ولهذه الاقداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزء وأخذ كل واحد من الغرم مثل الذى كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، وإن خرج المعلى أول القداح أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور وكان الغرم على أصحاب القداح التى خابت واحتاجوا أن ينحروا جزوراً أخرى لان فى قداحهم المسبل وله ستة أجزاء ولم يبق من اللحم إلا ثلاثة أجزاء ولا ينبغى لمن خاب قدحه فى جزور الاولى أن يأكل منها شيئاً فانه يعاب به ؛ فان نحروا الجزور الثانية وضربوا عليها القداح فخرج المسبل أخذ صاحبه ستة أجزاء الجزور الاخرى الثلاثة الباقية من الجزور الاولى وثلاثة أجزاء من الجزور الثانية ولزمه الغرم فى الجزور الاولى ولم يلزمه فى الثانية شيء لان قدحه قد فاز وبقى من الجزور الثانية سبعة أجزاء فيضرب عليها بقداح من بقى فان خرج النافس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم

يغرم من ثمن الجزور الثانيه شيئاً لان قدحه قد فاز ولزمه الغرم من الاولى وبقى جزءان من اللحم وفيما بقى من القداح الحلس له أربعه أجزاء فيحتاجون أن ينحروا جزوراً أخرى لتتمه أربعه ، ولا ينبغى لمن خاب قدحه فى الجزور الثانيه أن يأكل منها شيئاً لانه يعاب به وإن نحروا الجزور الثالثه وفاز الحلس أخذ صاحبه أربعه أجزاء جزأين من الجزور الثانيه وجزأين من الجزور الثالثه ولم يغرم من الجزور الثالثه شيئاً لانه فاز قدحه ويبقى ثمانيه أجزاء من الجزور الثالثه فضرب بباقى القداح عليها حتى يخرج قداحهم وفقاً لاجزاء الجزور ؛ فهذا حساب غرمهم الثمن كما وصفت ، وربما كانت أجزاء اللحم موافقه لاجزاء القداح فلا يحتاجون الى نحر شىء إنما ينحر الجزور اذا قصرت اجزاء اللحم عن بعض القداح فان عاد بعض من فاز قدحه ثانيه نخاف غرم من ثمن الجزور التى خاب قدحه منها على هـذا الحساب فان فضل من أجزاء اللحم شىء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الاجزاء لاهل المسكنه من العشيرة ؛ فهذا تفسير الميسر وكانوا يفتخرون به ويرون أنه من أفعال الكرم والشرف ؛ ولهم فى هذه أشعار كثيرة يفتخرون بها .

شعراء العرب

وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم فاذا كان فى القبيلة الشاعر الماهر المصيب المعانى المخير الكلام أحضروه فى أسواقهم التى كانت تقوم لهم فى السنة ومواسمهم عند حجهم البيت حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعره ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم وشرفاً من شرفهم ، ولم يكن لهم شىء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر فبه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفاضلون وبه يتقاسمون وبه يتناضلون وبه يمدحون ويعابون ، فكان ممن قدم شعره فى جاهلية العرب على ما أجمعت عليه الرواة وأهل العلم بالشعر

وجاءت به الآثار والأخبارمن شعراء العرب فى جاهليتها مع من أدركه الإسلام فسمى « مخضرماً » (١) فانهم دخلوا مع من تقدم فسموا الفحول وقدموا على تقدم أشعارهم فى الجودة وإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على ما بينا من أسمائهم ومراتبهم على الولاء (فأولهم) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن . . . (٢) . . .

والنابغة الذبيانى وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

---

(١) ـ الخضرمة فى الأصل قطع طرف الإذن ، وفى الحديث (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقة مخضرمة) أى قطع طرف أذنها ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم فلما جاء الإسلام أمروا أن يخضرموا من غير الموضع الذى يخضرم منه أهل الجاهلية ، ومنه قيل لمن أدرك الخضرمتين المخضرم ، وقال ابن خالويه خضرم خلط ومنه المخضرم الذى أدرك الجاهلية والإسلام كذا فى (تاج العروس) فى مادة « خضرم » .

(٢) ـ بياض فى الأصل ، وحجر آكل المرار هو ابن عمرو بن معاوية بن ثور ابن مرتع بن معاوية بن ثور الاكبر ، وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ، هكذا نسبه الآمدى فى « المؤتلف والمختلف » ص ٩ ولكن شارح القاموس فى تاج العروس بمادة (مرر) جعل آكل المرار لقب حجر بن معاوية الأكرم بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وقد ناقض ما ذكره فى مادة (حجر) من أنه لقب حجر بن معاوية بن ثور وهو كندة وابن سلام الجمحى فى « طبقات الشعراء » ص ٢٤ جعله ابن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ، وعلى كل فان امرأ القيس هذا هو رافع لواء الشعراء الى النار كما روى ذلك فى حديث ، وهو صاحب المعلقة الشهيرة التى مطلعها : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويعرف بالملك الضليل ، توفى نحو ٨٠ سنة قبل الهجرة . (م . ص)

وزهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى (ربيعة) بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد .

والأعشى ، وهو أعشى وائل وهو (ميمون) بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وعبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أشد .

ومهلهل وهو (امرؤ القيس) بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم والحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وعمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن على بن بكر بن وائل .

والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وأوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عمرو بن خلف بن نمير بن أسيد ابن عمرو بن تميم بن مر .

وذو الاصبع العدوانى وهو (حرثان) بن حارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عباد بن يشكر بن عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وبشر بن أبي خازم وهو (عمرو) بن عوف بن حنش بن ناشرة بن أسامة ابن والبة .

وعنترة بن شداد بن معاوية بن نزار بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض .

وعبدة بن الطبيب التميمي (١)

والمتلمس وهو (جرير) بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوفان ابن حرب ابن وهب بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار .

وأبو دؤاد الايادي وهو (حوثرة) بن ألحارث بن الحجاج .

والمرقش الأكبر وهو . . . . . (٢)

والمرقش الأصغر وهو (ربيعة) بن معاوية بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة .

والمسيب بن علس بن عمرو بن قضاعة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن دعدى بن مالك ابن جشم بن مالك بن جماعة بن جلي .

وعدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية

---

(١) - عبدة بن يزيد (الطبيب) بن عمرو بن علي من تميم من المخضرمين شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها وهو صاحب المرثية التي منها :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

توفي نحو سنة ٢٥ هجرية .

(٢) - بياض في الأصل ، واسم المرقش الاكبر عوف وقيل عمرو ، وقيل ربيعة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي عشق ابنة عمه (أسماء) بنت عوف وقال فيها شعراً كثيراً واتصل مدة بالحارث ابي شمر الغساني ونادمه ومدحه واتخذه الحارث كاتباً له توفي قبل الهجرة بـ ٧٥ سنة . (م . ص)

ابن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم .

وسلامة بن جندل بن عبد عمرو بن عبد الحارث ، وهو (مقاعس) بن عمرو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وسحيم بن وثيل بن عمرو بن كرز بن وهيب بن حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

والجميح الأسدى وهو (منقذ) بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين .

وحاتم الطائى وهو (حاتم) بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث .

وطفيل الخيل وهو (طفيل) بن عوف بن خليف بن ضبيس بن مالك ابن سعد بن عوف بن هلال بن غنم بن غنى .

والسفاح وهو (سلمة) بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب .

وتأبط شراً وهو (ثابت) بن جابر بن سفيان بن عدى بن كعب بن فهم ابن عمرو بن قيس عيلان .

وابن المضلل الأسدى وهو (جلد) بن قيس بن مالك بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين .

وكعب الأمثال الغنوى وهو كعب بن سعد بن علقمة بن ربيعة بن زيد ابن أبى مليل بن رفاعة بن مسلم بن سعد . والحكم بن (. . . . (١) . . . .)

---

(١) - بياض فى الاصل ، ولعل الحكم هذا هو ابن المقداد بن الحكم بن الصباح أحد بنى مخاشن بن عصيم ثم أحد بنى زهيرة بن قيس بن عمرو بن ثومة بن مخاشن بن لأى بن شمخ بن فزارة ، شهد الحرب المعروفة بـ (بنات قين) وكان فارساً ويعرف بالاصم الفزارى وبالحكم بن زهرة ، وهى أمه ، ترجمه الآمدى فى (المؤتلف والمختلف) ص ٤٣ .

ومروان القرظ بن زنباع بن جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس .

ودريد بن الصمة بن الحارث بن بكر بن علقمة بن جداعة بن عوف بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وأمية بن أبي الصلت وهو (عبد الله) بن ربيعة بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي وهو ثقيف .

والأفوه الأودي وهو (صلاة) بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث ابن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مدحج .

وعمرو بن قمئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وضابىء بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن حلول بن قيس بن حنظلة بن مالك .

وخفاف بن ندبة ، وندبة هى أمه وأبوه عمير بن الحارث بن عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم .

والمتنخل الهذلى وهو (مالك) بن غنم بن سويد بن حبشى بن خناعة بن الديل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل .

والذهاب الفحل وهو (مالك) بن جندل بن مسلمة بن مجمع بن ضبيعة ابن عجل .

وعروة بن الورد بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن سفيان بن عوذ بن غالب ابن قطيعة بن عبس بن بغيض .

والحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو فارس النعامة .

وأنس بن مدرك بن عمرو بن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن عامر ابن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن خثعم .

والمنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سوادة بن مالك بن ثعلبة بن غنم ابن حبيب بن كعب بن يشكر .

وأشيم بن شراحيل بن عبد رضى بن عبد عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

والحارث بن ظالم بن حذيمة بن يربوع بن غيض بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان وصفوان بن حصين بن مالك بن رفاعة بن سالم بن عبيد بن سعد العنزى .

والسموءل بن عاديا وهو ينسب الى غسان ، فيقول بعضهم إنه يهودى من سبط يهوذا وعمرو بن الأهتم بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

ومطرود بن كعب بن عرفطة بن النافذ بن مرة من تميم بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعى .

وأوس بن غلفاء بن فقط بن معبد بن عامر بن يمامة .

وحصين بن الحمام بن ربيعة بن حرام بن وائلة بن سهم بن (. . . .(١) . . .) عامر بن صعصعة .

والركاض الأسدى وهو ركاض بن اباق بن بديل أحد بنى دبير .

وسويد بن كراع العكلى - والحويدرة واسمه (قطبة) بن أوس بن محصن ابن جرول بن حبيب الأعظم بن عبد العزى بن خزيمة بن رزام بن مازن

---

(١) بياض فى الأصل ، وسهم هذا هو ابن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان ، وكان الحصين هذا سيد بنى سهم بن مرة ويلقب (مانع الضيم) وكان ممن نبذ عبادة الأوثان فى الجاهلية ، توفى قبل الهجرة بنحو عشر سنين ، وقيل أدرك الاسلام ، وقد سقط من الأصل قبل (عامر بن صعصعة) من ينتمى اليه فيحتمل أنه توبة بن الحمير الخفاجى صاحب ليلى الأخيلية أو أنه (قيس) ابن الملوح صاحب لبنى الكعبية ، أو انه (خداش) بن زهير بن ربيعة ، اوغيرهؤلاء ممن كان من الشعراء الجاهليين او المخضرمين وينتمى الى عامر بن صعصعة المذكور (انظر اخبارهم فى الأغانى والشعر والشعراء وغيرهما) (م . ص)

ابن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأعشى بنى أسد وهو (قيس) بن بجرة بن منقذ بن طريف بن عمرو ابن قعين .

وابن الزبعرى السهمى وهو (عبدالله) بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم من قريش .

و . . . (١) . . . قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وابن دجاجة الفقيم وهو (بكر بن ربد) بن أنس بن امرىء القيس .

وسويد بن سلامة بن حديج بن قيس بن عمرو بن قطن بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة .

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن ابن قطيعة بن عبس بن بغيض .

ومقيس بن صبابة أخو بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن كنانة وأدرك الاسلام وأسلم ثم ارتد فقتل يوم فتح مكة كافراً .

والمسيب بن الرفيل بن حارثه بن حيان بن قيس بن أبى جابر بن زهير بن جناب بن هبل الكلبى .

والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جدى بن ضمرة الكنانى .

وسبرة بن عمرو بن أهنان بن دثار بن فقعس .

وشافع بن عبد العزى الضمرى - وسراقة بن مالك بن جشعم المدلجى .

---

(١) - بياض فى الأصل ، والذى ينتمى الى قطن بن نهشل من الشعراء الجاهليين - غير سويد بن سلامة الذى ذكره - إثنان (احدهما) نهشل بن حرى بن ضمرة بن جابر ابن قطن بن نهشل، ذكره ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً و(ثانيهما) ابو الغول علباء بن جوشن من بنى قطن بن نهشل ، ذكره الآمدى فى (المختلف والمؤتلف) وابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً .

ومصروف . واسمه (عمرو) بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل .

وابن رميلة الضبي - وقيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل .

ومرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبيد بن عبس بن رفاعة بن الحارث ابن بهثة بن سليم بن منصور .

ومن شعراء الجاهلية الفحول المتقدمين الذين أدركوا الاسلام - النابغة الجعدى وكان في السن مثل النابغة الذبياني ، واسمه « قيس » بن عبد الله بن عدس ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

وتميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وكعب بن زهير وهو « ربيعة » بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن ابن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد .

وعبد الله بن عامر بن كرب الكندى .

وأبو سمال الأسدى واسمه « شمعان » بن هبيرة بن مساحق .

وزيد بن مهلهل وهو « زيد الخيل » بن يزيد بن منهب بن عبد رضى بن المحلس بن ثور بن عدى بن كنانة بن مالك بن نبهان بن عمرو بن الغوث .

والحطيئة واسمه « جرول » بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس .

وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو المحاربى .

والشّماخ بن ضرار بن سنان بن أميه بن عمرو بن جحاش بن بجالة ابن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأبو ذؤيب الهذلى وهو خويلد بن خالد بن محرّث بن ربيد بن مخزوم بن

صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل .

وابو كبير الهذلي وهو « عامر » بن الحليس .

والحرث بن عمرو بن جرجة بن يربوع بن فزارة

وعبد بني الحسحاس وهو (سحيم) بن هند بن سفين بن ثعلبة بن ذودان ابن أسد بن خزيمة (١) .

أسواق العرب

كانت أسواق العرب عشرة أسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم فمنها (دومة الجندل) يقوم في شهر ربيع الأول ورؤساؤها غسان وكلب أي الحيين غلب قام . ثم (المشقر) بهجر يقوم سوقها في جمادى الأولى تقوم بها بنو تيم رهط المنذر بن ساوى ، ثم (صحار) يقوم في أول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ، ثم يرتحلون من صحار الى « ريا » يعشرهم فيها الجلندى وآل الجلندى ، ثم سوق « الشحر » شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام ، ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ، ثم سوق « عدن » يقوم في أول يوم من شهر رمضان ويعشرهم بها الأبناء . ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ، ثم سوق « صنعاء » يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الأبناء ، ثم سوق « الرابية » بحضر موت ولم يكن يصل اليها إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة

---

(١) تجـــد أخبار هؤلاء الشعراء في « الأغاني » لأبي الفرج ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمختلف والمؤتلف للآمدي ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وغيرها من المعاجم . (م . ص)

وكان من عز فيها بز ، وكانت كندة تخفر فيها ، ثم سوق « عكاظ » بأعلى نجد يقوم في ذى القعدة وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم ثم سوق « ذى المجاز » وكانت ترتحل من سوق عكاض وسوق ذى المجاز الى مكة لحجهم ، وكان فى العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا المحلون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمون ، وأما المحلون فكانوا قبائل من أسد وطىء وبنى بكر بن عبد مناة ابن كنانة وقوم من بنى عامر بن صعصعة ، وأما الذادة المحرون فكانوا من بنى عمرو بن تميم وبنى حنظلة بن زيد منـاة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بنى شيبان وقوم من بنى كلب بن وبرة فكانوا هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم فى الأشهر الحرم (. . . . . . .) وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال إن أول عربى كشف قناعه (ظريف) ابن غنم العنبرى ففعلت العرب مثل فعله .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى أوله مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم



فهرس مواضيع الكتاب

تم طبع الكتاب يوم ١٢ | ١١ | ١٩٦٤

منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف

مناقب آل أبي طالب

تأليف

الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني

المتوفى سنة ٥٨٨

كتاب المحاسن

تأليف

الشيخ الثقة الجليل الأقدم

أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي

الأنوار العلوية

والأسرار المرتضوية



للعلامة سبط ابن الجوزي



